فقهاء المالكية

دراسة في علاقاتهم العلمية في الاندلس والمغرب

حتى منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد

اطروحة تقدمت بها

علياء هاشم ذنون محمد المشهداني

الى

مجلس كلية التربية في جامعة الموصل وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي

باشراف

الاستاذ المساعد

مزاحم علاوي الشاهري

المحرم / ١٤٢٤هـ   آذار / ٢٠٠٣م

ثبت المحتويات

المقدمة وتحليل المصادر

المقدمة :

لقد لقي المذهب المالكي منذ ظهوره انتشارا واسعاً في الاندلس والمغرب. ولم يمض وقت طويل حتى اصبح المذهب الرسمي للدولة في الاندلس[١] ، أما في المغرب فقد علا صوته بحيث حَجّمَ او كاد يمحو وجود المذاهب الاخرى فيه[٢] . وتبعا لهذا اصبح فقهاء المالكية في الاندلس والمغرب في مقدمة علماء بلادهم ، وكان لهم دورهم المؤثر على الاصعدة العلمية والاجتماعية والسياسية كافة. بحيث اصبح للفظة الفقيه مكانة متميزة في الاندلس ، ومن يراد يلقب بلقب ذي مرتبة عليا سميّ فقيهاً[٣].

وعلى هذا الاساس فقد اخترنا العلاقات العلمية بين الفقهاء دراسة لموضوعنا لمعرفة طبيعتها ، ولبيان ابرز ملامحها الايجابية والسلبية لكونهم فئة علمية مؤثرة . فهذا الجانب من نشاط الفقهاء يحتاج الى تسليط الضوء عليه ، فقد ركزت اغلب الدراسات التي اهتمت بالتاريخ العلمي على بحث جوانب اخرى من نشاطهم. منها – على سبيل المثال لا الحصر – دراسة خليل ابراهيم الكبيسي **دور الفقهاء السياسي والاجتماعي بالاندلس في عصري الامارة والخلافة**[٤] ، و**دور العلماء السياسي والاجتماعي في الاندلس في عهدي الطوائف والمرابطين** لحازم غانم حسين[٥]. فضلاً عن دراسته الأخرى عن **الحياة الثقافية والعلمية في الاندلس في عصر الخلافة**[٦]. ودراسة محب محمود قاسم عن **الحياة الفكرية في عهد الاغالبة**[٧]. وقد درست دراسات اخرى المرحلة المبكرة من نشاط العلماء في المغرب والاندلس ومنهم الفقهاء وذلك وقت طلبهم للعلم من خلال رحلتهم العلمية الى المشرق مثل دراسة جعفر حسن صادق **الرحلات العلمية من الاندلس الى المشرق في عصر الامارة**[٨]

---

[١] انظر عن ذلك : احمد بن يحيى الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ، اشراف محمد حجي (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨١) : ٣٥٦/٦ ، ٢٤/١٢.

[٢] انظر عن ذلك : علي بن سعيد بن حزم ، الاحكام في اصول الاحكام ، اشراف احمد محمد شاكر (القاهرة: مطبعة العاصمة ، (بلا.ت) :٥٥٦/٤ ؛ الونشريسي ، المصدر السابق :١٢/٢،٢٦/١٦٩ .

[٣] احمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت : دار الكتاب العربي ، (بلا .ت) :١٠٢/١ ؛
Robert Ignatius Boarns ,Islam under the Crusaders (u.s.a : 1973) , P.221 .

[٤] (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠) .

[٥] (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥) .

[٦] (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٣) .

[٧] (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩) .

[٨] (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٥).

ودراسة لمياء عز الدين مصطفى الصباغ **الرحلات العلمية بين المغرب العربي والمشرق حتى القرن السابع الهجري**.[١]

ولقد اخترنا ان تكون المساحة المكانية لموضوعنا الاندلس والمغرب لثبوت اركان المالكية فيهما ، ضمن ارجاء الدولة العربية الاسلامية ، وللترابط العلمي الوثيق بين الاندلس والمغرب ، فقد كانت خصوصيتهما الثقافية متشابهة جدا ان لم تكن واحدة ، والعديد من علمائهما كانت نشأتهم الثقافية بينهما.[٢] اما المدة الزمنية فاخترناها منذ ظهور المذهب المالكي حتى العصر الموحدي (٥٤١-٦٦٨هـ / ١١٤٦-١٢٦٩م) ، فقد ظهرت محاولات في زمن الموحدين للتغيير واتباع مذهب اخر غير المذهب المالكي.[٣]

ومن هذا المنطلق تعاملنا مع الاندلس والمغرب كمجال واحد ضمّ في ثناياه عناصر الوحدة والتنوع المختلفة . كما اتضحت لنا خلال الدراسة ، بحيث كانت الاندلس محور بعض موضوعات الدراسة حينا ، والمغرب محور موضوعات اخرى ، في حين اشتركا في موضوعات اخرى . وقد كانت العلاقة العلمية هي الاعمق والابرز بين العلاقات بين الفقهاء والتي ركزت دراستنا عليها وان تداخلت معها ايضا علاقاتهم الوظيفية والاجتماعية فتم تناولها ضمنا في فصول الدراسة.

كما حاولنا مناقشة الروايات التاريخية كلما دعت الحاجة لذلك. اما المنهج الذي اتبعناه فيتمثل في استقراء المادة التاريخية من المصادر ، ولم يخلُ ذلك الامر من صعوبة ، لان المعلومات المتوفرة عن الدراسة جاءت بصورة مختصرة ومقتضبة ، تطلب البحث عنها دقة وتعباً في استخراجها من المصادر وجمع اجزائها لاكمال الصورة عن الموضوع.

ولا بد ان نذكر ان الحصار الجائر المفروض على قطرنا قد حال بيننا وبين المصادر التي كتبت حول الموضوع هنا وهناك في الوطن العربي فالكثير من تلك المظان قد نشر او حقق في السنوات الاخيرة مثل **فتاوى ابن رشد** الجد و**نوازل القاضي عياض** وغيرها ، ولم تفلح محاولاتنا في المراسلة من الحصول عليها.

واشتملت الدراسة على خمسة فصول . تناول الفصل الاول منها المراسلة بين الفقهاء باعتبارها وسيلة رئيسة من وسائل الاتصال بينهم . وتم التمييز بين نوعيها ، المراسلة

---

[١](رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦).

[٢] محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة (ط٢ ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩م) ، ص١٨٢-١٨٤ ؛

Watt Motogomery, A history of Islamic Spain (Great Britain:1965) p65.

[٣] عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة: دار احياء التراث الاسلامي ، ١٩٦٣) ، ص٣٥٤.

الشخصية والمراسلة الوظيفية . وقبل بحثهما كان لا بد من توضيح مفهوم المراسلة وطرق نقل الرسائل . ومن ثم تم تناول المراسلة الشخصية ، التي تشعبت محاورها ، وقد ضمت موضوع رسائل التوصية ، وموضوع دور المراسلة في التأليف ، الذي شمل عدة جوانب لانها استخدمت في خدمته ، وكانت مصدراً له احيانا ، وتبيان دورها في التأليف الخاص في موضوع محدد في احيان اخرى ، واعتُمِدَت المراسلة ايضا للاستشارة في التاليف في موضوع محدد ، وتم اخيرا توضيح دورها في متابعة الجديد في التاليف . وبعد هذا انتقلنا الى تناول المراسلة الوظيفية ، التي انحصرت في المراسلة لطلب المشاورة والمراسلة لتبليغ الاحكام القضائية .

اما الفصل الثاني ، فقد تواصل مع الفصل الاول ببحث وسيلة اخرى من وسائل الاتصال مع الفقهاء ، وهي انتقال العلماء بين المدن . فقد تنقل العديد من الفقهاء بين مدن مختلفة في المغرب والاندلس ، وذلك لعدة اسباب ، تم بحثها في الفصل . وقسمت الى اسباب سياسية وعلمية ووظيفية ، كما تم تبيان دور الجهاد في انتقال العلماء ، فضلاً عن اسباب اخرى متفرقة . وفي ختام الفصل وضحنا ابرز النتائج التي اسفرت عن ذلك الانتقال.

وبعد الانتهاء من وسائل الاتصال بين الفقهاء ، انتقلنا الى بحث جانب اخر من العلاقة بين الفقهاء ، وهو علاقة التعاون بينهم ، وذلك في الفصل الثالث . وقد تعددت وجوه تلك العلاقة ، فمنها ما تعلق بتعامل الفقهاء مع الكتاب ، فقد تعاونوا فيما بينهم في مجال تاليف الكتب ومراجعتها ، بحيث تبادلوا النصائح بصدد ذلك احيانا ، كما تشاركوا احياناً في تاليف كتاب واحد. بالإضافة الى تعاونهم في مجال مقابلة الكتب وتصحيحها . وبعد الانتهاء من هذا المحور انتقلنا الى المحور الثاني الذي كان في مجال التعامل مع الكتاب ، وبحث تعاون الفقهاء في المحافظة على الكتب واعارتها ، وذلك من خلال وقفها وايداعها واعارتها. وبعد ذلك تناولنا محور تعاونهم في مجال التوجيه العلمي للطلبة. ومن ثم بحثنا العلاقة التعليمية بينهم ، من خلال استمرارهم في السعي لطلب العلم ، عن طريق الحصول على سماعات جديدة وعقد مجالس التدريس بينهم ، بالإضافة الى مجالس الفتوى ومجالس اخرى تابعة للقضاء . وتم في نهاية الفصل بحث تعاونهم في المجالين الاجتماعي والاداري.

وقد عالج الفصل الرابع الحوار العلمي بين الفقهاء ، لتوضيح وسائل وادوات النقاش بينهم ، وميزنا ثلاثة اشكال منها . الاول هو المذاكرة ، وفي بداية هذا المحور بينا آلية المذاكرة من حيث الشروط الواجب توفرها في المشاركين فيها وظروف عقد مجالسها ، وبعد ذلك حددنا شكلين من مجالسها ، الاول خاص بالمذاكرة في علم الحديث النبوي الشريف ، والثاني خاص بالمذاكرة في الفقه ، وفيهما بينا ابرز المجالس التي عقدت بخصوصهما في الاندلس والمغرب وما دار فيهما ، والشكل الثاني كان المناظرة ، وكما في المذاكرة بينا بدءاً

آلية المناظرة وما يتبع ذلك ، ثم تطرقنا الى ذكر نوعين من مجالس المناظرة بين الفقهاء ، بحسب الغاية منهما ، وهما المناظرة للتدريب على الفقه ، والمناظرة لاثبات الرأي. وبعد ذلك ذكرنا مناظرات فقهاء المالكية مع غيرهم من فقهاء المذاهب الاخرى في الاندلس والمغرب . اما الشكل الثالث فقد شمل تاليف الكتب ، وقيام بعض الفقهاء بتاليف كتب استكمالا لحوارهم مع غيرهم من الفقهاء ، وضمت بعض القضايا التي تحاوروا فيها .

اما الفصل الخامس فقد ختمنا به الدراسة بتناول موضوع الخصومات بين الفقهاء . فقد نشأ العديد منها بينهم وان كان السبب الجوهري في ذلك التنافس العلمي بينهم ، وتولدت عنه اسباب اخرى مختلفة ، فقمنا باعتمادها كمحاور للفصل وحاولنا توضيحها وتقديم انموذج عن كل واحد منها بخصومة معينة . فعرضنا الخصومات التي نشأت عن الاختلاف في الرأي العلمي وقدمنا انموذجا لها هو مسألة الايمان التي اثيرت في مدينة القيروان . وهناك خصومات نشأت بسبب الاستياء من ادخال علوم جديدة ، وقدمنا انموذجا لها وكان انموذجها لدينا قضية بقي بن مخلد في قرطبة ، وقد حاولنا متابعة حيثيات تلك القضية ومعرفة ما انتهت اليه. واحيانا قامت خصومات بين الفقهاء بسبب الطعن في صحة رواية وسماع غيرهم من الفقهاء ، وكان ذلك احد محاور الفصل . بالاضافة الى محور المنافسة العلمية الذي قدمنا ، قضية ابن العطار مع فقهاء قرطبة انموذجا له. كما بحث الفصل ايضا موضوع المحاسبة بعد العزل عن القضاء ، فقد كونت محاسبة بعض الفقهاء بعد عزلهم عن القضاء خصومات بين القاضي المعزول والقاضي الذي ولي بعده . وانهينا الفصل بموضوع المنافسة بين ارباب الوظائف الادارية ، وقدمنا خصومة القاضي احمد بن زياد مع فقهاء المشاورة انموذجا.

تحليل المصادر

اولا : كتب التراجم

كانت كتب التراجم العماد الرئيسي الذي قامت عليه الدراسة. وعند تناولها لزمنا ان نبدأ بكتاب **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك**[١] للقاضي عياض بن موسى السبتي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م). فقد اعتمدت الدراسة عليه كثيرا وفي مختلف فصولها . وذلك لسببين رئيسيين توفرا فيه ، وهما موضوعه وشخصية مؤلفه . فقد اختص بالترجمة لفقهاء المالكية حصرا في اية بقعة كانوا ، وقد كرس الجزءان الاول والثاني منه للكلام على ظروف انتشار المذهب في انحاء الدولة العربية الاسلامية وعن الامام مالك مؤسس المذهب . ثم جاءت الاجزاء الاخرى في تراجم فقهاء المذهب . وقد توقفت تراجمه حتى سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)[٢] ، وتنوعت مصادره ، لاسيما المكتوبة منها ، ومع اعتماد القاضي عياض على العديد من المصادر المتوفرة الان مثل **تاريخ العلماء** و**رياض النفوس** وغيرهما، فقد اعتمد على مصادر مفقودة اليوم مثل **تاريخ الفقهاء والقضاة** لاحمد بن محمد بن عبد البر (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م) وغيرها[٣]. وفي هذا بيان لوجود مادة تفرد **ترتيب المدارك** بتقديمها ، والتي تميزت بتنوعها وشمولها لجوانب عديدة من نشاط الفقهاء .

اما اهمية **ترتيب المدارك** فتكمن في شخصية مؤلفه الذي يعد من ابرز فقهاء المالكية في المغرب والاندلس . وقد تنقل بين الاندلس والمغرب وتعامل مع تراجم الفقهاء بلغة الخبير المهتم بمعرفة ظروف حيواتهم وعلاقاتهم العلمية ، اكثر من كونه مؤرخا . وبرز ذلك في ارائه التي ذكرها احيانا بخصوص بعض القضايا المهمة تعليقا تارة ونقدا تارة اخرى[٤].

---

[١] نشرت الكتاب وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية ، وعلى سنوات متتابعة ، الجزءان الاول والثاني سنة (١٩٦٥) وقدم لهما محمد بن تاويت الطنجي والجزءان الثالث والرابع سنة (١٩٦٨ ، ١٩٧٠) حققهما عبد القادر الصحراوي ، والجزء الخامس بتحقيق محمد بن شريفة. والاجزاء السادس والسابع والثامن سنوات (١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٣) وحققها سعيد احمد اعراب.

[٢] المصدر نفسه: ٢١٠/٨.

[٣] المصدر نفسه: ١٣/١ ، ٢٩.

[٤] انظر على سبيل المثال: ٥١/٤ ، ١٠٩ ، ٢١٩.

كما كان لمؤلفات محمد بن حارث الخشني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) دور واضح ايضا في امداد الدراسة بمعلوماتها . فقد الف الخشني ثلاثة كتب في التراجم هي : **اخبار الفقهاء والمحدثين**[١] و**قضاة قرطبة**[٢] و**طبقات علماء افريقية**[٣]. وقبل ذكر اثرها في الدراسة لا بد من الاشارة الى ان الخشني اشترك مع القاضي عياض في نفس الاسباب التي ادت الى اهمية مؤلفاته كمصدر لدراستنا فضلا عن صفة الخشني كمؤرخ فهو فقيه ايضا ، وكانت له مشاركة في المحافل العلمية في المغرب والاندلس بمختلف انواعها . وقد ولد ونشأ وتعلم في القيروان وانتقل بعد ذلك منها الى الاندلس واستقر في قرطبة التي توفي فيها[٤]. ومن هنا فقد كتب عن فئة كان احد افرادها . وظهر اثر ذلك واضحا في مؤلفاته التي اعتمدنا عليها . وبرز ذلك بايراده العديد من تفاصيل علاقة الفقهاء ببعضهم مما لم نجده في غيره من المصادر . لاسيما في **اخبار الفقهاء والمحدثين** الذي اختص بالترجمة للاندلسيين منهم . وقد كانت الاستفادة اكثر من غيره من مؤلفات الخشني لانه اكبرها حجما ولاحتوائه صورا متعددة الالوان عن نشاط الفقهاء بان اثرها في فصول الدراسة كلها وقد تفرد بتقديم نصوص لم نجدها في غيره من المصادر لانه اعتمد على مصادر لم تصل الينا مثل كتاب خالد بن سعد (ت٣٥٢هـ/٩٦٣م)[٥] مع اعتماده على الرواية الشفوية عن المدة التي لم يدركها[٦] ، اما المدة التي ادركها فقد قدم لنا مشاهدته عنها[٧].

وكانت بعض التراجم التي اوردها متقضبة جدا ، بيد انه في تراجم اخرى لم يكتف بايراد المعلومات الرئيسية عن كل ترجمة وبل توسع في بعض التراجم وقدم نصوصا متميزة، على سبيل المثال في موضوع المراسلة بين الفقهاء فقد اورد معلومات عن بعض الرسائل لم ترد في غيره من المصادر ويبدو ان ذلك جاء من صلته المباشرة بوسط الفقهاء . وفي موضوع الخصومة بين الفقهاء قدم لنا معلومات مهمة لم يوردها غيره عن خصومة بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) مع عدد من فقهاء المالكية في قرطبة ، ومع ان غيره من مؤلفي المصادر اشاروا الى تلك الخصومة عرضا ، فهو قد توسع في ذكر تفاصيل عنها . وربما

---

[١] تحقيق ماريا لويسا ابيلا ولويس مولينا (مدريد: المجلس الاعلى للابحاث العلمية ، ١٩٩٢).

[٢] (القاهرة: الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦).

[٣] (بيروت: دار الكتاب اللبناني ، (بلا.ت)).

[٤] عبد الله بن محمد بن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، شرح وتصحيح عزت العطار الحسيني ، (ط٢ ، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨): ٢/١١٤-١١٥.

[٥] انظر على سبيل المثال: ص٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٨٦ ، ٩٧.

[٦] انظر على سبيل المثال: ص١٢ ، ١٤ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١١٣ ، ١١٤.

[٧] انظر على سبيل المثال ص: ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ١١٤ ، ١٥٩.

كان ذلك لتأثره بالمحنة التي تعرض لها بقي بن مخلد ، في حين لم يوردها غيره ربما تحرجا من ذكر تفاصيل الحيف الذي لحق بقي بن مخلد .

اما كتابه **طبقات علماء افريقية** ، فهو كتاب صغير في حجمه وانعكس ذلك على التراجم التي وردت فيه فقد جاء اكثرها مقتضبا ، ومع هذا وجدنا فيه معلومات مهمة بعضها كانت لـــه صلة مباشرة بها . وافادنا كتابة فيما يخص المراسلة والمناظرة . اما كتاب **قضاة قرطبة** فقــد اشترك مع **طبقات علماء افريقية** في صغر حجمه ، بيد ان له خصوصية معينة في اقتــصاره على تراجم الفقهاء الذين تولوا قضاء قرطبة ، فقد اهتم بمقتضى واقعهم كفقهاء وحاول عرض ما يتعلق بامور توليتهم القضاء والظروف التي مرت بهم خلال ذلك ، ومــن هنــا قــدم لنــا معلومات مهمة عن العلاقة بين الفقهاء باوصافهم قضاة ، ومها ما يتصل بالمحاسبة بعد العزل عن القضاة وقد كان المصدر الوحيد عن هذه المسألة.

وقد تم الاعتماد ايضا على العديد من كتب التراجم الاندلــسية ومنهــا **تــاريخ العلمــاء والرواة للعلم بالاندلس** لعبد الله بن محمد بــن الفرضــي (ت٤٠٣هــ/١٠١٢م) و**كتــاب الصلة**[١] لخلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت٥٧٨هــ/١١٨٢م) و**التكملة لكتــاب الــصلة**[٢] و**المعجم في اصحاب القاضي ابــي علــي الــصدفي**[٣] لمحمــد بــن عبــد الله بــن الابــار (ت٦٥٩هــ/١٢٦٠م) . ومع انها في تراجمها اعتمدت منهجا محددا حرصت على الالتــزام به في اغلب التراجم ، وهو التركيز على نسب صاحب الترجمة وشيوخه وطلابــه ورحلاتــه العلمية وذكر ابرز مؤلفاته وسنتي ولادته ووفاته ، ومع مجيء الترجمة مختصرة . فقد ضمت احيانا ولو بصورة مقتضبة معلومات مهمة عن النشاط العلمي لصاحب الترجمة . وقد غــذت تلك المعلومات الدراسة من بعض فصولها لاسيما فيما يخص انتقال الفقهاء بين المدن واسباب ذلك ، وفيما يتعلق ايضا باوجه التعاون بين الفقهاء بمختلف محاوره.

اما كتب التراجم المغربية فقد كان لكتابي **طبقات علماء افريقية وتونس**[٤] لابي العــرب محمد بن احمد (ت٣٣٣هــ/٩٤٤م) و**كتاب رياض النفوس**[٥] لعبد الله بــن محمــد المــالكي (ت بعد ٤٥٣هــ/١٠٦١م) مساحة ملحوظة في اعتماد الدراسة عليهما وفي مختلف فصولها. لان مؤلفيهما قد عاشا ضمن مدة الدراسة . وكانا من العلماء المشهورين في ذلــك الوقــت ،

---

[١] (القاهرة: الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦).

[٢] جزء عُني بنشره وصححه عزت العطار الحسيني (القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥). وجزء نشره قدارة زيدين (مدريد: مطبعة روخس ، ١٨٨٦ - ١٨٨٩). وجزء نشره فنزال بالنسية (مدريد: ١٩١٥).

[٣] (القاهرة: دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧).

[٤] تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباقي (تونس: الدار التونسية ، ١٩٦٨).

[٥] تحقيق بشير البكوش (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٣).

وبهذا امدانا بمعلومات شاهدي عيان على بعض الوقائع او شـاهدي سـماع مـن اشـخاص شهدوها.

ثانيا : كتب الفقه

وكانت بمختلف انواعها احدى مصادر الدراسة لا سيما كتب الفقـه المـالكي ، وكـان بعضها كتبا متخصصة ، مثل تلك ما أُلِّفت اساسا لمساعدة القضاة في اداء واجباتهم ، لتكـون مراجع يعودوا اليها عند الحاجة ولترشدهم الى القواعد الادارية التي عليهم اتباعهـا . ومنهـا كتاب ابراهيم بن علي بن فرحون (ت٧٨٨هـ/١٣٨٦م) **تبصرة الحكام في اصول الاقـضية ومناهج الاحكام**[١]. وكتاب سليمان بن خلف الباجي (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) **فصول الاحكام**[٢]. وقد اعتمدت الدراسة عليهما في جوانب محددة. لاسيما تلك التي تعلقت بالمراسلة الوظيفيـة ، فقد قدم لنا **تبصرة الحكام** معلومات مهمة وقيمة عن ذلك الموضوع . وشرح الشروط الواجب توفرها في الرسائل المتبادلة بين القضاة والاسباب الداعية اليها ، وعزز ذلك احيانـا بامثلـة حصلت في المغرب والاندلس . كما قدم اراءاً عن كيفية التمييز بـين المراسـلة الشخـصية والمراسلة الوظيفية. وقد قدم لنا **فصول الاحكام** ايضا معلومات عن بعض الـشروط الواجـب توفرها في الرسائل المتبادلة بين القضاة . ولكن جاء ذلك بصورة مختصرة وبتفصيلات اقـل من تلك التي قدمها **تبصرة الحكام**.

كما أُعتمِد ايضا على كتب النوازل والاحكام . وتاتي قيمة هذه الكتب من كونهـا كتبـت اساسا من واقع الحياة لكونها فتاوى عرضت على الفقهاء او قضايا عرضت على القضاء ومن ابرز كتب النوازل التي اعتمدنا عليها **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتـاوى علمـاء افريقية والاندلس**[٣] لاحمد بن يحيى الونشرسي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨ م) .

---

[١] (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٨٥).

[٢] تحقيق محمد ابو الاجفان ، (تونس: الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥).

[٣] اشراف محمد حجي (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨١).

وقد امدنا بمعلومات مهمة تفرد في بعضها وخاصة فيما يتعلق بموضوع المراسلة الوظيفية . وموضوع التعاون بين الفقهاء في الجانب الذي تناول مجالس الفتوى والمشاورة . وكذلك **كتاب احكام ابن سهل**[١] لابي الاصبغ عيسى بن سهل (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) فقد دون فيه ابن سهل الكثير من القضايا التي عرضت عليه ابان توليه القضاء . ومن هنا حفل كتابه بالكثير من القضايا التي احتاج فيها الى الاستعانة بفقهاء المشاورة ، وبهذا يعد مصدرا رئيسيا عن ذلك الموضوع ، لاسيما فيما يتعلق بالحصول على المشاورة عن طريق المراسلة وبتقديم امثلة لمجالس مشاورة بين الفقهاء .

اما كتب الحسبة التي تعد من ضمن كتب الفقه ايضا فقد استعنا بعدد منها ، مثل **كتاب احكام السوق**[٢] ليحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) ومجموعة رسائل ضمن كتاب **ثلاث رسائل في اداب الحسبة والمحتسب**[٣] **وكتاب التيسير في احكام التسعير** لاحمد بن محمد المجيلدي (ت١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)[٤]. وقد افادتنا في موضوع المراسلة لغرض تبليغ الاحكام القضائية . وقدمت لنا امثلة لعدد من المراسلات حول الموضوع في المغرب والاندلس .

ومن كتب الفقه العامة تم الاعتماد على عدد من مؤلفات احمد بن محمد بن رشد الجد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) وهي **المقدمات الممهدات**[٥] و**البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**[٦]. وكان لمقدمة **المقدمات الممهدات** ، اهمية كبيرة لانه قدم فيها نصا متميزا عن مجالس المناظرة في قرطبة ، وبالاضافة الى ذلك فقد تمت الاستعانة به

---

[١] حققها محمد عبد الوهاب خلاف وطبع اقساماً منها بصورة متفرقة في عدة كتب هي:

- تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد بالاندلس (الكويت: حولية كلية الاداب ، الحولية الخامسة ، ١٩٨٤).
- وثائق في احكام قضاء اهل الذمة في الاندلس (القاهرة: المركز العربي الدولي للاعلام ، ١٩٨٠).
- وثائق في احكام القضاء الجنائي في الاندلس (القاهرة: المركز العربي الدولي للاعلام ، ١٩٧٩).
- وثائق في الطب الاسلامي ووظيفته في معاونة القضاء في الاندلس (القاهرة: المركز العربي الدولي للاعلام ، ١٩٨١).

[٢] تحقيق محمود علي مكي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، الجزء٤ ، (١٩٥٦).

[٣] حققها ونشرها ليفي بروفنسال منها: رسالة الجرسيفي في الحسبة ورسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة (القاهرة: المعهد الفرنسي للاثار الشرقية ، ١٩٥٥).

[٤] تحقيق موسى لقبال (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٠).

[٥] تحقيق محمد حجي (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٨).

[٦] تحقيق محمد حجي (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٤).

عند الحاجة الى توثيق بعض المعلومات الفقهية . اما **البيان والتحصيل** فقد كان احد المصادر التي اعتمدنا عليها في موضوع المراسلة الوظيفية وقد اتم هو و**تبصرة الحكام** معلوماتنا عن ذلك الموضوع .

ثالثا: كتب الفهارس :

في هذه الكتب يقدم صاحبها ثبتا بالشيوخ الذين اخذ عنهم مع ذكر ابرز ما اخذ عنهم[١]. وقد اتبع كاتبوها منهجين في تاليفها . احدهما يرتب فيها كاتبها محتوياتها بحسب شيوخه ، فيقدم ترجمة لشيخه قد تطول او تقصر ثم يذكر ابرز الكتب والروايات التي اخذها عنه ، وترتب التراجم بحسب حروف المعجم ، ومثَّلَ هذا النوع فهرسة القاضي عياض **الغنية**[٢] ، و**فهرسة ابن عطية** لعبد الحق عن عطية[٣] (ت حوالي ٥٤١هـ/١١٤٥م) . والاخر يركز صاحبها فيها على الكتب التي سمعها ويرتب محتويات فهرسته على اساس موضوعات تلك الكتب ، والترجمة للشيوخ فيها تكاد لا توجد ومن الفهارس التي اتبعت هذا المنهج **فهرسة ماورواه عن شيوخه**[٤] لابي بكر محمد بن خير (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م) .

وفي **الغنية** ترجم القاضي عياض لعدد معين من شيوخه ولم يشملهم كلهم[٥] ومع هذا فان القاضي عياض لم يورد اغلب تلك التراجم في **ترتيب المدارك**. وربما كان قد كتب فهرسته اولا ، ولهذا عندما كتب **ترتيب المدارك** لم يكرر ما اورده فيها . ومن هنا تتواصل **الغنية** مع **ترتيب المدارك** بتقديم تراجم لابرز فقهاء المالكية غطت مدة الدراسة كلها . وقد اشتركت **الغنية** مع **فهرسة ابن عطية** بتقديم معلومات رئيسية عن عدد من محاور الدراسة ، وهي المراسلة لغرض الحصول على الاجازة والتوثيق ، وانتقال الفقهاء بين المدن بمختلف اسبابه بالاضافة الى موضوع المناظرة .

---

[١] شعبان عبد العزيز خليفة ، "فهارس الشيوخ" ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، ١٩٩٢ ، العدد٤ ، ص٨٩.

[٢] تحقيق ماهر زهير جرار (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٢).

[٣] تحقيق محمد ابو الاجفان ومحمد الزاهي (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٠).

[٤] نشر فرانشسكو كوديرة وتلميذه خوليان ريبيرا (ط٢ ، بيروت: دار الافاق الجديدة ، ١٩٧٩).

[٥] مقدمة المحقق ، ص٢٥.

رابعا : كتب مصطلح علمي الحديث والفقه

استفادت الدراسة من عدد من المؤلفات التي كتبت فيهما . ومنها كتاب **الفقيه والمتفقه**[١] لاحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠ م) و**جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**[٢] لعمر بن يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) و**الالماع لمعرفة اصول الرواية وتقييد السماع**[٣] للقاضي عياض .

وقد اعتمدت الدراسة على **الفقيه والمتفقه** في موضوع الحوار العلمي بين الفقهاء ، لاسيما فيما يخص المناظرة ، بحيث كان مصدرا مهما في شرح اليتها وتوضح شروط عقد مجالسها . واشترك معه في تقديم تلك المعلومات **جامع بيان العلم وفضله** ، فهما افادانا بمعلومات مهمة عن المناظرة والمذاكرة ايضا . اما **الالماع** فقد استفادت الدراسة منه في المواضيع التي تطرقت الى السماع وطرق الحصول عليه وتوثيقه . وكان قسم من ذلك في موضوع المراسلة بين الفقهاء ، فيما يتعلق بدور المراسلة في الحصول على السماع عن طريق الاجازة ، وفي موضوع التعاون بين الفقهاء ، اعتمدنا على **الالماع** فيما يتعلق بتعاون الفقهاء في مقابلة الكتب.

خامسا: كتب التاريخين العام والمحلي :

كان اعتماد الدراسة عليهما محدوداً. وذلك للمنهج المتبع في تاليفهما والذي اخذت فيه الاحداث السياسية الحيز الاكبر. ومع هذا فقد افادنا بعضها في موضوع انتقال الفقهاء بين المدن عند بحث اسبابه السياسية وذلك للترابط بين بعض الاحداث السياسية والاسباب التي دفعت الفقهاء للانتقال بسببها مثل هيجة الربض في قرطبة ، ومن تلك المصادر **تاريخ افتتاح الاندلس** لابن القوطية (ت٣٦٧هـ/١٩٧١م)[٤] ، و**المعجب في تلخيص اخبار المغرب** لعبد الواحد علي المراكشي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)[٥]. اما **نظم الجمان** لعلي بن محمد بن القطان (ت٦٢٨هـ/٨٤٢م) فقد قدم لنا نصا مهما لظهير اصدره الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي افادنا في موضوع طرق نقل الرسائل .

---

[١] (القاهرة: دار احياء السنة النبوية ، ١٩٧٥).

[٢] تصحيح ومراجعة عبد الرحمن محمد عثمان (ط٢ ، المدينة المنورة: المكتبة السلفية ، ١٩٦٨).

[٣] تحقيق السيد احمد صقر (القاهرة – تونس: دار التراث – المكتبة العتيقة ، ١٩٧٠).

[٤] تحقيق عبد الله انيس الطباع (بيروت: دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٨).

[٥] تحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة: ١٩٦٣).

في حين تميز حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م) في **المقتبس في اخبار بلد الاندلس**[1]. بتقديم نصوص عن العلاقة بين الفقهاء في قرطبة اختصت بموضوع الخصومة بينهم . ومما قدمه من نصوص لم نجدها في غيره عن خصومة بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني مع فقهاء قرطبة ، وبهذا اكمل لنا المعلومات التي قدمها **اخبار الفقهاء والمحدثين** عن ذلك الموضوع .

وكان **تاريخ افريقية والمغرب**[2] لابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني (ت بعد ٤١٧هـ/١٠٢٦م) احد مصادر الدراسة ايضا . ولكنه قدم لنا معلومات محدودة عن الفقيه عبد الله بن غانم في معرض حديثه عن تولي القضاء في القيروان . وقد افادنا ذلك في موضوع المراسلة بين الفقهاء وفيما يخص طرق نقل الرسائل تحديدا .



---

[1] الجزء الثالث ، اعتنى بنشره الاب ملشورم. انطونية (باريس: ١٩٣٧).
الجزء الخامس ، نشره شالمتيا واخرون (مدريد: المعهد الاسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩).
وثمة جزء حققه ، محمود علي مكي (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣).

[2] تحقيق وتقديم المنجي الكعبي (تونس: نشر رفيق السقطي ، ١٩٦٧).

واخيراً فهذه ثمرة المبتدئ وحصيلة الدراسة فما كان في الرسالة من صواب فهو من فضل الله وكرمه ، وهو ما نهدف اليه . وما كان فيها من زلل او تقصير فهو من هفوات النفس والكمال لله تعالى ، وحسبنا اننا توخينا الدقة والصواب ، وبذلنا جهدنا وطاقتنا في ذلك .

وانا انجز رسالتي بعد حمد الله وشكره لا يسعني الا ان اتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور مزاحم علاوي الشاهري لتفضله بالاشراف على اعداد هذه الرسالة ، وتعجز الكلمات عن ايفائه حقه ، حيث رافقني في اعداد الرسالة بكل صبر ومودة موجها ومصوبا لكثير مما ورد فيها مما ساهم باخراج الرسالة بالشكل العلمي المطلوب ، كما كان لمكتبته العامرة الدور الكبير في امداد الرسالة بالعديد من مصادرها ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما اتقدم بشكري الجزيل للاستاذ الفاضل الدكتور عبد الواحد ذنون طه الذي افادني بتوجيهاته في بداية عملي في الرسالة ، كما زودني بالعديد من المصادر التي لم اجدها في المكتبات ، والى الدكتور جعفر حسن صادق الذي اعارني عددا من المصادر من مكتبته الخاصة . والى الدكتور عبد الرزاق ذنون الجاسم على تشجيعه ومساندته لي . ومن واجبي ايضا ان اتقدم بالشكر الى عمادة كلية التربية / جامعة الموصل . والى اساتذتي الافاضل الذين نهلت من علمهم في السنة التحضيرية . والى موظفات المكتبة المركزية لتعاونهم المثمر . والى كل من اعانني بنصيحة او عمل . ومن الله التوفيق .

الفصل الاول

المراسلة بين الفقهاء

أولا: في مفهوم المراسلة

أ- المفهوم اللغوي .

ب- طرق نقل الرسائل .

جـ- الرد على المراسلة .

ثانيا : المراسلة الشخصية

أ. رسائل التوصية .

ب. دور المراسلة في التاليف .

-التاليف بموضوع محدد .

-المراسلة مصدرا للتاليف .

-الاستشارة بالتاليف في موضوع محدد .

-متابعة الجديد في التاليف .

ج-الحصول على الاجازة والتوثيق .

د-دور المراسلة في مسائل مختلفة

ثالثا: المراسلة الوظيفية

أ-المراسلة لطلب المشاورة .

ب-تبليغ الاحكام القضائية .

ان وصول طالب العلم الى مرتبة علمية تؤهله لان يكون فقيها لا تعني انقطـاع صـلته بغيره من فقهاء عصره . بل ان ذلك سببا لوجود تلك الصلة احيانا ، اذ واجه بعـض الفقهـاء مواقف احتاجوا فيها الى الاتصال بغيرهم من الفقهاء ، على الرغم من تباعد اماكنهم واختلاف مدن سكناهم ، كالحاجة الى مشورة غيرهم من الفقهاء في مسألة ما . حتى غدا الاتصال بـين الفقهاء في بعض الاحيان من الضرورة التي تَحَتَم عليهم الحرص عليها بدافع التواصل العلمي اولا وبدافع وظيفي ثانيا لمن تولى القضاء او المشاورة . ومع ذلك فان الاتصال لم يكن علـى وتيرة واحدة وانما تراوح بين القوة والضعف باختلاف الغايات منه .

وقد تم ذلك الاتصال بوسيلتين رئيسيتين ، هما المراسلة والتنقل بـين المـدن . حيـث استخدم الفقهاء المراسلة في اطار العلاقة العلمية او الوظيفية بينهم . ويمكن تقسيمها في ضوء ذلك الى قسمين ، مراسلات شخصية وهي التي تبادلها الفقهاء لاسباب خاصة بهم كأن تكـون رسائل توصية لطلابهم ، او للمساعدة في الحصول على المعلومات في اثناء تـاليف الكتـب وغيرها من الاسباب ، وتتبع نتائج هذه المراسلات قوة العلاقة بين الطرفين . اما القسم الاخر فهي المراسلات الوظيفية وتعد رسائلها من ضرورات المنصب الاداري الـذي تـولاه الفقيـه وبمقتضاه تراسل مع غيره من الفقهاء . واستخدم هذا القسم من المراسلات القـضاة بالدرجـة الرئيسية ثم الفقهاء المشاورون .

اولا : في مفهوم المراسلة

أ. المفهوم اللغوي

اتبع فقهاء المالكية اسلوب المراسلة منذ وقت مبكر[١] . اقتداءا بالامام مالك الذي كانت المراسلة احدى وسائله في النقاش مع الفقيه المصري الليث بن سعد (ت١٧٥هـ/٧٩١م) ، وفي خلالها تناول مسائل فقهية كانت مدار جدل ونقاش بينهما[٢]. وفيما سنتناوله دليل على اهتمام المغاربة والاندلسيين بالمراسلة وتنوع الغايات منها . وقبل الخوض في تفاصيل تلك المراسلات لابد من توضيح العبارات التي وردت في المصادر عند الاشارة لمراسلة ما . ويمكن حصرها بصيغتين الاولى : المشتقة من الفعل ((كتب)) . وقد وردت ضمن النصوص التي تعلقت بالمراسلة الشخصية والادارية على حد سواء . ومنها عبارة ((كتب الى)) حيث يذكر القاضي عياض[٣] في ترجمة علي بن زياد التونسي (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م) ((وكتب البهلول مع سحنون الى علي بن زياد)) . وفي ترجمة ابي محمد محرز بن خلف القيرواني (عاش في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد) ((وكتب الى الابهري يسأله))[٤]. واستخدمت ايضا عبارة ((مكاتبا)) كما يقول ابو عمر يوسف بن عبد القرطبي في كتابه **الاستذكار**[٥]. ((ومنهم من سألني ذلك من افاق نائية مكاتبا)) . اما ((كتاب)) فقد دلّ على

---

[١] محمد المكي الناصري ، "المذهب المالكي مذهب المغاربة المفضل" ، ضمن كتاب ندوة الامام مالك (الرباط: مطبعة نضال ، ١٩٨٠): ٧٩/١ ؛ الصباغ ، المرجع السابق ، ص١٥٣ ؛ رعد حسن فليح ، الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٤) ، ص١٤٨.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤١/١-٤٤. لقد تمت مناقشة مبدأ "عمل أهل المدينة" في هذه المراسلة فقد وضح الامام مالك مسوغاته للتمسك به وبَيَّنَ الليث بن سعد اراءه المناقضة لذلك لتفرق اصحاب الرسول ﷺ في الامصار. محمد ابو زهرة ، مالك (القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٦٤) ، ص١٣٤. والليث بن سعد هو امام اهل مصر في عصره بالفقه والحديث اتقن المناظرة والمذاكرة وكانت علاقته وطيدة بالامام مالك. احمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتاب العربي ، (بلا، ت): ٣/١٣ ؛ احمد بن علي بن حجر ، تهذيب التهذيب (حيدر اباد الدكن: مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٩٠٨): ٤٥٩/٨.

[٣] ترتيب المدارك: ٨٤/٣.

[٤] المصدر نفسه: ٢٦٦/٧.

[٥] تحقيق علي النجدي ناصف (القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ١٩٧٠): ٢١/١.

الرسالة بشكل عام . فقد كتب الامام عبد الرحمن بن القاسم (ت١٩١هـ/٨٠٦م)[١] من مصر الى ابي سنان زيد بن سنان (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م) في القيروان كتابا[٢].

وعند مراجعة معاجم اللغة العربية لمعرفة مدلولات تلك العبارات نجد محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) يقول في مادة ((كتب)) من **تاج العروس**[٣] ((كتبه اذا خطه او اكتتبه ... والكتاب ما يكتب فيه والكتاب الصحيفة يكتب فيها ... والمكاتبة بمعنى التكاتب يقال كاتب صديقه وتكاتبا)) اما محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) فيقول في **لسان العرب المحيط**[٤] ((كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتبه خطه والكتاب ما كتب فيه)) وهذا يؤكد ان تلك الرسائل كانت مكتوبة . ومع ذلك لا يمكن ان نستبعد وجود مراسلة شفوية بين الفقهاء[٥].

والصيغة الثانية المشتقة من الفعل((خطب)) . حيث خاطب ابن السقاء ابراهيم بن يحيى قاضي بطليوس الفقيه عبد الملك بن مروان بن محمد [٦]. كما خاطب عبد المنعم بن مروان بن سحنون قاضي المرية عبد الله بن علي بن سحنون قاضي تلمسان[٧]. ودلت تسمية خطاب على الرسالة التي ضمت تلك المخاطبة[٨]. ويقول ابن منظور[٩] في مادة ((خطب))

((والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان)) . وهذا يدل على ان الخطاب او المخاطبة تستلزم الرد والجواب . وعند النظر في النصوص التي ضمت تلك الصيغة نرى انها تعلقت بالقضاء وفقهاء المشاورة حصراً ، أي

---

[١] من ابرز اصحاب الامام مالك المصريين وبرأيه عمل الفقهاء في الاندلس والمغرب ، وعنه سُمعت المدونة أبرز كتب الفقه المالكي وكانت علاقته قوية بفقهاء المغرب والاندلس. ابو عمر يوسف بن عبد البر ، الانتقاء في فضائل الائمة الثلاثة الفقهاء (القاهرة: مكتبة القدسي ، ١٩٣١) ، ص٥٠-٥١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٤/٣.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٣/٤.

[٣] (بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع) ، ١٩٦٦: ٤٤٤/١.

[٤] رتبه حديثاً يوسف خياط (بيروت: دار لسان العرب ، (بلا ، ت)): ٣١٦/١.

[٥] ابو العرب ، المرجع السابق ، ص٢١٣.

[٦] الونشيرسيي ، المصدر السابق: ٢٢١/٩.

[٧] المصدر نفسه: ٩٥/١٠.

[٨] المصدر نفسه: ٣٣١/٢ ، ٢٢١/٩ ، ٥٨/١٠.

[٩] المصدر السابق: ٨٥٥/١.

انها ضمن المراسلة الادارية . وقد كان من الثابت اطلاق تسمية المخاطبة او الخطــاب علــى المراسلات الادارية في حالات معينة[١]. ويشير ابن فرحون[٢] الى ذلك بوضوح حيث يقول

((تنبيه على امر خفي وهو الفرق بين كتاب القاضي الى القاضي على معنى المخاطبة وكتابه اليه على معنى الشهادة)) وهذا يفسر السبب في استخدام صيغة الكتاب احيانا والخطاب احيانا اخرى فيما يتعلق بالمراسلة الادارية .

ب - طرق نقل الرسائل

وُجِدَ في المغرب والاندلس خدمات بريدية منظمة ، منها البريد المعتمد علــى الحمــام الزاجل في نقل الرسائل[٣] ، والبريد الارضي المعتمد على الافراد[٤]. وكــان البريــد الــذي اشرفت عليه الدولة خاصا بنقل رسائلها فقط دون تقديم خدماته للمواطنين[٥]. ومع هــذا فقــد وجدَ في المقابل بريد شعبي قدم خدماته للمواطنين ، وعُرِفَ ساعي البريد فيه باسم الرقاص[٦]

---

[١] الباجي ، ص١٧٤-١٧٥. ولمزيد من الامثلة انظر الونشيرسيي ، المــصدر الــسابق: ١٣٤/٢ ، ١٢/٩ ، ٢٢١ ، ٩٥/١٠.

[٢] تبصرة الحكام: ١٦/٢.

[٣] عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق دي ســلان (الجزائــر: ١٨٥٧) ، ص٤٦ ؛ عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقــدم العــصور الــى اليــوم (الرباط: مطبعة فضالة ، ١٩٨٧): ٢٢٩/٤ ؛ خولة عيسى محمد صالح ، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الاسلامية حتى عام ٣٣٤ هــ (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعــة بغــداد ، ١٩٨٥) ، ص١٢٦.

[٤] س.د جوايتاين ، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، ترجمــة وتحقيــق عطيــة القوصــي (الكويت: وكالة المطبوعات ، ١٩٨٠) ص٢١٩ ؛ التازي ،المرجع السابق: ٢٢٩/٤.

[٥] جوايتاين ، المرجع السابق ، ص٢١٩ ؛ ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة (ط٤ ، بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧): ٤١٩/٢ ؛ صالح ، المرجــع السابق ، ص٥٤ ؛ ج.ف.ب هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة امــين توفيق الطيبي (تونس: الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٠) ، ص٥٩.

[٦] رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم النعيمــي (بغــداد: دار الرشــيد للنــشر ، ١٩٨٢): ١٨٧/٥ ؛ التازي ، المرجع السابق:٢٣١/٤.

او الفيج[١]. وقد اشتهر اسم الرقاص في المغرب والاندلس[٢]. وكان بإمكان ساع واحد نقل البريد من القيروان الى القاهرة وحتى من المرية عبر المغرب الى الاسكندرية مقابل اجور زهيدة ، بحدود درهم ونصفا لنقل رسالة من المرية الى الاسكندرية[٣].

وقد حفظ ابن القطان في كتابه **نظم الجمان**[٤] ظهيرا مهما اصدره القائد الموحدي عبد المؤمن بن علي[٥] سنة (ت٥٤٣ هـ/١١٤٨م) ووزع منه نسخا عديدة في الاندلس والمغرب[٦]. عرض في قسم منه الى ذكر البريد[٧] ، ويمكن توضيح جوانب مهمة من عمل الرقاصين وهي:

ان الفئات التي تحتاج للرقاصين هم الطلاب وشيوخهم والاعيان في المغرب والاندلس. اما كيفية عمل الرقاصين ، فقد كانوا ينطلقون على شكل مجموعات. اما نفقاتهم ، فقد تحمل سكان المناطق التي مر بها الرقاصون مؤونتهم وعلف دوابهم ، وذلك ليس عن رغبة منهم ولكن بطلب من الرقاصين ومضايقتهم. ويفسر هذا سبب رخص الخدمات البريدية ، وقد اوصى عبد المؤمن بن علي في ظهيره ، بالقضاء على تلك العادة بتكفل من يرسل البريد بزاد ونفقة الرقاص الذي يحمله ، لتجنب مضايقة لاناس وتحميلهم مالا يطيقونه ،

---

[١] جوايتاين ، المرجع السابق ، ص٢٢٠ ؛ صالح ، المرجع السابق ، ص٧٣ ؛ والفيح كلمة فارسية تعني الذي ينقل الرسائل. موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي ، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد شاكر (طهران: مطبعة الاوفسيت ، ١٩٦٦) ص٢٤٣ ؛ ابن منظور ، المصدر السابق: ١١٥٢/٢.

[٢] جوايتاين ، المرجع السابق ، ص٢٢٠ ؛
S.D. Goitrein, “Fuyudg” The Encyclopedia of Islam, (N. Edition, 1965), vol.11, p969.

[٣] Goitein, Op. Cit.: 2/969

[٤] ص١٥٠-١٦٧. واشارت مصادر اخرى الى هذا الضهير لكنها لم تورد نصه ، مثل عبد الملك بن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادي التازي (بيروت: دار الاندلس ، ١٩٦٤)، ص٣٠٧ ؛ ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، فاس: ١٩٨٠ – ١٩٨١ ، ع٤-٥ ، ص٣٠٥.

[٥] نشأ طالب علم وحج والتقى بابن تومرت مؤسس دولة الموحدين فتوطدت علاقتهما وعندما تولى ابن تومرت قيادة الموحدين جعل عبد المؤمن قائد جيشه واختصه بثقته ولما مات خلفه عبد المؤمن باجماع اصحابه ، وعلى يده سقطت الدولة المرابطية وتوفي سنة (٥٥٨هـ / ١١٦١م). ابو بكر بن علي البيذق، اخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧١) ، ص١٦ ، ١٧ ، ٤٥ ؛ مؤلف مجهول ، الحل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة ، ١٩٧٩) ، ص١٤٢.

[٦] ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٣٠٥.

[٧] ابن القطان ، المصدر السابق ، ص١٦٢.

وابلاغ الرقاصين بذلك ويتعرض للعقاب منهم كل من لا يلتزم بتلك التوجيهات . فضلا عن ذلك فان محتاجي الرقاصين عليهم ان يختاروا من الرقاصين اصحاب الثقة وان يحددوا لهم عند انطلاقهم لعملهم الوقت الكافي لقضاء مهمتهم محسوباً بالايام ، ويؤخذ بنظر الاعتبار المناطق التي عليهم المرور بها . مما يدلل ان الرقاصين لم يخضعوا قبل ذلك لجهة ما تتولى تنظيم عملهم وانما كان ذلك مسألة ذاتية متروكة لهم . ومن هنا يمكن القول ان عبد المؤمن بن علي قد عمل على تنظيم البريد الشعبي في اطار مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تظمنه ظهيره السابق الذكر . وقد اشار جوايتاين[١] ايضا حسب ما وجده في وثائق جنيزة القاهرة الى ان ذلك البريد لم يخضع لتنظيم نقابي .

فضلاً عن وجود الرقاصين فقد توفرت للفقهاء وسائط اخرى لنقل رسائلهم ، عن طريق طلبة العلم والحجاج وعن طريق الشخص المستفيد من الرسالة وكان احيانا لبعض الفقهاء المواظبين على المراسلة افراد خاصون لنقل رسائلهم . واختلفت الوساطة التي استخدمها الفقهاء تبعا لمحتوى الرسالة والمكان المرسلة اليه. فقد وفرت الرحلة العلمية المجال للفقهاء بالاستعانة بطلاب العلم لينقلوا رسائلهم . لا سيما اذا كانت وجهتهم نفس بلد المُرْسَل اليه. فقد حَمَّلَ القاضي ابو عبد الله محمد بن بشير (ت١٩٨هـ/٨١٣م) يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٦م) ، مسائل سأل عنها الامام عبد الرحمن بن القاسم في مصر[٢]. ويبدو ان ذلك حصل خلال رحلة يحيى بن يحيى الثانية لطلب العلم الى مصر ، حيث لم يلق فيها الا ابن القاسم وبه تفقه[٣]. وكان يحيى بن يحيى احد طلاب محمد بن بشير[٤].

كما ارسل الفقيه عبد الله بن ابي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م) رسالة جوابية الى احمد بن موسى بن مجاهد (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) في بغداد يجيبه على طلبه الاجازة منه لكتابيه **المختصر** و **النوادر** ووعده ان يبعث له فيما بعد بنسخة منهما. واخبره انَّ طالبين من طلابه هما محمد بن خالد وابو بكر اسماعيل بن عذرة سيتوجهان اليه في بغداد للاخذ عنه لديهما نسخة مصححة ومقابلة من **المختصر**[٥]. ويبدو ان الطالبين خرجا في رحلتهما قبل ان تصل رسالة ابن مجاهد الى ابن ابي زيد. وربما لو وصلته الرسالة قبل ذلك لأرسل الرد معهما ، لا سيما وانه ذكر لابن مجاهد امكانية اطلاعه على نسختهما من **المختصر** ريثما

---

[١] Goitein, Op. Cit: 2/269

[٢] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٣٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٨/٤.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٥٩ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٨٠/٣.

[٤] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٣٦ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٧/٣.

[٥] المصدر نفسه: ١٩٧/٦.

يبعث له بنسخة خاصة . وفعلا التقى ابو بكر اسماعيل بن عذرة في رحلته بابن مجاهد واخـذ عنه[١].

اما بوساطة الحجاج فقد لجأ اليها عبد الله بن غانم القيرواني (ت١٩٠هـ/٨٠٥م) ، لايصال رسالة الى القاضي ابو يوسف يعقوب ابراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)[٢] في بغداد كلـف ايصالها ابا التمام عبد الوهاب بن محمد الذي خرج للحج وبعد ان اتمه توجه الى بغداد لايصال الرسالة[٣].

والوساطة الثالثة ارسال الرسالة بيد الشخص المعني بمضمونها مثل رسائل التوصية بالطلاب. فقد اوصل يوسف بن يحيى المغامي (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م) بنفسه من طليطلة الرسائل التي ارسلها ابوه معه للشيوخ الذين توجه لطلب العلم عنهم في قرطبة[٤]. وكذا عبد السلام سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) حمل رسالة التوصية به من شيخه ابو عمرو البهلول بن راشد (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) في القيروان الى علي بن زياد في تونس[٥]. كما اوصل سحنون ايضا رسالة اخرى في وقت وموقف مغاير للسابق. حيث رحل الى الامام عبد الرحمن بن القاسم في مصر ، وناقشه **بالاسدية** ونتيجة ذلك اجرى ابن القاسم تغييرات فيها ، وابلغ ابا عبد الله اسد بن الفرات (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) في القيروان بها برسالة بعثها مع سحنون فهو من بسط الموضوع لديه[٦].

وكذا الرسائل التي تتداول بين القضاة اثناء معالجة ملابسات قضية ما . احيانا ما يحملها احد اطراف القضية الى القاضي المزمع ارسالها اليه ولم يُجِزْ بعض الفقهاء ذلك[٧]. لحساسية مضمون تلك الرسائل لما تترتب عليه من مواقف تتعلق باحكام القضاء بين الناس ،

---

(١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٧٤/٧.

(٢) صاحب الامام ابي حنيفة وتلميذه ، واول من نشر مذهبه ، ولد بالكوفة وولي قضاء بغداد في عهد الخلفاء العباسيين المهدي والهادي والرشيد ، وهو اول من لقب بقاضي القضاة واول من وضع الكتب في اصول الفقه. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد: ٢٤٢/١٤.

(٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص٢٢٩.

(٤) الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٤٦.

(٥) المالكي ، المصدر السابق:٣٥٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٣/٣ ، ٤٧/٤.

(٦) الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٩/٣ ؛ احمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار صادر ، ١٩٦٨): ١٨١/٣.

(٧) ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٦٠/٩ ؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٠/٢ ، ١٢ ، ٢١ ؛ عبد الله بن الحسن النباهي ، تاريخ قضاة الاندلس (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بلا ، ت)) ص١٨١ ، ١٨٢ ؛ الونشريسي ، المصدر السابق ، ٦١/١٠.

واعتبارها وثائق تابعة لمؤسسة القضاء ، لا سيما ان بعضها حوى الوثائق والمستندات المتعلقة بالقضية التي عالجتها[١]. وبالنظر لذلك فالموقف يقتضي وجود مراسلين خاصين للقضاة ، ويبدو ان ذلك لم يتوفر دائما فغالباً ما كان صاحب القضية هو من يوصل الرسائل الخاصة بقضيته في المغرب والاندلس[٢]. ولهذا وجدت شروط للتأكد من صحة الرسائل المتداولة بين القضاة.

وفي مقدمة تلك الشروط وجود شاهدين يُقِرَّان بالرسالة[٣]. يتوجهان مع حامل الرسالة الى القاضي المرسلة اليه[٤]. واشْتُرِطَ احيانا ان يقرّا بمعرفتهما بمحتوى الرسالة بعد ان اطلعهما القاضي مرسلها على ذلك[٥]. ويُقْبَل بشاهد واحد مع حامل الرسالة في حالة كونها مرسلة من اطراف المدينة الى مركزها ، ويعزز هذا الشرط ضرورة معرفة خط القاضي المُرسِل وتكون الرسالة مختومة[٦]. ويبدو ان هذا الشرط ضَمِنَ الحالة المثالية التي يجب اتباعها للتأكد من صحة الرسالة ، ومع ذلك لم يطبق في المغرب والاندلس بدقة لصعوبة ارسال شاهدين مع كل رسالة خوفا من مخاطر الطريق وكلفة المهمة[٧].

ولقد ساد في المغرب والاندلس العمل بالشرط الثاني القائم على معرفة خط القاضي المُرسِل دليلاً على صحة الرسالة ، حيث يُقِرْ القاضي المُرسِل في نهاية الرسالة بخطه بمعرفته بمحتواها ويذكر اسمه ، ثم يحمل صاحب القضية الرسالة الى القاضي المرسلة اليه من دون وجود شهود عليها ، ويكفي ان ياتي بشاهدان يشهدان على ان ذلك هو خط القاضي المُرسِل[٨]. وهناك صيغتين لما سيُقِر به القاضي في نهاية الرسالة هما ((اعلم بثبوت الرسم المقيد اعلاه فلان بن فلان والسلام على من يقف عليه ورحمة الله وبركاته))[٩] والاخرى هي

---

[١] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٦٠/٩ ؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٠/٢.

[٢] ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٠/٢ ، ١٢ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص١٨١ ، ١٨٢.

[٣] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٦٠/٩ ؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٠٩/٢ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص١٨٦ ؛ الونشيرسي ، المصدر السابق: ٦١/١٠ ، ٩٥.

[٤] النباهي ، المصدر السابق ، ص١٨٣.

[٥] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٦٠/٩ ؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ٩/٢ ، ١٠ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص١٨٠.

[٦] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٦٠/٩ ؛ الونشيرسي ، المصدر السابق: ٦١/١٠.

[٧] ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٢/٢-١٣ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص١٨٣ ؛ الونشيرسي ، المصدر السابق: ٦٢/١٠.

[٨] ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٢/٢-١٣ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص١٨٢ ؛ الونشيرسي ، المصدر السابق: ٦٢/١٠.

[٩] المصدر نفسه: ٦١/١٠.

((ادى شهيداه شهادتهما فيه وهما برسم القبول واعلم بذلك فلان والسلام على من يقف عليه))[١]. وتتفق أحياناً معرفة القاضي المُرسَل اليه خط القاضي المُرسِل ، وفي هذه الحالة يكتفي بمعرفته الخط[٢]. كما في حالة القاضي عبد المنعم بن مروان قاضي المرية حيث ارسل الى ابن عمه عبد الله بن علي قاضي تلمسان يخبره فيه بمعرفة كل منهما خط الاخر ، وبهذا لا تواجههم مشكلة من يحمل الرسالة[٣].

والشرط الاخير هو ختم الرسالة وهذا الشرط لا يُؤخَذ به وحده وانما يكون مقرونا مع الشرطين السابقين وفي حالة خاصة. بحيث لم يكن من الضرورة ختم الكتاب بتوافر الشهود[٤]. والحالة التي يتوجب فيها وجود الختم ، عند قدوم الرسالة من مكان قريب فيؤخذ بها بمعرفة خط القاضي المُرسِل ووجود الختم[٥]. او وجود شاهد واحد مع الختم[٦]. وقد قدم عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[٧] وصفاً لنوعين من الختم الاول خاتم يوضع في الاصبع ومنقوش عليه كلمات او اشكال ويترك اثراً اذا غمس في طين او مداد ثم يطبع على صفحة الكتاب ، وهذا يدل على صحة المكتوب ووجوب العمل به ، اما النوع الثاني من الختم فهو الكتابة في اول الكتاب اواخره بكلمات معينة من تسبيح او تحميد او اسم صاحب الكتاب ، ويكون ذلك دليلا على صحة الكتاب ونفوذه واحيانا يسمى ذلك الختم علامة ، والقضاة يستخدمون هذا النوع من الختم . وقد كانت ردود الامام مالك على رسائل عبد الله بن غانم المتعلقة ببعض القضايا غير مختومة ، وعندما طلب منه الرسول ان يختمها لانها تتعلق بقضايا الناس رفض ذلك وقال ان الختم لثلاثة : تاجر او قاضٍ او سلطان[٨].

واخيراً كان لبعض الفقهاء افراد خاصون لنقل رسائلهم ومنهم عبد الله بن غانم ، حيث تولى ابو عثمان حاتم بن عثمان ايصال رسائله من القيروان الى الامام مالك في المدينة

---

[١] الونشريسي ، المصدر السابق: ٦٢/١٠.

[٢] ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٣/٢ ؛ الونشيرسي ، المصدر السابق: ٥٥/١٠ ، ٦٣-٦٤.

[٣] المصدر نفسه: ٩٥/١٠.

[٤] ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ٩/٢.

[٥] المصدر نفسه: ١١/٢.

[٦] المصدر نفسه: ٢١/٢.

[٧] مقدمة ابن خلدون (ط٣ ، بيروت: دار احياء التراث العربي ، (بلا ، ت)) ص٢٦٤-٢٦٥.

[٨] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٢/١؛ عبد الرحمن بن محمد بن الدباغ ، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ، تحقيق ابراهيم شبوح (ط٢ ، مصر: مكتبة الخانكي ، ١٩٦٨): ٣١٣/١.

المنورة[١]. فقد واظب عبد الله بن غانم على مراسلة الامام مالك ، وبعث اليه بالمسائل التي تأتيه يستفتيه فيها[٢]. ويبدو ان دور حاتم بن عثمان لم ينحصر في نقل الرسائل فقط وانما كان يبلغ الامام مالك ايضا باخبار المالكية في المغرب . فقد تضمنت احدى الرسائل التي اوصلها للامام مالك من عبد الله بن غانم مسائل طُرِحَتْ امام مجلس قضائه ، فسال الامام مالك حاتم ابن عثمان عن رأي البهلول بن راشد وعبد الله بن فروخ فيها[٣]. ومن الجدير بالذكر ان حاتم ابن عثمان لم يكن مجرد رسول ويبدو ان اختياره دخلت فيه اعتبارات مهمة ، فقد كان فقيها اخذ عن الامام مالك حيث رحل اليه مع عبد الله بن غانم[٤]. بينما طلب قاضي القيروان عبد الله بن طالب (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) من قاضيه على قابس محمد بن قمود ، ان يكلف شخصا خاصا لنقل رسائله اليه في القيروان[٥].

جـ - الرد على المراسلة

كانت الرسائل تنال اهتمام المُرْسَلَة إليهم ، لا سيما وان بعض الرسائل يُحَتِّمْ الرد عليها مثل رسائل القضاة وفقهاء المشاورة . وكان بعض الفقهاء لا يرد بنفسه مباشرة وانما يُكَلِّفْ احدا بالرد نيابة عنه . فقد كانت ردود الامام مالك على رسائل القاضي عبد الله بن غانم يتولاها بعض اصحابه ، وابرزهم عثمان بن عيسى بن كنانة (ت١٨٥هـ/٨٠١م) الذي كان من اقرب اصحاب الامام مالك اليه وعَدَّهُ أفضلهم وكان يجلسه دائما الى يمينه ، وبعد وفاة الامام مالك جلس ابن كنانة مكانه في حلقته[٦].

فبعد ان تصل رسالة ابن غانم ياخذها ابن كنانة من الرسول ، ويكتب الرد ثم يعرض ما كتبه على الامام مالك فيدققه واذا انكر شيئا في الرد اصلحه[٧]. ويبدو انه مع دوام المراسلة

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٦/٣ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٣١٣/١.

[٢] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١١٦ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٢٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٩/٣.

[٣] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٠٩ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ١٨١/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٧/٣ ، ١٠٥.

[٤] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٠٥.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٠٦/٤.

[٦] المصدر نفسه: ٢١/٣.

[٧] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٦/٣ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٣١٤/١.

بين ابن غانم والامام مالك ، اصبح ابن غانم يرسل الرسائل الى ابن كنانة مباشـرة وبـدوره يخبر الامام مالك بها[١]. وقد حصل ان كتب اشهب بن عبد العزيـز (ت٢٠٣هـ/٨١٨م)[٢] ردا على احدى رسائل ابن غانم بعد ان املاها عليه الامام مالك[٣]. وكذلك طلب علي بن زياد من سحنون بن سعيد ان يجيب على احدى رسائل البهلول بن راشد الى ابن زياد حيث صادف وجود سحنون عند ابن زياد عندما وصلت الرسالة اليه ، وعرض سحنون رأيه فـي المـسألة التي طرحتها الرسالة فأستصوبه ابن زياد وطلب منه ان يكتب به الى البهلول بن راشد[٤].

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١١٦ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٢٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٩/٣.

[٢] من اصحاب الامام مالك المصرين ، وكانت المنافسة بينه وبين عبد الرحمن بن القاسم بمصر على رئاسة المالكية ، اهتم بالمناظرة وبرع بها وقد اخذ عنه العديد من الاندلسيين والمغاربة ؛ القاضـي عيـاض : ترتيب المدارك: ٢٦٢/٣-٢٧٠.

[٣] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٩١/٩.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٣٥٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٥/٣.

ثانيا : المراسلة الشخصية

أ. رسائل التوصية

هناك نوع من الرسائل تبادلها الفقهاء فيما بينهم يمكن تسميتها برسائل توصـــية . فقــد حمل بعض طلاب العلم في اثناء طلبهم للعلم رسائل من شيوخهم الى غيـــرهم مـــن العلمـــاء الراغبين بالاخذ عنهم. ويثير هذا النوع من المراسلات عدداً من التساؤلات ، منها الغاية مـــن تلك المراسلات ومدى انتشارها بين الفقهاء.

ومن تلك الرسائل ، الرسالة التـــي حملهـــا عبـــد الله بـــن ابـــي حـــسان اليحـــصبي (ت٢٢٦هـ/٨٤٠م) في القيروان الى الامام مالك في المدينة المنورة ، مُرسَلة من عبد الله بن غانم يخبر فيها ابن غانم الامام مالكاً عن علو قدر ابن ابي حسان في بلاده ، فاستشهد الامـــام مالك بعد قراءتها امام الجالسين بحديث الرسول ﷺ ((اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه))[١] فـــاهتم بابن ابي حسان وقربه[٢]. وقد استقبلت ابن ابي حسان عندما توجه الى منـــزل الامـــام مالـــك جارية وسألته ((من اهل المسائل انت ام من اهل الحوائج)) فقال انه غريب اتى الامام قاصدا برواية القاضي عياض[٣] ومسلما عليه برواية ابي العرب[٤] والمالكي[٥]. أي انه لـــم يخبرهـــا بغرضه من مقابلة الامام . وتظهر اهمية هذا اذا علمنا ان الامام مالك كان يفـــرد لاصـــحابه الملازمين له مجلساً يخصهم به اولا وبعد ذلك يعقد مجالسه لبقية الناس[٦]. ويبدو انه اســـتقبل ابن ابي حسان في احد مجالسه التي عقدها لاصحابه وسلمه فيه الرسالة.

فهل كان ابن ابي حسان في حاجة الى تلك الرسالة ليهتم به الامام مالك ؟ فالامـــام لـــم يمنع احدا من الاخذ عنه ، ولم يفرق بين طلبته[٧]. وهل قرب الامام ابن ابي حسان اليه واهتم به لمجرد توصية ابن غانم به ؟. في حين ان طلب العلم لا يحتاج الى وساطة وانما يحتاج الى جهد ومثابرة من طالبه . ويبدو ان الموضوع اعمق من ذلك . فقد تمت تلـــك المراســـلة فـــي

---

[١] محمد بن يزيد بن ماجة ، السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبـــد البـــاقي (القـــاهرة: دار الحـــديث ، ١٩٥٤): ١٢٢٣/٢

[٢] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٧٠-١٧١ ؛ المالكي ، المصدر الـــسابق: ٢٨٤/١-٢٨٥ ؛ القاضـــي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٠/٣-٣١١.

[٣] ترتيب المدارك: ٣١٠/٣.

[٤] المصدر السابق ، ص١٧٠.

[٥] المصدر السابق: ٢٨٤/١.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٣/٢ ؛ ابو زهرة ، مالك ، ص٥٧.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٣/٢ ، ١٥ ؛ احمد شاعري الزيتوني "ذكرى الامام مالك بن انس امام الائمة" ، ندوة الامام مالك: ٢١٥/١.

مرحلة مبكرة من مراحل انتشار المالكية في المغرب . وذلك بعد سـنة (١٧١هـ/٧٨٧م) حيث ابلغ ابن ابي حسان الامام مالك بتولية ابن غانم القضاء[١]. وقد تولاه في تلك السنة[٢]. وكان ابن غانم مرسل الرسالة من اوائل المغاربة الذين اخذوا عن الامام مالك[٣]. وقد اورد القاضي عياض ترجمته في اول الطبقة الاولى من فقهاء المالكية في المغرب . وقد توطدت علاقة ابن غانم بالامام مالك منذ طلبه العلم لديه ، فقد قدره الامام وكان اذا جاءه اجلسه بجانبه وذكر للجالسين حديث الرسول ﷺ ((اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه)) وهذا كريم في بلده[٤]. بل حتى قيل انه عرض عليه ان يزوجه ابنته[٥]. ولم تنقطع المراسلة بينهما بعد عودة ابن غانم للمغرب[٦]. وربما لذلك ايضا قَبِلَ الامام توصية ابن غانم بابن ابي حسان وقربه اليه. وقد قال عبد الله وهب بن مسلم (ت ١٩٧هـ/٨١٢م)[٧] عن علاقة الامام مالك بابن ابي حسان ((ما رأيت مالكا اميل الى احد منه لابن ابي حسان))[٨].

ومن المؤسف ان المصادر لم تذكر تفاصيل عن محتوى رسالة عبد الله بن غانم للامام مالك ما عدا قول الامام ((هذا كتاب ابن غانم اتاني في هذا الرجل يخبرني عن حالة في بلده وقدره))[٩]. مما يدل ان عبد الله بن غانم ذكر معلومات معينة عن ابن ابي حسان تعلقت على ما يبدو بمكانته الاجتماعية . فقد كان ابن ابي حسان من عائلة معروفة في القيروان[١٠]. ولهذا استشهد الامام مالك بحديث الرسول ﷺ كنوع من الترحيب به. ولابد ايضا ان عبد الله بن غانم ذكر شيئاً عن طلب ابن ابي حسان للعلم في بلاده وما يتوسمه فيه. ولهذا بعد قراءة

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٧٠ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٨٥/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٨/٣ ، ٣١١.

[٢] القيرواني ، المصدر السابق ، ص١٧٨ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص٢٥.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٥/٣.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٢١٧/١.

[٥] القيرواني ، المصدر السابق ، ص٢٢٨ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢١٧/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٦/٣.

[٦] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١١٦ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٢٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٩/٣ ، ٣١٦.

[٧] من اصحاب مالك المصريين ، صحبه اكثر من عشرين سنة وقد وصفه الامام مالك بفقيه مصر وبعد وفاة الامام مالك لجأ اليه اصحابه فيما اختلفوا فيه من المسائل الفقهية وقد روى عنه سحنون كثيراً. ابن عبد البر ، الانتقاء ، ص٤٨-٤٩ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢٨/٣-٢٤٢.

[٨] المصدر نفسه: ٣١٢/٣.

[٩] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٧١ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٨٥/١.

[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٠/٣.

الرسالة تم الحديث في المجلس عن العلم وطلبه ثم بعد ذلك استمع الامام مالك للمسائل من اصحابه[١]. مع ان مجالس الامام مالك كانت منظمة ومتخصصة فمجالس رواية الحديث غير مجالس الافتاء في المسائل[٢]. وربما فُتِحَ ذلك الموضوع لحضور ابن ابي حسان المجلس واعتبار ذلك مجلسه الاول مع الامام مالك .

ويبدو ان التوصية بابن ابي حسان مثلت خطوة من خطوات انتشار المالكية في المغرب ، عن طريق تكوين فقهاء يتم متابعتهم من بداية طلبهم العلم. لا سيما ان الامام مالك عمل على نشر مذهبه في الاندلس والمغرب[٣]. ولو لم يدرك عبد الله بن غانم ان الامام مالك سيرحب برسالته لما ارسلها. وعند عودة ابن ابي حسان الى القيروان تميز فيها واصبح احد ابرز فقهاء المالكية فيها والمدافعين عنها امام السلطة والناس[٤]. لهذا توقع عبد الله بن وهب بعد وفاة عبد الله بن غانم تولية ابن ابي حسان القضاء محله واستغرب من عدم توليته[٥].

وحالة سحنون بن سعيد شبيهة بحالة ابن ابي حسان ، مع اختلاف الوقت والمكان ولكن الغاية واحدة . فقد اوصى البهلول بن راشد ، الفقيه علي بن زياد التونسي بطالبه سحنون بن سعيد عندما توجه سحنون بن سعيد من القيروان الى تونس ليدرس لدى علي بن زياد ، فارسل البهلول بن راشد معه رسالة اوضح فيها انه يطلب العلم لمرضاة الله[٦]. وكان البهلول بن راشد وعلي بن زياد من الطبقة الاولى التي اخذت عن الامام مالك. لكن تميز ابن زياد عن البهلول بانه اول من ادخل **الموطأ** الى المغرب[٧]. بل ان البهلول اخذه عن ابن زياد[٨].

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٧١ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٨٥/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١١/٣.

[٢] المصدر نفسه: ١٤/٢.

[٣] حسين مؤنس ، شيوخ العصر في الاندلس (القاهرة: الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٥) ، ص١٢.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٢/٣-٣١٥.

[٥] المصدر نفسه: ٣١٢/٣.

[٦] المالكي ، المصدر السابق: ٣٥٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٤/٣ ، ٧٤/٤. واورد القاضي عياض رواية اخرى يقول فيها: ((وقد رُوي انه انما كتب في عبد المتعالي الجدري)) ، ترتيب المدارك: ٤٧/٤. ولم اعثر على ترجمة عبد المتعالي الجدري غير ان ابا العرب اورد في ترجمة البهلول بن راشد خبراً عن عبد المتعالي القسطلاني ، المصدر السابق ، ص١٣٨. ولم اعثر ايضاً على ترجمته لا اعرف ان كان القسطلاني والجدري شخص واحد ام اثنان ولهذا فالمرجح ان التوصية كانت لسحنون لوجود اكثر من رواية تؤكد ذلك. كما ان تراجم علي بن زياد لم تذكر شخصاً باسم عبد المتعالي الجدري كان قد اخذ عنه.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٠/٣.

[٨] المصدر نفسه: ٨٧/٣.

وفي ذلك الوقت لم يتمرس غالب فقهاء تونس بالفتيا[١]. في حين تفوق علي بن زياد في هــذا عليهم فهو من اوائل المغاربة الذين افتوا بمذهب الامام مالك وهو من فقههم فيه[٢]. كما يمكن عدّه الشخصية الرئيسية التي عملت على نشر المالكية في تونس[٣]. ولهذا راسله غالب فقهــاء القيروان وطلبوا رأيه اذا استعصت عليهم مسألة ما ، ولا سيما البهلول بن راشد[٤].

وبتأثير كل ذلك ارسل البهلول طالبه سحنون بن سعيد ليدرس لدى علي بــن زيــاد ، وذلك بعد ان توسم فيه الخير ، وقولته فيه انه يطلب العلم لمرضاة الله قــد تعنــي فــي احــد وجوهها انه لن يجانب الحق اذا ما عمل بعمله ومارس الفتيا بموجبه . فما كان من علي بــن زياد بعد قرائته رسالة البهلول بن راشد الا ان رحب بسحنون بن سعيد وسأله عن مكان سكناه في تونس ، وجاءه اليه واسمعه **الموطأ** فيه تقديرا لوصية البهلول بن راشد به[٥]. وازاء ذلــك لم يسمع سحنون بن سعيد **الموطأ** من علي بن زياد فحسب وانما درس الفقه عليــه ايــضا[٦]. وقد رحل سحنون الى ابن زياد قبل رحلته الى المشرق فهو عاد الى القيروان مــن المــشرق سنة (١٩١هــ/٨٠٦م)[٧]. وقد توفي علي بن زياد سنة (١٨٣هـــــ/٧٩٩م). ومــن دلائــل افادته من علم ابن زياد اشادة شيوخ المالكية به من صحابة الامام مالك فــي مــصر بعــد ان لمسوا تفقهه في المذهب المالكي وميزوه عن غيره من طلابهم المغاربة[٨].

وبعد عودته الى المغرب اصبح رئيسا للمذهب المالكي فيه . ومنه تعلم المغاربة التفقــه فيه حيث يقول القاضي عياض[٩]: ((كانت افريقية قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب الامــام مالك بن انس لانه رحل منها اكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك بن انس وســمع منــه وان كان الفقه والفتيا انما كان في قليل منهم كما ذلك في علماء البلاد ثم قدم سحنون بذلك المذهب واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض فبارك الله فيــه للمــسلمين فمالت اليه الوجوه واحبته القلوب وصار زمانه كانه مبتدأ قد محى ما قبله)) .

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥١/٤.

[٢] المصدر نفسه: ٨٠/٣.

[٣] عبد المجيد صلاحين ، "المدرسة العراقية في المذهب المالكي خصائصها واثارها في المــذهب" ، مجلــة دراسات علوم الشريعة والقانون ، المجلد ٢٥ ، العدد ١ ، ١٩٩٨ ، ص٣.

[٤] المالكي ، المصدر السابق:٢٣٥/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨١/٣.

[٥] المالكي ، المصدر السابق: ٣٥٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٧/٤.

[٦] المصدر نفسه: ٨٠/٣.

[٧] المصدر نفسه: ٤٦/٤.

[٨] المصدر نفسه: ٤٨/٤-٤٩.

[٩] المصدر نفسه: ٥١/٤.

ب. دور المراسلة في التأليف

اثرت علاقة الفقهاء فيما بينهم على نتاجاتهم العلمية في مجال التاليف ويظهر ذلك من خلال اربعة نماذج وهي :-

-التاليف بموضوع محدد :

كان ابن العطار محمد بن احمد بن عبيد الله (ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م) احد ابرز الفقهاء المشاورين بقرطبة ، وتميز بإتقانه عقد الوثائق[١] وله خبرة عالية في معرفة عللها[٢]. بحيث تفرد في وقته بتلك المعرفة[٣]. ولمزاياه تلك راسله قاضي الجماعة بقرطبة ابن برطال محمد بن يحيى بن زكريا (ت٣٩٤هـ/١٠٠٣م) ، وطلب منه تاليف كتاب يضم نماذج لوثائق بصورة مختصرة ، وذلك لقيام حفيده محمد بن احمد بن محمد بدراسة الوثائق وحاجته لوجود مثل ذلك الكتاب ، فرد عليه ابن العطار بموافقته وبين له الخطة التي سيتبعها في تاليف الكتاب، بانه سيجعله مختصرا حسب طلب محمد بن يحيى وفي نهاية نموذج كل وثيقة يوردها سيبين المضامين الفقهية فيها ويفسر معاني بعض كلماتها لكي يتسنى للطلاب المبتدئين فهم كيفية عقد الوثائق ، وليجد غير المبتدىء معلوماته عن الوثائق من خلال الكتاب ويتذكرها[٤].

أي ان ابن العطار شعر بحاجه دارسي الوثائق وعاقديها بوجود كتاب واضح في الوثائق . وبعد ان ألَّفَ كتابه اسمعه الناس في المسجد الجامع بالزاهرة في عهد المنصور بن ابي عامر محمد بن عبد الله[٥] واصبح فيما بعد المصدر الاساسي المعتمد في عقد الوثائق[٦].

---

[١] يقصد بالوثائق العقود التي تكتب بين الناس لتنظيم معاملاتهم واثبات حقوقهم. وقد ظهر في الاندلس وظيفة كاتب الوثائق وهو يقابل (الكاتب العدل) في وقتنا الحاضر وعمله يُسهل عمل القضاة في نواحي كثيرة. ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي (السلطة القضائية) (بيروت: دار النفائس ، ١٩٧٨) ، ص٤٢٧ ؛ ولم يستطع أي شخص تولي كتابة الوثائق الا بموجب شروط معينة تكون في شخصيته وقدراته كالخبرة الفقهية والخط الواضح واللفظ المتقن. ابن عبدون ، المصدر السابق ، ص١٣.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٨/٧ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٤٨٥/٢.

[٣] المصدر والمكان نفساهما.

[٤] محمد بن احمد بن العطار ، كتاب الوثائق والسجلات ، تحقيق ب شالمتيا و ف. كورنيطي (مدريد: المعهد الاسباني العربي للثقافة ، ١٩٨٣) ، ص××.

[٥] حكم المنصور الأندلس بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) حيث كان الخليفة هشام المُؤيد صغيراً في السن فسيطر المنصور على شؤون الدولة ، ودام ذلك ستةَ وعشرين سنة الى وفاته سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠٢م). عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٧٤.

[٦] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٤٨٥/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٨/٦.

وكانت مراسلة محمد بن يحيى لابن العطار على الارجح ما بين سنة (٣٨١-٣٨٣ هـ/ ٩٩١-٩٩٣م) اذ تولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة (٣٨١هـ)[١]. واشار ابن العطار انه كان قاضيا للجماعة وقت مراسلته اياه[٢]. وقد أجَّلَ ابن العطار اتمام تاليف الكتاب لحين عودته من الحج[٣]. وكان حجه عام (٣٨٣هـ)[٤].

اما ابو يوسف عمر بن عبد البر فانه الف كتابه **الاستذكار** بناءً على رسائل عديدة وصلته تطلب ذلك ، وكان بعضها قد جاءه من اماكن بعيدة وذلك بعد ان قرأوا كتابه **التمهيد** ولم يحدد ابن عبد البر من راسله واكتفى فقط بوصفهم بقوله ((بجماعة من اهل العلم وطلبه والعناية به من اخواننا))[٥]. ويقول القاضي عياض[٦] عن **التمهيد** ((لم يصنع احد مثله في طريقته)) ويقول ابن بشكوال[٧] ((هو كتاب لم يتقدمه احد الى مثله)) . ويظهر انه لجدته في منهجه وموضوعه ظهرت الحاجة لوجود كتاب تالٍ له يوضح العديد من المسائل التي ناقشها **التمهيد**. فالف ابن عبد البر **الاستذكار** حيث يقول في مقدمته[٨]:

> ((... ان اصرف لهم كتاب **التمهيد** على ابواب **الموطأ** ونسقه واحذف لهم منه تكرار شواهده وطرقه ، وأصِلّ لهم شرح المسند والمرسل اللذين قصدت الى شرحهما خاصة في **التمهيد** بشرح جميع ما في **الموطأ** من اقاويل الصحابة والتابعين وما لمالك فيه من قوله الذي بنى عليه مذهبه واختاره من اقاويل سلف اهل بلده الذين هم الحجة عنده على من خالفهم ، واذكر على كل قول رسمه وذكره فيه ما لسائر فقهاء الامصار من التنازع في معانيه حتى يتم شرح كتابه **الموطأ** مستوعبا مستقصى بعون الله ان شاء الله على شرط الايجاز والاختصار وطرح ما في الشواهد من التكرار اذ ذلك كله ممهد مبسوط في كتاب **التمهيد** والحمد لله واقتصر في هذا الكتاب من الحجة والشاهد على فقر دالة وعيون مبينة ونكت كافية ليكون اقرب الى حفظ الحافظ وفهم المطالع ان شاء الله)).

---

[١] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٠٨/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٠٨/٦.
[٢] ابن العطار ، المصدر السابق ، ص××.
[٣] المصدر نفسه ، ص٤٩١.
[٤] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢/٤٨٤.
[٥] ابن عبد البر ، الاستذكار: ٢١/١.
[٦] ترتيب المدارك: ١٢٩/٨.
[٧] المصدر السابق: ٦٧٨/٢.
[٨] ٢٢/١.

-المراسلة مصدرا للتاليف

كانت المراسلة بين الفقهاء احد مصادر التاليف . فقد اعتمدها ابن بشكوال عند تـاليف كتابه **الصلة** واستفاد منها في جمع مادته[١]. حيث راسل القاضي عياض في مدينـة سـبتة[٢]. وطلب منه معلومات عن بعض التراجم ، وهـم ابـراهيم بـن ابـي العـيش بـن يربـوع (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م)[٣] ، حجاج بن قاسم بن محمد (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)[٤] عبد الله بـن حمود بن هلوب[٥] علي بن هارون الطنجـي[٦] محمـد بـن عبـد الـرحمن بـن شـبرين (ت٥٠٣هـ/١١٠٩م)[٧] ، محمد بن علي بن عبد الله (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ومحمد بن عيسى بـن زوبـع (ت٤٠٢هـ/١٠١١م)[٨] ، محمـد بـن الحـسن الحـضرمي المـرادي (ت٤٨٩هـ/١٠٩٥م) واخيرا محمد بن عيسى بن حسين (ت٥٠٥هـ/١١١١م)[٩].

والملاحظ على تلك التراجم ان غالب اصحابها من المغاربة الوافدين علـى الانـدلس ومن مدينة سبتة على وجه الخصوص . وهذا يفسر سبب الاستعانة بالقاضي عياض فهو مـن ابناء سبتة[١٠]. وكانت المادة التي قدمها القاضي عياض لابن بـشكوال علـى وجـه التحديـد تواريخ الميلاد والوفاة في تلك التراجم . وقد تمت تلك المراسلة بين القاضي عيـاض وابـن بشكوال بعد عودة القاضي عياض الى المغرب نهائيا سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) . فقـد دخـل الاندلس مرتين الاولى سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)[١١] وغادرها سـنة (٥٠٨هـ/١١١٤م)[١٢].

---

[١] ناطق صالح مطلوب ، "كتاب الصلة" ، مجلة المـؤرخ العربـي ، العـدد٣٩ ، الـسنة ١٥ ، (١٩٨٩) ، ص١٤٦.

[٢] ابن الابار ، التكملة: ٢٤٠/١.

[٣] ابن بشكوال ، الصلة: ١٠١/١.

[٤] المصدر نفسه: ١٥٢/١.

[٥] المصدر نفسه: ٢٩٩/١.

[٦] المصدر نفسه: ٤٣٢/٢.

[٧] المصدر نفسه: ٥٦٩/٢.

[٨] المصدر نفسه: ٥٩٤/٢.

[٩] المصدر نفسه: ٦٠٥/٢.

[١٠] محمد بن عياض بن موسى ، التعريف بالقاضي عياض ، تحقيق محمد بن شريفة (ط٢ ، الربـاط: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٢) ، ص٣ ؛ احمد بن محمد المقري ، ازهار الرياض فـي اخبـار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا واخرين (الرباط: صندوق احياء التـراث الاسـلامي ، ١٩٧٨): ٨/١.

[١١] محمد بن عياض ، المصدر السابق ، ص٦ ؛ المقري ، ازهار الرياض: ٩/٣.

[١٢] محمد بن عياض ، المصدر السابق ، ص١٠.

والثانية سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) عندما نقل من قضاء سبته الى قضاء غرناطة وغادر الاندلس عندما صرف عن القضاء سنة (٥٣٢هـ) وعاد الى سبته[١]. والتقى به ابن بشكوال في غرناطة بين سنتي (٥٣١-٥٣٢هـ) وسمع منه[٢]. وقد انهى ابن بشكوال كتابه **الصلة** سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م)[٣]. أي بعد عودة القاضي عياض الى سبته.

-الاستشارة بالتاليف في موضوع محدد:

كتب عبد الله بن فروخ الى الامام مالك ((يخبره ان بلدنا كثير البدع وانه الف لهم كلاما في الرد عليهم ، فكتب اليه مالك في الرسالة :- انك ان ظننت ذلك بنفسك خفت ان تذل وتهلك او نحو ذلك لايرد عليهم الا من كان عالما ضابطا عارفا بما يقول لهم ليس يقدرون ان يعرجوا عليه فان هذا لا بأس به واما غير ذلك فاني اخاف ان يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطأه او يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك))[٤]. لم يقدم النص تفاصيل عن رسالة ابن فروخ الى الامام مالك ولم يبين ماهي البدع التي قصدها ابن فروخ . فالبدعة حسب قول ابن منظور[٥] ((ما ابتدع من الدين بعد الاكمال والبدعة بدعتان : بدعة هدى وبدعة ظلال فما كان في خلاف ما امر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والانكار وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله اليه وحض عليه او رسوله فهو في حيز المدح)) . وهذا التعريف حصر مفهوم البدعة في بعض الممارسات والعادات التي تحتاج الى توكيد ديني . وقد تعرض ابن فروخ لموقف تطلب منه ابداء رايه في سلوك معين وتحديد فيما اذا كان بدعة ام لا. حيث ربط البهلول بن راشد خنصر يده بخيط ليذكره بحاجة اوصي بها ، وخرج من بيته ولم يكشف يده امام الناس الا بعد ان ارسل الى ابن فروخ سائلا ان كان تصرفه ذلك صحيحا فاجابه بان عبد الله بن عمر[٦] كان يقوم بنفس التصرف اذا خشي ان ينسى حاجة اوصى بها ، فحمد البهلول بن راشد الله وكشف يده وقال امام اصحابه ((خفت ان اكون ابتدعت بدعة في

---

[١] محمد بن عياض ، المصدر السابق ، ص١٠-١١ ؛ المقري ، ازهار الرياض: ١١/٣.

[٢] ابن الابار ، التكملة: ٢٤٠/١.

[٣] ابن خلكان ، المصدر السابق:٢٤٠/٤.

[٤] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٠٧ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ١٧٧/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٠/٣.

[٥] المصدر السابق: ١٧٤/١.

[٦] عبد الله بن عمر الخطاب صحابي قرشي ، نشأ في مكة وهاجر الى المدينة مع ابيه وشَهِد فتح مكة ، افتى الناس ستين سنة ، وهو اخر من توفي من الصحابة في مكة. ابن حجر ، التهذيب: ٣٢٨/٥-٣٣١.

الاسلام))[١]. وهذا يدل انه كان لابن فروخ قدرة على تمييز البدع عن غيرها والتي تتدرج ضمن السلوك والعادات ، ومع هذا لم تذكر المصادر انه الف كتابا يبحث في ذلك الموضوع[٢].

اما دائرة المعارف الاسلامية[٣] فقد اوردت تعريفا للبدع قدم مفهوما اوسع لها فالبدعة فيها: ((اصطلاح فقهي اصبح يطلق على كل مخالفة لاتباع سنة النبي واصبحت تدل على الاراء والعادات المستحدثة التي نشأت من تلقاء نفسها في الجماعة الاسلامية وعلى البدع المتصلة بالعقائد المخالفة لاصول الدين)) . وهذا التعريف يلمح للفرق التي ظهرت في الاسلام مثل الخوارج[٤] والمعتزلة[٥]. والذين عدّوا من اهل البدع[٦]. ومن المرجح ان البدع التي قصدها ابن فروخ هي المتعلقة بالمعتزلة . فقد اشاع معتزلة القيروان انه منهم[٧]. وقد نفى ذلك عنه بالفعل والكلام[٨]. واختياره التاليف في الرد عليهم كان احد وسائله في ذلك.

اما رد الامام مالك على ابن فروخ فقد كانت له دلالاته المهمة ففيه حدد الامام مالك قاعدة رئيسية لمن يريد التصدي لاهل البدع. اذ يجب ان يكون عالما واثقا بقدرته على الرد

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٢٨ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٤٦/١.

[٢] انظر ترجمته في ابو العرب ، المصدر السابق ، ص٣٤-٣٧ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ١٧٦/١-١٨٧ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٢/٣-١١٢ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٣٨/١-٢٤٨.

[٣] مادة "بدعة" دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت فندي واخرون (طهران: ١٩٣٣): ٤٥٦/٣.

[٤] اقدم فرقة اسلامية وهم الذين خرجوا على الامام علي بن ابي طالب لانه رضي بالتحكيم فرفضوه كما رفضوا معاوية بن ابي سفيان وقد انقسموا الى عشرين فرقة في رأي واربع عشرة فرقة في رأي اخر. محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي ، مفاتيح العلوم (القاهرة: ادارة مطبعة المنيرية ، ١٣٤٢هـ) ، ص١٩ ؛ عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني ، مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، تحرير فيليب حتي (مصر: مطبعة الهلال ، ١٩٢٤) ، ص٦٥-٦٦.

[٥] من الفرق الفكرية التي ظهرت في العصر العباسي الاول وقد انقسموا الى ست فرق في راي واثنتين وعشرين في راي اخر ومبادؤهم قامت على خمسة اصول هي القول بالتوحيد وبالعدل وبالوعد والوعيد وبالمنزلة بين المنزلتين وبالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تصادموا مع غيرهم من الفرق الاسلامية لاطلاقهم العنان للعقل في بحث المسائل الفلسفية ، الخوارزمي ، المصدر السابق ، ص١٨ ؛ الرسعني ، المصدر السابق ، ص٩٦.

[٦] محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني (ط٢ ، بيروت: دار المعرفة ، ١٩٧٥): ١٣/١.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٠/٣.

[٨] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٠٧ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١١/٣.

وذلك خشية استغلال الخصوم الرد للهجوم على صاحبه اذا كان غير كفء وبهذا يجدوا ثغرة في رده فينفذون منها ويستغلون خطأه لصالحهم ولتثبيت موقفهم ويستمرون عليه . وهذا الموقف من الامام مالك بعدم موافقته المباشرة على كلام ابن فروخ لم يكن عن عدم ثقة بقدرته على الرد ، وانما لعدم رغبته بتشجيع الجدل[١]. فقد كان للامام موقف واضح من الفرق العقائدية الاسلامية ولم يكن يفضل ان ينساق الى الجدل كما يجادل اصحاب تلك الفرق، واذا اضطر للاجابة كانت اجابته قصيرة ومعتمدة على الماثور وبعيدة عما لا يجد نصا عليه في السُنَّة[٢]. مع انه كان قادرا على الرد عليهم ومجادلتهم[٣]. لا سيما انه عُرِفَ عن ابن فروخ ميله الى المجادلة والاستدلال[٤]. ويذكر احد الباحثين انه من احد مؤلفات ابن فروخ **كتابا في الرد على المخالفين من اهل البدع والاهواء**[٥]. فاذا كان هو المقصود بتلك المراسلة فعنوانه يدل على انه جمع فيه الرد على البدع بنوعيها المذكورين سابقاً.

-متابعة الجديد من التأليف

من القضايا المهمة التي نوقشت عن طريق المراسلة تأليف **المدونة**[٦] والتغيير الذي احدثه فيها الامام عبد الرحمن بن القاسم . **فالمدونة** هي معتمد فقهاء المالكية الرئيسي[٧].

---

(١) المالكي ، المصدر السابق: ١٧٧/١.

(٢) ابو زهرة ، مالك ، ص١٨١.

(٣) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٢/١.

(٤) المالكي ، المصدر السابق: ١٧٧/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٢/٣.

(٥) حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر ، مراجعة واكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش (تونس: بيت الحكمة ، ١٩٩٠): ٨٩٤/١. لا بد من الاشارة الى اننا بعد العودة الى المصادر التي اعتمدها الباحث لم نجد فيهاً ذكراً لذلك الكتاب بالعنوان الذي ذكره غير انها اوردت نفس النص الذي ذكرناه في بداية الموضوع ، وهي نفس المصادر التي اعتمدناها ، ويبدو ان الباحث على ضوء ذلك النص سلم ان ابن فروخ الف كتاباً بالرد على اهل البدع والاهواء.

(٦) يقول عبد الهادي احمد الحسيسن عن المدونة: ((المدونة اذا ليست من تاليف مالك وانما هي جمع لفتاويه واقواله في مسائل واجتهادات ، من بعض تلاميذه في وضع احكام لبعض المسائل والنوازل على قواعده ومبدئه ، لهذا كانت العناية بها الى تصحيح الرواية وتوثيق السماع اكثر من الاتجاه الى وضع الادلة وبيان اصول المسائل فهي بهذا الاعتبار مقدمة على غيرها من الكتب الفقهية المالكية ولهذا اعتبرت الاصل الثاني للفقه المالكي بعد موطأ الامام مالك.)) مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي (الامارات: اللجنة المشتركة لاحياء التراث الاسلامي ، ١٩٨٢): ١٢١/١.

(٧) ابن خلكان ، المصدر السابق: ١٢٩/٣ ؛ مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (استانبول: (بلا ، ت)): ١٦٤٤/٢.

ومرت عند كتابتها بمرحلتين ، الاولى عُرِفَتْ فيها باسم **الاسدية** نسبة الى اسد بن الفرات حيث سأل اسد بن الفرات الامام عبد الرحمن بن القاسم في مصر العديد من المسائل وطلب جوابه الفقهي عليها بناءً على المذهب المالكي ، فاجابه الامام عبد الرحمن بن القاسم بحسب ما قدر له وسجل اسد بن الفرات تلك الاجابات مع اسئلتها فتكونت لديه مادة كتاب عُرِفَ **بالاسدية**[١]. وبعد عودته الى القيروان علا صيته وحاز تقدما بين فقهاء المالكية لتفرده برواية **الاسدية**[٢]. وحصل توتر في علاقته مع سحنون بن سعيد حيث امتنع اسد بن الفرات عن اسماع سحنون **الاسدية** وحصل عليها فيما بعد عن غيره ، فدرسها وتَكَوَّنَ لديه راي وانتقادات عليها ، فقرر الرحلة الى مصر لسماعها مباشرة من الامام عبد الرحمن بن القاسم وطرح انتقاداته عليها لديه[٣]. وازاء ذلك راجع الامام عبد الرحمن بن القاسم **الاسدية** مع سحنون بن سعيد ونتيجة ذلك اجرى بعض التغييرات فيها ، وهنا مرت **الاسدية** بالمرحلة الثانية واصبحت تعرف **بالمدونة**[٤].

ودور المراسلة في كل ذلك ظهر عندما ارسل الامام عبد الرحمن بن القاسم مع سحنون بن سعيد كتابا الى اسد بن الفرات يخبره فيه ان روايه سحنون **للمدونة** هي الاصح وعليه ان يقابل اصوله باصول سحنون وياخذ بها[٥]. وقد تفرد ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)[٦] بايراده جزءا من نص رسالة الامام عبد الرحمن بن القاسم الى اسد بن الفرات. وبما نصه : ((تقابل نسختك بنسخة سحنون فالذي تتفق عليه النسختان يثبت والذي يقع فيه الاختلاف فالرجوع الى نسخة سحنون وتمحى نسخة ابن الفرات فهذه هي الصحيحة)).

اذن طلب الامام ابن القاسم من اسد بن الفرات ان يقارن بين النسختين ، وتعد نسخة سحنون هي المرجع الرئيسي وعلى ابن الفرات ان يأخذ بالتغييرات الموجودة فيها ، ويثبتها

---

[١] ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، تحقيق احسان عباس (ط٢ ، بيروت: دار الرائد العربي ، ١٩٨١) ، ص١٥٦ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٦١/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٧/٣ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق: ١٨١/٣.

[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٨/٣.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٨/٣.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٨/٣ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق: ١٨١/٣ ؛ امين الخولي ، مالك بن انس (مصر: دار الكتب الحديثة ، ١٩٥١) : ٧٦١/٣.

[٥] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٩/٣.

[٦] المصدر السابق: ١٨١/٣.

لديه ويلغي ما هو موجود في نسخته وغير موجود في نسخة سحنون . وهذا يثير مسألة مهمة وهي مسألة توثيق الرواية والسند العالي وصحة السماع . فالامام ابن القاسم لم يلغ رواية اسد بن الفرات **للمدونة** نهائياً ، وانما عليه ان يضيف التغييرات التي أُحْـدِثَتْ فيهـا الـى روايـة سحنون ، مما يعني تفوق سحنون عليه بروايته **المدونة** بسند عالٍ عن ابن القاسم[١]. ولهذا لـم يتقبل اسد بن الفرات ما جاء في رسالة ابن القاسم بسهولة ، ولم يفعل ما طلب منه بل انه لـم يقطع روايته بعد ذلك وانما استمر بتسميعها ، ولكن بوجود سحنون اقبل غالب الطلبـة علـى روايته وخمل ذكر رواية اسد بن الفرات[٢]. فلم يكن بيد الامام ابن القاسم بعد ان علـم بعـدم تنفيذ اسد بن الفرات لما طلب منه الا ان دعا :((اللهم لا تبارك في **الاسدية**))[٣].

وللدلالات العلمية المهمة للتغييرات التي أُحْدَثَتْ في **المدونة** انتشر خبرهـا بـسرعة ، ووصل الى اسماع عيسى بن دينار الغافقي (ت٢١٢هـ/٨٢٧م) في الاندلس[٤]. وقـد سـمع عيسى بن دينار **الاسدية** في مصر قبل عودة اسد بها الى القيروان[٥]. لهذا كان من الضروري له ان يطلع على التغييرات الجديدة عليها ويتأكد من الرواية الصحيحة لها . فارسل الى الامام ابن القاسم في مصر مستفسرا عن ذلك وطلب اعلامه بالنتيجة النهائية[٦]. ومن الجدير بالـذكر ان علاقة عيسى بن دينار بالامام ابن القاسم في مصر ابان رحلته اليه كانت وثيقة[٧]. وحـين

---

[١] عن اهمية المسند انظر القاضي عياض ، الالماع ، ص١٩٤-١٩٨ ؛ محمد بـن عبـد الله النيـسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تصحيح وتعليق معظم حسين (ط٢ ، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيـع والنشر ، ١٩٧٧) ، ص١٧-١٩ ؛ ناطق صالح مطلوب ، فهارس شيوخ العلماء في المغرب والانـدلس حتى القرن العاشر الهجري (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة عين شـمس ، ١٩٧٨) ص٨-١١.

[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٣/١ ؛ القاضـي عيـاض ، ترتيـب المدارك: ٢٩٨/٣ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق: ١٨١/٣.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٨/٣.

[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٩/٤ ؛ ابراهيم بن علـي بـن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، مراجعة عباس بن عبـد الـسلام شـقرون (مصر: ١٣٥١هـ) ص١٧٩.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٩/٤.

[٦] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٩/٤ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٧٩.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٦/٣.

عودة عيسى الى بلاده ودعه الامام ابن القاسم وشيعه مسافة من الطريق ، وبرر ذلك بقوله ((كيف لا اشيع من لم يترك وراءه افقه منه ولا اورع))[١].

وردَّ الامام ابن القاسم على رسالة عيسى بن دينار وبدلا من ان يُبَيِّنَ له ما رجع عنه في **الاسدية** اجابه بـ ((قد قرأت كتابك وفهمتها فاعرض ما كتبت عني على عقلك وعلمك فما رايت منه صوابا فأمضه وما انكرته فدعه))[٢]. وقد علق القاضي عياض[٣] على ذلك بقوله ((وهذا يدل على ثقة ابن القاسم بفقهه)) . والحقيقة ان المسألة لها ابعاد اخرى فالامام ابن القاسم شهد بثقته بقدرة عيسى بن دينار الفقهية منذ وجوده في مصر ، واذا كان قد راجع **الاسدية** مع سحنون واستقر معه على راي واحد بخصوصها وطلب من اسد بن الفرات ان يأخذ به ، لماذا يحاول فتح باب اعادة النظر فيها مرة اخرى مع عيسى بن دينار ، وهذه المرة عن طريق المراسلة ، وهو بموجب رسالته اعطاه الصلاحية باخذ ما يقتنع به وترك ما لم يقنع به ، حتى انه لم ينبه الى احتمال المناقشة بينهما حول ذلك.

جـ.الحصول على الاجازة والتوثيق

لنقل العلم او الرواية طرق عديدة ، منها طريقتان يمكن ممارستهما احيانا عن طريق المراسلة وهما المكاتبة او الكتابة والاجازة[٤]. ويتم الحصول على المكاتبة بعد سؤال الطالب شيخه ان يكتب له شيئا من علمه او ان يكتب الشيخ بذلك لمن يريده سواء بحضور الطرف المكتوب له او بارسال المادة اليه من بلد الى اخر[٥]. وبواسطتها يحق لصاحبها رواية محتواها حسب قواعد توثيق الرواية باستخدام كلمة حدثنا او اخبرنا[٦]. ويتم تمييز المكاتبة للحصول على الرواية عن غيرها من المراسلات من العبارات التي تؤشر عليها فهي محددة بـ ((كتب إلَيَّ فلان : قال حدثنا فلان بكذا وكذا))[٧] او ((اخبرني به مكاتبة او كتابه))[١].

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧٠.

[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧١.

[٣] ترتيب المدارك: ١٠٩/٤.

[٤] لمعرفة طرق نقل العلم انظر القاضي عياض ، الالماع ، ص٦٨-١٢١.

[٥] المصدر نفسه ، ص٨٤-٨٥ ؛ عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح ، علوم الحديث ، تحقيق نور الدين عتر (المدينة المنورة: المكتبة العلمية ، ١٩٦٦) ، ص١٥٣.

[٦] احمد علي الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية (ط٢ ، حيدر اباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٠) ص٤٥٦-٤٥٩ ؛ القاضي عياض ، الالماع ، ص٨٤-٨٧ ؛ ابن الصلاح ، المصدر السابق ، ص١٥٤.

[٧] القاضي عياض ، الالماع ، ص٨٦ ؛ ابن الصلاح ، المصدر السابق ، ص١٥٥.

ومن الامثلة على ذلك احدى روايات كتاب **السنن** لابي داؤد سليمان بن الاشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) حصل عليها القاضي عياض عن طريق المكاتبة ((اما رواية اللؤلؤي عنه فحدثني بها فيما كتب به الي الامام ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي عن ابي علي التستري عن القاضي ابي عمر الهاشمي عن ابي علي محمد بن احمد اللؤلؤي))[٢]. وما كتبه القاضي عياض لولده محمد ((اخبرنا ابي رضي الله عنه فيما كتبه لي بخطه ومنه نقلت قال...))[٣]. والملاحظ في المثال الاول ان المكاتبة حصلت عن طريق المراسلة لان الطرطوشي كان مقيما في المشرق[٤] والقاضي عياض لم يرحل اليها اليه. اما المثال الثاني فلا دور للمراسلة به حيث تمت المكاتبة بحضور الطرفين . مما يعني انه اذا لم يذكر المصدر ان تمام المكاتبة عن طريق المراسلة ، فالواجب معرفة ذلك من خلال البحث في تراجم اطراف المكاتبة. على سبيل المثال الفقيه يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي لم يرحل الى المشرق ومع هذا حصل على روايات عن طريق المكاتبة من علمائه منهم ابي القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وابي ذر الهروي وابي محمد بن النحاس وغيرهم[٥].

واحيانا ما تلازم المكاتبة الاجازة[٦]. احدى طرق نقل الرواية ايضا ويمكن منحها بحضور الطرف الممنوحة له او عدم حضوره[٧]. وعندما تقترن الاجازة بالكتابة يشار اليها بعبارة ((اجزت لك ما كتبته لك او ما كتبت به اليك))[٨]. وممن حصل على الاجازة عن طريق المراسلة ابو عمر احمد بن محمد بن الحذاء ، حيث لقي مروان بن علي الاسدي (ت٤٣٩هـ/١٠٤٧م) في مدينة بونه واعطاه اجازة في رواية كتابه في شرح **الموطأ** ، وبعد ذلك اضاف عليه مروان بن علي اضافات اخرى فراسله ابن الحذاء من طليطلة وطلب منه اجازة ثانية لروايته مع الاضافات الجديدة[٩]. وعبد الحق بن عطيه (ت٥٤١هـ/١١٤٦م) اعطاه الاجازة عن طريق المراسلة من داخل الاندلس ابو المطرف عبد الرحمن بن القاسم

---

(١) المصدر والمكان نفساهما.

(٢) القاضي عياض ، الغنية ، ص٣٨.

(٣) ابن عياض ، المصدر السابق ، ص٥٦.

(٤) القاضي عياض ، الغنية ، ص٦٢.

(٥) ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٦٧٧/٢.

(٦) ابن الصلاح ، المصدر السابق ، ص١٥٣.

(٧) القاضي عياض ، الالماع ، ص٨٨.

(٨) ابن الصلاح ، المصدر السابق ، ص١٥٣.

(٩) ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٦١٦/٢.

الشعبي (ت٤٩٧هـ/١١٠٣م) وقد بعث له بها من مالقة سنة (٤٩٧هـ/١١٠٣م) اجازة بجميع ما رواه عن شيوخه[١]. كما بعث له حسين بن محمد بن سكرة الصدفي (ت٥١٤هـ/١١٢٠م) من مرسية الى غرناطة باجازة لجميع رواياته[٢]. ومن المغرب بعث لـه محمد بـن علـي المـازري (ت٥٣٦هـ/١١٤١م) مـن مدينـة المهديـة باجـازة روايـة مؤلفاتـه سـنة (٥٠٤هـ/١١١٠م)[٣].

ودور المراسلة في التوثيق تمثل بالتأكد من سلسلة السند فقد اخذ عبد الحق بن عطيـة **المدونة** عن ابيه الذي رواها له بروايتين احـداهما كانـت روايـة عبـد الحميـد الـصائغ (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) . فكتب ابن عطية من غرناطة للمازري في المهدية ليسأله عن سند عبد الحميد الصائغ في **المدونة** ، فرد عليه بانه السيوري عن ابي علي الفولي عن الابيـاني عـن يحيى بن عمر عن سحنون[٤]. وقد اشتهر عبد الحميد الصائغ بروايته **المدونة** وعنـه اخـذها العديد من علماء وقته[٥]. والمازري من ابرز طلابه وقد تفقه على يديـه[٦]. ويبـدو ان ابـن عطية احتاج لتوثيق سند الرواية التي اخذها عن ابيه ، لا سيما ان عبد الحميد الصائغ تعرض لمحنة اضطر فيها الى بيع كتبه والتزام داره واعتزاله الفتيا والتدريس[٧]. ومع هذا لم تنقطـع علاقته بالمازري وكانت المراسلة مستمرة بينهما[٨]. اما ابو الحسن بن مؤمن الفاسي فقد اخـذ عن العديد من الشيوخ الاندلسيين ، ومنهم ابن بشكوال ويبدو انه فيما بعد احتـاج لمعلومـات توثيقية عن شيوخه[٩] ، وربما ذلك اثناء كتابته لفهرسة شيوخه المسماة **بغية الراغـب ومنيـة**

---

[١] ابن عطية ، المصدر السابق ، ص٧٢.
[٢] المصدر نفسه ، ص٧٥.
[٣] المصدر نفسه ، ص٥٧.
[٤] المصدر نفسه ، ص٥٢.
[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٦/٨.
[٦] المقري ، ازهار الرياض: ١٦٥/٣.
[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٦/٨.
[٨] الطاهر بن محمد المعموري ، "موقف المازري من قضايا عصره" ، مجلة افاق الثقافة والتراث ، العدد٣١ ، السنة٨ ، ، (٢٠٠٠) ، ص٨٢.
[٩] المراكشي ، المصدر السابق: ١ / ١/ ٩٨.

الطالب[١] فارسل الى ابن بشكوال في غرناطة من فاس وسأله عن بعضهم[٢]. واشـــتهر ابـــن بشكوال بتميزه بعلم الجرح والتعديل ومعرفة الرجال[٣].

ومن الشيوخ الذين جرَّحَهُم ابن بشكوال احمد بن الحصين بن عبد الملك وكتب تحـــت اسمه جملة يسقط[٤]. كما استخدم الفقهاء المراسلة لارشاد بعضهم الى عدد من الشيوخ الـــذين يحملون روايات مهمة ويحثونهم على الالتقاء بهم . فعندما دخل عبد العزيز بن عبد الوهـــاب ابن ابي غالب القيرواني (ت٤٩٥هــ/١١٠١م) غرناطة سنة (٤٩٤هــ/١١٠٠م) ارســـل ابـــو علي الحـــسين الغـــساني (ت٤٩٨هــــ/١١٠٤م) الـــى ابـــي الحـــسن علـــي بـــن احمـــد (ت٥٢٨هــ/١١٣٣م) في غرناطة يخبره بان يحرص على الاخذ عنه[٥]. كذلك عنـــدما دخـــل اغمات الاخوة الثلاثة ابو الطيب ومحرز ومحمد قادمين من سفاقس ، وصلت رسائل من اهل سفاقس الى اهل اغمات يعلمونهم بذلك وباهمية الاخذ عنهم[٦]. في حـــين حـــرص القاضـــي عياض بن موسى على الاخذ من ابي علي الصدفي لهذا توجه الى مرسية ، لكن كان ابو علي الصدفي مختبئا لرفضه تولي القضاء ، وعندما ارسل اليه قاضي الجماعة ابو محمد عبـــد الله ابن منصور (ت٣١٥هــ / ٩٢٧م) يخبره بحلِّه من القضاء ارسل في الوقت نفسه رسالة الـــى القاضي عياض يخبره بذلك اذ انه يعلم بانتظار القاضي عياض ظهور ابـــي علـــي الـــصدفي للاخذ عنه[٧].

---

[١] عبد العزيز الاهواني ، "كتب برامج العلماء في الاندلس" ، مجلة معهد المخطوطات ، مجلد١ ، جزء١ ، (١٩٥٥) ، ص١٠٨.

[٢] المراكشي ، المصدر السابق: ١ / ١/ ٩٨.

[٣] ابن خلكان ، المصدر السابق: ٢٤٠/٤. اما علم الرجال فهو فرع من علوم الحديث النبوي الشريف يختص بدراسة سلسلة السند ومعرفة رجالها وطبقاتهم. النيسابوري ، المصدر السابق ، ص٣٩ - ٥٢.

[٤] المراكشي ، المصدر السابق: ٩٨/١/١.

[٥] ابن عطية ، المصدر السابق ، ص٧١ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٣٧٦/٢.

[٦] يوسف بن يحيى بن الزيات ، التشوف الى رجال التصوف ، تحقيق احمد التوفيق (الربـــاط: كليـــة الاداب والعلوم الانسانية ، ١٩٨٤) ، ص١٦١.

[٧] ابن عياض ، المصدر السابق ، ص٨ ؛ المقري ، ازهار الرياض: ٩/٣.

د : دور المراسلة في مسائل مختلفة

كانت المراسلة وسيلة لتبادل الراي والمشورة العلمية او للإفتاء بامر ما . حيث حصلت مراسلات عديدة بين فقهاء القيروان وعلي بن زياد الذي تفقه علــى يديــه العديــد مــنهم[١]. ولمكانته العلمية باعتباره في مقدمة فقهاء المالكية في وقته كانت له الكلمة الفصل فــي حــال اختلاف فقهاء القيروان في مسألة ما ، فهم اذا اختلفوا فيما بينهم كانوا يبعثون الى علــي بــن زياد في تونس ليعطيهم الراي الاخير[٢]. وقد راسله بصفة دائمة البهلول بن راشد الذي كــان حريصا على استمرار العلاقة بينهما[٣].

وكلما جاء علي بن زياد الى القيروان سعى البهلول بن راشد للقائه باســرع وقــت[٤]. ومن المواقف التي استعان بها البهلول بن راشد براي علي بن زياد في احد مجالسه عُرِضَــتْ عليه مسالة بحضور سحنون ، واجاب البهلول عن المسألة لكن لم يرض سحنون عن اجابتــه وعدها خاطئة واخبر البهلول بن راشد بذلك ، ويبدو ان البهلول لم يقنع بمداخلة سحنون حيــث راسل علي بن زياد وعرض عليه تلك المسألة واتفق ذلك مع زيارة سحنون لابن زياد وقــت وصول رسالة البهلول اليه[٥]. فقرأ علي بن زياد الرسالة ثم اعطاها لسحنون ليقرأها ، وعندما علم سحنون ما بها قال لابن زياد ان تلك المسألة بُحِثَتْ في القيروان واختلفــت الاراء حولهــا واخبره براي البهلول بها وبرايه المخالف لراي البهلول فاستــصوب علــي بــن زيــاد راي سحنون، وطلب منه ان يكتب به ليرسله الى البهلول ردا على رسالته ، وفي الوقت نفسه اثنى على استمرار البهلول بطلب رايه ومراسلته[٦].

وهناك نوع اخر من المراسلات كان احد اطرافها ممن عُرِفَ بتصوفه وزهده ، وكــان النصح والوعظ والدعوة الى التصوف غاية اساسية لتلك المراسلات . حيث كان محمــد بــن حارث الخشني صديقا لربيع بن سليمان القطان (ت٣٣٤هــ/٩٤٥م) وتلازما في طلبهما للعلــم في القيروان[٧]. وكان ربيع القطان من الفقهاء المتميزين لكنه فيما بعد اتجــه الــى التــصوف

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٤/١.

[٢] المصدر نفسه: ٢٣٥/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٢/٣ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٩٢.

[٣] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٤/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨١/٣.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٥/١.

[٥] المصدر نفسه: ٣٥٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٥/٣.

[٦] المالكي ، المصدر السابق: ٣٥٣/١.

[٧] الخشني ، طبقات علماء افريقية ، ص١٧٩.

والعبادة وترك تدريس العلم[١]. وفي هذا الوقت تابع الخشني من قرطبة اخبار صاحبه في القيروان وعلم بتغير اهتماماته ، وكانت المراسلة وسيلة الاتصال بينهما ، وفيها قام ربيع القطان بدعوة صديقه الى ان يحذو حذوه ويتجه الى الزهد والتصوف[٢].

وهناك مراسلات اخرى تم التطرق فيها الى جانب الوعظ والارشاد الى بحث قضايا مهمة مثل اهمية تولي القضاء . فقد كانت العلاقة بين سحنون بن سعيد وعبد الرحيم بن عبد ربه (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) قوية ، وعندما تولى سحنون القضاء ارسل اليه عبد الرحيم بن عبد ربه رسالة انتقده فيها على قبوله القضاء وقال له : ((اما بعد : فقد عهدتك وانت معتن بنفسك تقرأ القران وتعلم الناس العلم وتفقههم في الدين وقد بلغني انك جُعِلْتَ قاضياً استوى فيك الاسود والابيض والضعيف والقوي وصرت تنظر في امر دنياهم بعد ان كنت تنظر في امر اخراهم فيا عجبا ياسحنون أي حالتيك كانت احسن الاولى ام هذه ؟ والسلام عليك))[٣]. وقد عكست هذه الرسالة جانباً من اسباب عزوف الفقهاء عن تولي القضاء ، فرد عليه سحنون بان توليه القضاء امر الله الذي قدر له وبما انه مارس الافتاء قبل توليه القضاء ، فهذا في جانب منه نوع من القضاء ، والجديد الذي سيوفره له توليه القضاء هو القدرة على انصافه للمظلوم ، وسيستطيع ان يطبق العلم الذي درسه ويقضي حاجة الناس لذلك ، كما ان صلاح الدنيا يؤدي الى صلاح الاخرة[٤].

في حين قَدِمَ رباح بن يزيد في ثنايا رسالة الى البهلول بن راشد وجهة نظره تجاه بعض الاحداث السياسية التي تعرضت لها القيروان ، وذلك في اطار التحليل الصوفي او الديني لها حيث عَزا محاصرة ابو حاتم الاعور[٥] القيروان وفشل محاولات القضاء على ابي حاتم في وقعته مغمداس للفساد الذي كان في القيروان قبل ذلك وشيوع المنكر وانغماس اهلها بالملذات وابتعادها عن الامر بالمعروف وخشية الله ، وعوقبوا على ذلك باثار الحصار التي ادت الى قتل العديد من الناس وغلاء الاسعار وسوء الاحوال العامة ، وازاء ذلك نصح البهلول بن راشد بمجالسة الصوفية والاتعاظ منهم واذا لم يتيسر له ذلك عليه ان يخلو بنفسه

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٣٢٥/٢.

[٢] الخشني ، طبقات علماء افريقية ، ص١٧٩.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٧/٤.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٤٢٥/١.

[٥] من قواد الدولة الرستمية (الاباضية) حاصر القيروان لمدة سنة وطلب اهل المدينة بعد ذلك السلم لطول الحصار وسوء عواقبه . احمد سعيد الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي (الجزائر: مطبعة البعث ، ١٩٧٤): ٣٨/١-٣٩.

ويواظب على العبادة ، كما طلب منه الاستمرار بمراسلته[١]. وكانت الحادثة ايضاً احدى محاور رسالته لعبد الله بن فروخ وقدّم له فيها نفس رايه السابق[٢].

وهناك بعض القضايا العلمية اشترك اكثر من فقيه في نقاشها وكانت المراسلة احدى وسائل ذلك النقاش . فعندما اشتد هجوم علي بن احمد بن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) على فقهاء المالكية في الاندلس ، راى بعضهم ان المناظرة وسيلة اساسية في الرد عليه . وعندما كان ابن حزم في مدينة ميورقة ارسل ابو عبد الله محمد بن سعيد احد ابرز فقهائها الى ابي الوليد سليمان الباجي في احدى مدن سواحل الاندلس وطلب منه الحضور الى ميورقة لمناظرة ابن حزم[٣].

وفي الاندلس ايضا افتى احد فقهائها بفتوى مفادها ان من طلق زوجته ثلاث مرات متتالية يحق له ان يتزوجها للمرة الرابعة من دون ان تتزوج قبل ذلك بغيره[٤] ، ولم يرض ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم (ت٣٥٢هـ/٩٦٣م) عن تلك الفتوى فكتب رسالة الى صاحب الفتوى بين له فيها اسباب خطأ فتواه ونتيجة ذلك منعه من ممارسة الفتوى والتدريس ، فساءت احواله لذلك وكاد الموقف ان يتطور بتدخل السلطة في قضيته[٥]. وكان اسحاق بن ابراهيم احد الفقهاء المشاورين بقرطبة واحد ابرز المفتين بها لاتأخذه في الحق لومه لائم[٦]. وكان لرأيه صدى كبير اثّر كثيراً على الشخص المعني به ، لهذا تدخل ابو محمد الباجي لمناقشة الموضوع وبعث برسالة الى اسحاق بن ابراهيم عاتبه فيها على موقفه ، وبين انه كان عليه ان يتوجه الى صاحب الفتوى مع جماعة من الفقهاء ويبينوا له ان فتواه تُعَدّ بدعة ومن واجب غيره من الفقهاء ان يمنعوا الاخذ بها ، وبحث الموضوع مثار النقاش في رسالته وبين رأي الفقهاء فيه ، فرد عليه اسحاق بن ابراهيم برسالة اخبره بها بموقفه مع صاحب الفتوى والحال التي وصل اليها بعد منعه من ممارسة الافتاء ثم طرح هو ايضا وجهة نظره في الموضوع[٧].

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٣٠٦/١-٣٠٨.

[٢] المصدر نفسه: ٣٠٨/١-٣١٠.

[٣] ابن الابار ، التكملة: ٣٩١/١ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة ، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٧٣): ٢١٦/٦.

[٤] انظر عن ذلك الموضوع: ابن رشد ، المقدمات: ٤٩٧/١.

[٥] الونشيرسي ، المصدر السابق: ٤٣٦/٤.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٧/٦.

[٧] الونشيرسي ، المصدر السابق: ٤٣٦/٤-٤٣٧.

اما رسالة ابي علي الصدفي الى زميله وصديقه ابي محمد عبد الله بن محمد الركلي (ت٥١٣هـ/١١١٩م) فقد بينت غاية اخرى من المراسلات . حيث بعث الصدفي من دانية الى صديقه الركلي في سرقطه بعد عودته من رحلته الى المشرق ، اخبره فيها عن احواله الشخصية وما صادفه في طريق عودته الى المشرق[١]. كما طلب من الركلي التوجه الى بغداد واخبره ان مكانته العلمية ستؤهله الى التقرب من الوزير نظام الملك وربما اهتم به الوزير ايضا ، والجانب العلمي في رسالته تمثل بتقديمه للركلي اجازه لجميع مروياته كما اخبره عن بعض المدن التي زارها في المشرق وفي النهاية ذكر عنوانه الجديد في دانية وطلب من الركلي ان يراسله عليه[٢].

---

[١] ابن الابار ، المعجم ، ص١٩٦.

[٢] المصدر نفسه ، ص٢١٢-٢١٣.

ثالثا : المراسلة الوظيفية

أ. المراسلة لطلب المشاورة

راسل القضاة غيرهم من الفقهاء سواء ممن تولوا القضاء ام لم يتولوه وذلك لعدد من الغايات ، منها المشاورة لطلب الراي في حل قضية ما او حتى البت فيها . وهذا لا يعني قصوراً في اداء الوظيفة القضائية ، فمن صميم عمل القضاة مشاورة غيرهم من الفقهاء ، ومع هذا فالقاضي غير ملزم بأخذ ما يشار به عليه ، لان الغاية من المشاورة تنبيهه على ما قد يخفى عليه او ينساه وفي النهاية الحكم له[١].

وبرزت في الاندلس فئة الفقهاء المشاورين ، وهم جماعة من الفقهاء يعينهم الامير او الخليفة ولهم رئيس[٢]. وعددهم محدد واقصاه ستة عشر فقيها[٣]. ومهمتهم تقديم المشورة الفقهية في الاحكام التي يتطلب من القضاء البت فيها[٤]. أي انهم من مستلزمات النظام القضائي[٥]. وبامكان قضاة الاقاليم مشاورتهم عن طريق المراسلة[٦]. ومن الامثلة الواضحة على ذلك القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل اصله من مدينة جيان في الاندلس ولي قضاء طنجه ومكناسة وغرناطة ثم ترك القضاء وقت دخول المرابطين غرناطة[٧]. وراسل خلال مدة قضائه العديد من فقهاء المشاورة في قرطبة[٨]. ويجب ان يوضح القاضي في تلك المراسلات حيثيات القضية ويرفق معها الوثائق المتعلقة بها ، واحيانا تكتب المخاطبة على ظهر الوثيقة المرفقة معها او في حواشيها ، واحياناً اخرى في ورقة مستقلة تلصق بالوثيقة ، وفي كل تلك الاحوال على القاضي المُرْسِلْ ان ينبه المُرْسَلْ اليه بذلك[٩] ، مثل الاتي : ((..... فيقول بصحة العقد المرتسم في الورقة العليا الملتصقة بهذه المتضمن لفلان قبل فلان

---

[١] عبد الكريم زيدان ، نظام القضاء في الشريعة الاسلامية (بغداد: مطبعة العاني ، ١٩٨٤) ، ص٢٥٧.

[٢] مؤنس ، شيوخ العصر ، ص٢٦ ؛ خليل الكبيسي ، المرجع السابق ، ص١٠٨.
Manuaele, Makim, "SURA ET AL-SURADANS AL-ANDALUS", Stvdia Islamica, LXII, 1985, P51.

[٣] خليل الكبيسي ، المرجع نفسه ، ص١٦٣.

[٤] المرجع نفسه ، ص١٠٦ ؛ حسين ، المرجع نفسه ، ص١٠٨.

[٥] محمد الحبيب التجكاني ، النظرية العامة للقضاء والاثبات في الشريعة الاسلامية (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، (بلا ، ت)) ، ص١٤٩.

[٦] خليل الكبيسي ، المرجع السابق ، ص١٦٧.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٨٣/٨.

[٨] ابن سهل ، تسع وثائق في شؤون الحسبة ، ص٢٢ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ؛ ابن سهل ، وثائق في احكام قضاء اهل الذمة ، ص٤٤ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٩ ؛ ابن سهل وثائق في الطب الاسلامي ، ص٥٢ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦.

[٩] الونشيرسي ، المصدر السابق: ٦٧/١٠.

كذا او المتضمن توكيل فلان فلانا على كذا ونحوه مما يعين الحق المكتوب فيه خوفا ان يلصق بورقة الخطاب بحق غير الحق الذي به وقع الخطاب))[١].

ومع هذا فقد لجأ القضاة المغاربة والاندلسيون الى اخذ مشورة فقهاء من خارج فقهاء المشاورة. والملاحظ انه في المراحل الاولى لانتشار المالكية في المغرب والاندلس كانت المراسلة مع خارجهما . فقد واظب القاضي عبد الله بن غانم على مراسلة الامام مالك في المدينة المنورة فيما يُشْكَل عليه من القضايا[٢]. بل انه احيانا كان يُرجِئ الحكم حتى يعود اليه جواب الامام مالك[٣]. وقد تولى ابن غانم القضاء سنة (١٧١هـ/٧٨٧م) وبقي فيه مدة عشرين سنة[٤]. وقد سُرَّ الامام مالك عندما علم بتولية ابن غانم القضاء وبشر اصحابه بهذا الخبر[٥]. وفي الوقت نفسه قال لمن اخبره به ((ما ذاك بخير له))[٦]. وذلك لتحرج الكثير من الفقهاء من تولي القضاء خوفا من الخطأ فيه والمسؤولية المترتبة على ذلك[٧]. اما مسرة الامام مالك فقد عللها ابن الدباغ[٨] ، لثقة الامام مالك بقدرة ابن غانم وعلمه ، ولكونه مالكيا فان توليته القضاء في صالح انتشار المذهب المالكي في افريقية وتثبيتا له بها ، لا سيما ان افريقية بعيدة عن مركز الخلافة في بغداد . ولهذا على ما يبدو حرص الامام مالك بالرد على رسائل ابن غانم والاهتمام بها وهذا يوضح الكثير من الاراء الفقهية المالكية للمغاربة حسب حاجتهم لها . لا سيما وان المذهب الحنفي نافس المذهب المالكي في افيريقية ، فهو مذهب الاغالبة الرسمي[٩] ، وعُيِّنَ ابن غانم قاضيا من قبل واليهم روح بن حاتم (ت١٧٤هـ/٧٩٠م)[١٠]. كما

---

(١) الونشريسي ، المصدر السابق: ٦٨/١٠.

(٢) ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١١٦ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٢٠/١ ، ٢٢٣ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٦/٣ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٣١٣/١.

(٣) القيرواني ، المصدر السابق ، ص١٧٨.

(٤) المصدر والمكان نفساهما ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٨/٣.

(٥) المالكي ، المصدر السابق: ٢١٧/١ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٩٨/١.

(٦) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٨/٣.

(٧) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٢ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص١٢.

(٨) المصدر السابق ، ص٢٩٩/١.

(٩) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي (الاسكندرية: منشاة المعارف ، ١٩٧٩): ٥١٤/٢.

(١٠) روح بن حاتم بي قبيصة بن المهلب كان حاجباً للخليفة المنصور العباسي ثم اصبح والياً للسند في عهد الخليفة المهدي ثم نقل الى البصرة والكوفة وبعد ذلك الى فلسطين ثم صرف عن الولاية. وحين توفي اخوه يزيد بن حاتم امير افريقية ارسله الخليفة هارون الرشيد والياً بعده على القيروان سنة (١٧١هـ /٧٨٧م) فبقي فيها الى ان مات. احمد بن محمد بن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال (ط٢ ، بيروت: دار الثقافة ، ١٩٨٠): ٨٤/١.

قيل انه عينه بناء على نصيحة الامام ابي يوسف لروح بن حاتم وقت خروجه من بغداد الى القيروان لتولي افريقية[١]. وقد اخذ ابن غانم عن ابي يوسف في بغداد وقت طلبه للعلم[٢].

وهذا يفسر السبب في مراسلة ابن غانم الامام ابا يوسف ايضا في بعض القضايا التي تُعْرَض عليه ، ويؤجل الحكم فيها حتى يصله جواب الامام ابي يوسف[٣]. وقد يثير هذا التباسا في معرفة راي أي الامامين اخذ ابن غانم ، لا سيما ان كلاً منهما مثّل مذهبا مختلفا عن الاخر . وقد ذكر سابقا ان القاضي غير ملزم بالعمل براي من يشاوره ، بل من واجبه ان يعمل اجتهاده في المسائل التي ترده[٤]. وكان من الثابت مالكية ابن غانم والدليل على حرصه على راي الامام مالك اكثر من راي الامام ابي يوسف ، وجود شخص خاص ينقل رسائله الى الامام مالك[٥]. بينما لم يكن له مراسل خاص بينه وبين الامام ابي يوسف على ما يبدو . لهذا بعث احدى رسائله مع حاج وكان هذا الشخص مستعجلا ومتهيئاً للسفر عندما سلمه الرسالة ، بحيث اخذ جوابها من ساعته ، وقد حوت الرسالة العديد من المسائل ، وطلب الامام ابو يوسف من الرسول مراجعته ان سنحت له الفرصة لكي يرسل معه رسالة لابن غانم ويظهر انه لم يراجعه[٦].

وبشكل عام يمكن القول انه بحياة الامام مالك وبوجوده من الطبيعي ان يكون هو المرجعية الاساسية التي يراسلها فقهاء المالكية . وبعد وفاته اصبحت المراسلة مع اصحابه في مصر . ويبدو ان هذه المراسلة عكست نوعا من الخلاف او عدم الاتفاق بين اوساط الفقهاء في الاندلس[٧]. الذي تطور احيانا الى خصومات بينهم فالقاضي محمد بن بشير كان اذا استعصت عليه قضية ما ولم يتفق فقهاء المشاورة على راي محدد فيها ، يكتب بها الى اصحاب الامام مالك في مصر واكثرهم عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب[٨].

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٢٢٢/١ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٩٢/١.

[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٢١٥/١.

[٣] القيرواني ، المصدر السابق ، ص١٧٨.

[٤] زيدان ، المرجع السابق ، ص٢٤٨.

[٥] راجع ص   من هذا الفصل.

[٦] القيرواني ، المصدر السابق ، ص٢٣٠.

[٧] ان الخلاف بين الفقهاء في بعض المسائل ، أمر طبيعي وبخاصة اذا تطلبت تلك المسائل الرأي والاجتهاد من الفقهاء وحول ذلك الموضوع انظر صلاحين ، المرجع السابق ؛ محمد ابو الفتح البيانوني ، دراسات في الاختلافات الفقهية (حلب: مكتبة الهدى ، ١٩٧٥).

[٨] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٣٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٣٢/٣ ، ١١٨/٤ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص٤٨.

وفي احدى المرات التي لجأ فيها الى ابن القاسم ارسل له نفس المسائل مع شخصين مختلفين هما محمد بن خالد بن مرتنيل (ت٢٢٠هـ/٨٣٥م) ويحيى بن يحيى ، وقد اجاب ابن القاسم كل واحد منهما اجابة مختلفة عن غيرها وعلى نفس المسائل ، واجتمع محمد بن خالد ويحيى بن يحيى وقارنا الاجابات بينهما ولمسا الاختلاف فيها ، فذهب يحيى بن يحيى الى ابن القاسم واخبره انهما لو عادا باجابتيهما المختلفتين الى الاندلس سيُشَك بمصداقيتهما ، ويزداد موقف القاضي محمد بن بشير حرجا وسيضطر الى مراسلة اخرى لابن القاسم وتبقى المسائل معلقة ، فاقر ابن القاسم الرد الذي لدى يحيى بن يحيى وطلب من محمد بن خالد ان يأخذ به ايضاً[١]. وارسال نفس المسائل مع شخصين مختلفين من قبل محمد بن بشير يبين مدى حاجته الى اجابة سريعة ومحددة ، وموقف يحيى بن يحيى الذي كان مقربا من محمد بن بشير[٢] ، فيه تلميح الى تازم الموقف لديه وحاجته الى رد حاسم .

اما القاضي يحيى بن معمر بن عمران (ت٢٢٦هـ/٨٤٠م) فقد اشار لجوؤه الى اصحاب الامام مالك في مصر حقد فقهاء قرطبة عليه ، فقد كان اذا اختلف راي فقهاء المشاورة في مسألة ما بعث بها الى مصر الى اصبغ بن الفرج بن سعيد (ت٢٢٥هـ/٨٣٩م)[٣] ، وغيره واخبرهم عن ما يريد معرفته تماما[٤]. وقد اطلع محمد بن حارث الخشني على العديد من اجوبه اصبغ بن الفرج[٥]. وقد عَدَّ فقهاء قرطبة مراسلة يحيى بن معمر لفقهاء مصر تصغيرا لشأنهم وقلة تقدير لعلمهم[٦]. بحيث ادى ذلك بالتالي الى عزله عن القضاء وقد ذكر ذلك بوضوح حيان بن خلف بن حيان (ت٤٩٦هـ/١١٠٢م)[٧] بقوله ((وكان اذا اشكل عليه امر من احكامه واختلف عليه فيه فقهاء قرطبة تأنى بهم وكتب فيه الى مصر الى اصبغ بن الفرج وغيره من نظرائه فيكشفهم على وجه ما يريد ويطلب النجاة من

---

[١] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٣٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٨/٤.

[٢] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٣٦ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٧/٣.

[٣] من ابرز فقهاء المالكية في مصر ، لم ياخذ عن الامام مالك لوفاته يوم دخوله المدينة المنورة لطلب العلم لديه ولكنه اخذ عن اصحابه عبد الرحمن بن القاسم وابن وهب واشهب ، وعُدَّ من اكفأ فقهاء طبقته ، وقد قدره الاندلسيون كثيراً ورحل اليه العديد منهم للاخذ عنه ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧/٤-١٩.

[٤] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٤٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٦/٤ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص٤٥.

[٥] قضاة قرطبة ، ص٤٦.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٦/٤ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص٤٥.

[٧] المصدر السابق ، محمود مكي ، ص٥٤.

تخلف الفقهاء عليه بغية اجوبتهم في ذلك بما يعمل عليه فكان فقهاء قرطبة يحقدون ذلك عليه فيذمونه ويتتبعون عثراته ويبغضونه الى الناس وكان اشدهم عليه زعيم الجماعة يحيى بن يحيى فهو الذي سعى في تجريحه الى ان عزل عن القضاء)) .

اما في مرحلة لاحقة اصبحت مراسلات القضاة بين فقهاء الاندلس والمغرب لا سيما وان الطرفين كان بينهما نوعاً من الارتباط الوثيق والرغبة بالتواصل في ما بينهم في ما يتعلق بامور القضاء[١]. فقد كان محمد بن عيسى بن حسين (ت٥٠٥هـ/١١١١م) في مقدمة فقهاء مدينة سبتة وقد رحل الى الاندلس وقت طلبه العلم ثلاث مرات الاولى الى اشبيلية والثانية الى المرية والثالثة الى قرطبة ، وقد تولى القضاء في سبته وفاس[٢]. وقد راسله من الاندلس في بعض المسائل القاضي محمد بن عبد الرحمن بن شبرين (ت٥٠٣هـ/١١٠٩م)[٣]. الذي تولى قضاء اشبيلية[٤]. وراسله من فاس القاضي هشام بن الملجوم[٥]. وتولى عاشر بن محمد بن عاشر (ت٥٧٧هـ/١١٨١م) قضاء شاطبة ثم قضاء مرسية سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) وبقي فيه لمدة عشر سنوات وخلال هذا الوقت كان اذا اشكلت عليه قضية ما ارسلها الى احمد بن ورد (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م) ليجيبه[٦]. ومن المفارقة انه قبل قضائه كان راس المشاورين في مدينة بلنسية وتصله الكثير من المسائل الصعبة ليبت فيها[٧]. وراسل الفقيه ابو محمد عبد الله بن ابي زيد وقت قضائه على القيروان عبد الله بن احمد الابياني (٣٥٢هـ/٩٦٣م) بصورة دائمة في المسائل المستعصية عليه[٨]. وابن ابي زيد بدوره اتته مسائل من الاندلس ليبت فيها[٩]. اما القاضي عياض فقد راسل من سبته ابا الوليد محمد بن احمد بن رشد في قرطبة وبعث له

---

(١) Watt, Op. Cit., P66.

(٢) القاضي عياض ، الغنية ، ص٢٧-٢٨.

(٣) احمد بن محمد بن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٣): ٢٥٣/١.

(٤) القاضي عياض ، الغنية ، ص٧٥.

(٥) ابن القاضي ، المصدر السابق: ٢٥٣/١.

(٦) ابو جعفر احمد بن الزبير ، صلة الصلة ، تحقيق ليفي بروفنسال (بيروت: مكتبة خياط ، ١٩٣٧) ص١٧٣ ؛ محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي ، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٦٥) : ٥/ ١٠١/١.

(٧) المصدر نفسه : ١٠٠/١/٥.

(٨) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١/٦ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٣٦.

(٩) الونشيرسي ، المصدر السابق ، ٢٧٢/٤.

بوثائق احدى القضايا التي لم يصل فيها الى راي نهائي فاجابه ابن رشد بالحكم الواجب لتلــك القضية[١].

ب: تبليغ الاحكام القضائية

وهناك غايات اخرى من المراسلات بين القضاة غير طلب الراي والمشورة . ويمكــن عدّها من واجبات العمل القضائي . منها تلقي اوامر من قاضٍ هو اعلى سلطة مــن القاضــي المُرسَل اليه ، قاضي الجماعة مثلا . وهذا يتطلب ذكر شيء عن التقــسيمات القــضائية فقــد قسمت الاندلس الى ثلاث مناطق قضائية كبرى هي : الــشرق ، الغــرب ، الوســط ، ومــن المرجّح ان هذا التقسيم عُمِلَ به في المغرب[٢]. ويبدو انه كــان لكــل منطقــة منهــا قــاض للجماعة[٣]. وعُرِفَ قاضي الجماعة في الاندلس في النصف الاول من القرن الثالث للهجــرة / التاسع للميلاد وفي راي اخر مابين سنة (١٣٨-١٤١هـ/٧٥٥-٧٥٨م) ومن الاندلس انتقــل الى المغرب[٤]. واختصاصاته عديدة من ابرزها تعيين قضاة الاقاليم فــي المنــاطق التابعــة لهم[٥].

وهذا يعطي قاضي الجماعة الحق في توجيه النصائح الى قضاته او بعض الاوامر ذات الطابع الاداري المتعلقة بمهام القضاء ، واستخدمت المراسلة احيانا وسيلة في ذلــك . مثــل قاضــي القيروان عبد الله بن طالب الذي عينه الوالي ابراهيم بن احمد بن الاغلب[٦]. وقد ارسل رسالة الى قاضي قابس محمد بن قمود القابسي قال له فيها:

((... فلا تبق غاية من الخير الا بلغتها واتقيت الله فيمــا اســترعيت بحــسن الكفاية والاجتهاد وما بلغني الا الجميل ، فقد ربيتك وعلمتك وعرفتك العلــم ، فلو لم تحفظ الا اياي (   ) فكيف وقد عرفت ما عند الله عز وجل لمن ســأل

---

[١] الونشريسي ، المصدر السابق: ١٥/٩.

[٢] سلامة محمد سلمان الهرفي ، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (بيــروت: دار النــدوة الجديدة ، ١٩٨٥) ، ص٢٦٦.

[٣] المرجع والصفحة نفساهما ؛ القاسمي ، المرجع السابق ، ص٢٤٥.

[٤] التجكاني ، المرجع السابق ، ص١٣٠.

[٥] الهرفي ، المرجع السابق ، ٢٧٤ ؛ التجكاني ، المرجع السابق ، ص١٣١.

Dimitri Gutas, “The Social Contents of the Sciences in the Medieval Islamic World ”, Islam and science (Amman: Royal Institute for Inter-faith Studies, 2001), P. 232.

[٦] المالكي ، المصدر السابق: ٤٧٩/١ ؛ ابراهيم بن الاغلب ، ثاني الاغالبة ولاة افريقية للخلافة العباسية في بغداد ، ولي سنة (١٨٤هـ /٨٠٠م) من قبل الخليفة هارون الرشيد ، حكم اثنتي عشرة ســنة وعــرف بحسن السيرة والاهتمام بالرعية. ابن عذارى ، المصدر السابق: ٩٢/١.

عنه ؟ الا تراه عز وجهه الكريم يقول لنبيه داؤد عليه السلام ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[١] ، واكثر ذكر الموت وشدة هوله وظلمة القبر ووحشته وتضرع الى الله تعالى في خلواتك ولا تنسك الجماعة حظك من القران وتدبره والوقوف عند عجائبه وبالله توفيقك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[٢].

في هذه الرسالة ذكر ابن ابي طالب رضاه عن محمد بن قمود وما بلغه عنه من اجتهاد في اقضيته ، وفي الوقت نفسه حاول ترهيبه من الانحياز عن الحق في قضائه ، وذلك بتذكيره باهوال الموت وعقاب الله المذكور في كتابه العزيز لمن يحيد عنه ، ونبهه من ان يلهه عمله عن عبادته وقراءة القران وتدبره .

اما عن الاوامر والتعليمات القضائية ، فقد وجه سحنون من القيروان الى قاضيه على سفاقس علي بن سالم البكري رسالة فيها ((اما بعد فانه بلغني ان قِبَلَكَ اقواما ينكرون المنكر بانكر منه فازجرهم على ذلك والسلام)) [٣]. وفي القيروان اقام سحنون نفسه امرا بالمعروف وناهيا عن المنكر[٤]. وهذا المبدأ هو الاساس الذي تقوم عليه الحسبة والتي عُدَّت من التنظيمات القضائية[٥].

وتتحصر اختصاصات المحتسب القضائية في ثلاث مهام وهي قضايا التطفيف في الكيل والميزان وقضايا الغش وقضايا المماطلة في اداء الدين على مدين قادر على الاداء[٦]. وكانت رسالة سحنون للبكري مقتضبة جدا ولم يحدد بها نوع المنكر المقصود . ولم يشر بحكم قضائي او يوقعه وانما طلب من القاضي زجر المعنيين بالرسالة . في حين جاء في رسالته لاحد قضاة الاندلس ((وقد جاء في كتاب سحنون الى محمد بن زياد قاضي قرطبة

---

[١] سورة ص / الاية ٢٦.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٠٦/٤.

[٣] المصدر نفسه: ٤٠٧/٤.

[٤] عبد الحميد ، المرجع السابق: ٩٢/٢.

[٥] ابن عبدون ، المصدر السابق ، ص٢٠ ؛ الجرسيفي ، المصدر السابق، ص١٢١ ؛ زيدان ، المرجع السابق ، ص٣١١ ؛ تجكاني ، المرجع السابق ، ص٣٧ ؛ احمد شلبي ، تاريخ التشريع الاسلامي (ط٢ ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨١) ، ص٢١٨.

[٦] موسى لقبال ، المغرب الاسلامي (ط٢ ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١) ، ص١٨٤-١٨٥ ؛ التجكاني ، المرجع السابق ، ص٩٩.

يامره بالشد والمعاقبة لمن تفالس وتكرار الادب والضرب عليه حتى يؤدي او يموت قال لـــه : وبذلك اخذت في ابن ابي الجواد ضربته اربع وعشرين ومائة درة ، واوقفته يوم الجمعة للناس في صحن الجامع وسوف اضربه ابد حتى يؤدي تحت الدرة او يموت))[١]. وقد تعلق محتوى هذه الرسالة بقضايا المماطلة في اداء الدين وفيها حدد سحنون بن ســـعيد عقوبـــة المماطـــل بالضغط عليه وضربه حتى يؤدي الدين او يموت من الضرب ، وقدم مثلا على ذلك قـــضاءه في ابن ابي الجواد[٢].

وفي رسالة اخرى اشار سحنون بن سعيد لمحمد بن زياد بمسألة تعلقت بالحسبة علـــى المساجد وهي بخصوص تعليم الصبيان في المسجد ، فقد كره سحنون ذلك خوفا من قلة تحفظ الصبيان[٣]. ودلت هاتان الرسالتان على الوحدة الفقهية بين الاندلس والمغرب ومتابعة سحنون قاضي القيروان لقاضي قرطبة وابلاغه بما يَجُدْ من التعليمات ، ولم تجمع الاندلس والمغـــرب في ذلك الوقت وحدة سياسية ، وكانت الوحدة العلمية اقوى لا سيما ان سحنون بن سعيد كـــان راس المذهب المالكي في المغرب والاندلس في هذا الوقت . كما ارســـل الـــى عبـــد الله بـــن طالب بعض قضاته ايضاً ، سألوه عن عقوبات تعلقت بالغش التجاري وكيفيـــة التعامـــل مـــع مرتكبيه[٤].

وبعيدا عن الحسبة ، من الاوامر القضائية التي بلغ بها ابن طالب قضاته عـــن طريـــق المراسلة ، اسقاط بعض الشروط التي كانت تكتب في عقود الزواج وابطالهـــا ، وذلـــك فـــي رسالة الى خلف بن يزيد قاضي طرابلس[٥] اما قاضيه محمد بن قمـــود القابـــسي فقـــد قـــرر الخروج الى مدينة نفراوة وخشي على نفسه من الطريق فراى ان ياخذ مع عدد من النـــاس ، ولكنه راسل ابن ابي طالب وسأله عن ذلك قبل خروجه فرد عليه برسالة لا يوافقه فيها علـــى

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٦/٤.

[٢] كان ابن ابي الجواد حنفي المذهب تولى قضاء القيروان قبل سحنون بن سعيد ، وعندما تـــولاه ســـحنون عرضت امامه قضية ضد ابن ابي الجواد وطولب باحدى الودائع المالية التي اودعت لديه فلم يقـــر ابـــن ابي الجواد باخذه المال فحبسه سحنون وامر بضربه حتى يقر باخذه المال ويرده واصر ابن ابي الجـــواد على عدم اقراره باخذه المال ، وعرضت زوجته اسماء بنت اسد بن الفرات بتأدية المال عوضـــاً عـــن زوجها. فطلب سحنون ان يقر ابن ابي الجواد باخذه المال اولاً واصر ابن ابي الجواد على رفضه ومـــن ثم مات في سجنه من شدة الضرب. القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦١،٦٢،٦٥/٤.

[٣] ابن سهل ، الحسبة على المساجد ، ص٣٢.

[٤] الاندلسي ، المصدر السابق ، ص١١٨ ، ١٢٣ ، ١٤٣ ؛ المجليدي ، المصدر السابق ، ص١١٦.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٤/٤. للاطلاع على نماذج من شروط الزواج انظر الونـــشيرسي ، المصدر السابق ، ج٣ ؛ ولمزيد من الامثلة عن الاوامر القضائية انظر المجليدي ، المـــصدر الـــسابق ، ص٦٤ ، ٧٨ ، ٨٥.

خروج جماعة من الناس معه خوفا من تعرضهم للاذى، واشار له بما عليه اتباعه في تلك الحالة كما ابلغه بنفس الرسالة بعض النصائح وحثه على استمرار المراسلة بينهما حيث قال

((أما خروجك الى نفزاوة فنعم واما تحريك الجماعة فما ذلك لك ، فلولا سلطانك ما خرجوا معك وهذه اخلاق من لا يحاسب نفسه فان خرجوا معك اوجبوا في عنقك ذماما ولكن من احتسب مثل فلان وفلان فهولاء اعوان مشاركون لك في سلطانك واكتب الى الوالي يلقك مع صاحب البريد في جماعة وتكتب الى الامير يلقاك في خاصتك ولا تكلف العامة ذلك ودع عنك سنة اهل التباهي فسوف يعلمون عليك بتقوى الله في كل امرك وكن كالمصلح ولا تعجل فلأن يقال لك : لِمَ لَمْ تفعل ؟ اخف عليك من ان يقال لك : لِمَ فعلت؟ واشغل نفسك بالدعاء في الصلوات والخلوات واتق الله وواظب على كتبك ووكل بها من يقوم بها ولا تعجل في الاحكام حتى تشاورني))[١].

اما المراسلات بين القضاة المتساوين في الدرجة القضائية فتشمل بحث ثلاث نقاط رئيسية والاولى هي تبليغ قاض اخر بحكم تم انفاذه من قبل القاضي المُرْسِل[٢]. وذلك في حالة كون احد اطراف القضية من سكان مدينة القاضي المُرَسَل اليه[٣]. والثانية ذكر ما أداه الشهود في القضية وسؤال القاضي المرسل اليه عن ذلك[٤]. والاخيرة السؤال عن الشهود الموجودين في مدينة المرسل اليه وطلب تعديلهم منه[٥].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٠٦/٤.

[٢] محمد بن احمد بن جزي ، قوانين الاحكام الشرعية (بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٦٨) ، ص٣٢٥.

[٣] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ٢٤٢/٩-٢٤٣ ؛ ابن فرحون ، تبصرة الحكام: ١٥/٢-١٦.

[٤] ابن جزي ، المصدر السابق ، ص٣٢٥.

[٥] ابن رشد ، البيان والتحصيل: ١٦١/٩ ، ٢٣٦ ؛ ابن جزي ، المصدر السابق ، ص٣٢٥.

الفصل الثاني
انتقال الفقهاء بين المدن

اولاً: الاسباب العلمية

ثانياً: الاسباب السياسية

ثالثاً: الجهاد:

رابعاُ: الاسباب الوظيفية

خامساً: اسباب اخرى متفرقة

سادساً: نتائج الانتقال

هيأ تنقل الفقهاء بين المدن وسلية مباشرة للاتصال فيما بينهم. مما اتاح امـــامهم فرصـــة مناسبة للتواصل العلمي ، وقد قدم الامام عبد الرحمن بن القاسم نصيحة للفقيه الاندلسي عيسى بن دينار وقت عودته لبلاده من مصر ، دلت على اهمية اختيار الفقهاء المناسب للمدن التـــي يستقرون فيها. حيث نصحه بان ينزل في اعظم مدن الاندلس ولا ينزل في مدينة يضيع فيهـــا علمه[١]. فهذا الكلام فيه تحفيز على التنقل بين المدن واشارة الى ان العلماء يجدون في المـــدن الكبيرة مراكز استقطاب لهم ، وذلك لمصلحة العلم الذي يحملونه من ناحية نشره والاســـتفادة الواسعة منه او تطويره بالاختلاط مع علماء اخرين وحتى الاستفادة منه بنيل وظـــائف لـــدى الدولة.

ونرى ان بعض الفقهاء طلب منهم بعض علماء واهل المدن التي نزلوها البقـــاء بيـــنهم للاستفادة الاوسع من علمهم. فقد جاء الى القيروان بعض فقهاء المالكية مثل عبد العزيز بـــن يحيى الهاشمي وذلك سنة (٢٢٥هـــ / ٨٣٩م) من المدينة المنورة ، وعندما قرر العودة طلـــب منه بعض فقهاء القيروان البقاء بينهم مدة اطول ليستطيع اكبر عدد من المهتمين السماع منـــه واعانوه على البقاء بينهم ، وفي السنة نفسها قَدِمَ القيروان ابو يحيى زكرياء بن يحيى الوقـــار (ت٢٥٤هـــ / ٨٦٨م) من مصر وهو من طلب من فقهاء القيروان ان يعينوه على البقاء فيهـــا كما اعانوا عبد العزيز بن يحيى[٢].

وعندما توجه محمد بـــن حـــارث الخـــشني مـــن القيـــروان الـــى ســـبتة قبـــل ســـنة (٣٢٠هـــ / ٩٣٢م) ابقاه اهلها عندهم ليدرسهم الفقه[٣]. وفي مصر طُلِبَ من عدد من فقهـــاء الاندلس البقاء فيها. فعندما قرر قاسم بن محمد بن يـــسار القرطبـــي (ت ٢٧٦هـــــ / ٨٨٩م) العودة الى الاندلس عاتبه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٨٦هـــــ / ٨٩٩م)[٤] واخبـــره بحاجته لعلمه وانه لو بقي بينهم سيكون في مقدمة فقهائهم ، فرفض ذلك وبين ضرورة عودته لوطنه[٥]. كما طلب فقهاء مصر من ابي الوليد عبد الله بن محمـــد (ت ٤٠٣هـــــ / ١٠١٢م) الاقامة عندهم بعد مروره بهم في طريق عودته من الحج فرفض وقال: ((من المروءة النـــزاع

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٧٠ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٧/٤.

[٢] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٨٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٨/٤.

[٣] المصدر نفسه: ٢٦٦/٦.

[٤] من فقهاء المالكية المصريين ، اليه كانت الرحلة من المغرب والاندلس للتفقه لديه ، وكان متمكن الحجـــة وبارعاً في المناظرة ، واليه انتهت الفتيا بمصر. القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٧/٤-١٥٨.

[٥] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٠٤ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٩٨/١.

الى الوطن))[١]. في حين كان الموقف معكوساً مع ابو الفضل يوسف بـن محمـد مـن قلعـة حماد[٢]. عندما دخل سجلماسة ونزل في احد مساجدها ليُدَرِّس ((اصول الفقه))[٣] ولم يكن هـذا العلم يُدَرَّس في سجلماسة ، فأُمر بالخروج منها فتوجه الى فاس ولاقى فيها مثل ما لاقى فـي سجلماسة ، حيث امره قاضي فاس عبد الحق بن دبوس ت٥٥٧هـ /١١٦١م) بالخروج منهـا وعاد الى بلده قلعة حماد[٤].

وقد احتفل علماء وسكان عدد من المدن بالفقهاء الواردين عليهم ، فعندما توجه القاضـي عياض بن موسى السبتي الى غرناطة سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م) خرج عـدد مـن سـكانها وعلمائها لاستقباله واقاموا له استقبالاً حافلاً وبلغ عدد اعيان البلد الذين شـاركوا فيـه مائتـا شخص ، ومن العامة عدد اكبر من ذلك بكثير[٥]. وعندما توجه الى قرطبة من غرناطـة زاره عدد كبير من اهلها ومعهم بعض الفقهاء مسلمين عليه ومحتفين به[٦]. وهذه المظاهر الاحتفالية باستقبال الفقهاء اتخذت احياناً شكلاً علمياً مثل المذاكرة. ونفس الاسـتقبال الـسابق للقاضـي عياض بن موسى في قرطبة تطور الى مذاكرة قام بها احمد بن عبـد الـرحمن بـن محمـد البطروجي[٧]. وكان فقهاء سوسة يعقدون مجلس مذاكرة لمن يردهم من علماء القيروان وتولى عبد الله بن حمود السلمي (ت ٣٥٧هـ / ٩٦٧م) القيام بتلك المذاكرة[٨].

ومما سهل عملية اللقاء بين الفقهاء وعزز تواصلهم العلمي اقامه قسم منهم فـي ضـيافة غيرهم من فقهاء المدن التي نزلوا فيها. فقد اقام سحنون بن سعيد عند عبد الرحيم بن عبد ربه في قصر زياد لمدة شهرين ونصف[٩]. وكان ابو هارون الاندلـسي (ت ٢٩١هــ / ٩٠٣م) كلما قَدِمَ القيروان نزل عند حماس بن مروان بن سماك (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)[١٠]. وعنـدما جاء ابو ميمونة دراس بن اسماعيل (ت ٣٥٧هـ / ٩٦٧م) من فاس الى القيروان استـضافه

---

[١] ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف (مصر: دار المعـارف ، ١٩٥٥): ١٠٤/١.

[٢] ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص٩٨-٩٩.

[٣] هو العلم الذي يدرس الادلة الشرعية التي تؤخذ منها الاحكام الفقهية. ابن خلـدون: المـصدر الـسابق ، ص٤٥٢ ؛ للتفاصيل انظر: محمد رضا المظفر ، اصول الفقه (النجف: دار النعمان ، ١٩٦٦).

[٤] ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص٩٨-٩٩.

[٥] المقري ، ازهار الرياض: ١١/٣.

[٦] ابن الابار ، المعجم ، ص٢٤.

[٧] المصدر نفسه ، ص٢٤-٢٥.

[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٣/٦.

[٩] المالكي ، المصدر السابق: ٤٢٥/١.

[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٧٦/٥.

ابو محمد بن ابي زيد[١]. ونزل منذر بن سعيد الطرطوشي (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٥م) فـي بيـت خلف بن فتح في طرطوشة في احدى قدماته اليها من قرطبة[٢].

وقد تعددت الاسباب التي دفعت الفقهاء للتنقل بين المدن والنتائج التي ترتبت على ذلـك وسنتطرق لها فيما يلي.

---

[١] المصدر نفسه: ٨٢/٦.

[٢] ابن الابار ، التكملة: ٢٩٢/١.

اولاً: الاسباب العلمية

كان انتقال الفقهاء احياناً نتيجة لاثارة بعض القضايا العلمية. فبسبب قضية كرامات الاولياء[١] التي أُثيرت في القيروان وامتد تاثيرها الى قرطبة انتقل بعض فقهاء قرطبة الى المغرب. فقد كان ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) احد ابرز متصوفة القيروان ويعتقد بكرامات الاولياء وعارضه في ذلك ابو محمد بن ابي زيد والف كتباً لتوضيح رايه وهي **الاستظهار في الرد على الفكرية** و**كشف التلبيس في الرد على الفكرية**[٢]. فاثار ذلك نقاشاً حاداً بين الطرفين وانصار كل منهما[٣]. ووصل صدى ذلك النقاش الى قرطبة بحيث أُثير نفسه فيها وانقسم فقهائها المهتمون بالموضوع الى قسمين: قسم ناصر راي ابو محمد بن ابي زيد وقسم ناصر راي عبد الرحمن بن محمد الصقلي ، وكان ابو بكر محمد بن موهب القبري (ت٤٠٦هـ / ١٠١٥م) مناصراً لراي ابي محمد بن ابي زيد ثم توسعت هذه المسالة في قرطبة واخذت ابعاداً مختلفة ادت الى اثارة مشاكل فيها وكان لمحمد بن موهب دوراً فيها مما دفع الحاجب ابن ابي عامر المنصور الى ارسال مجموعة من فقهاء الطرفين الى العدوة لمتابعة تلك القضية[٤]. ولم توضح المصادر النتائج التي اسفرت عنه بخصوص قضية كرامات الاولياء. باستثناء ما ورد عن بقاء محمد بن موهب القبري في المغرب مدة ، واخذ عنه اهلها وعاد الى قرطبة خفية مستتراً من الحاجب المنصور الى ان علم بوجوده فسمح له بالبقاء[٥]. وقد عُدَّ احد الباحثين ذلك التنقل ابعاد ونفي بعد الفتن التي حصلت في قرطبة والتي فسرها بتدخل العامة بتظاهرات مؤيدة لانصار تاييد كرامات الاولياء[٦].

---

[١] كرامة الولي هي الفعل الخارق للعادة ، يظهر على يد شخص عرف بعبادته ، كتحقيق اشياء يعجز بقية الناس عن القيام بها. محمد بن الطيب الباقلاني ، كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر ، تحقيق الاب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي (بيروت: المكتبة الشرقية ، ١٩٥٨) ، ص١٤-١٥ ؛ ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص٥٤-٥٥ ؛ وللامثلة عن كرامات الاولياء انظر: يوسف ابن اسماعيل النبهاني ، جامع كرامات الاولياء ، مراجعة ابراهيم عطوة عوض (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٦٢).

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٩/٦.

[٣] عمر بن حمادي ، كرامات الاولياء: النقاش الحاد الذي اثارته بالقيروان وقرطبة في اواخر القرن ٤هـ / ١٠م ، مجلة دراسات اندلسية ، العدد٤ ، (١٩٩٠) ، ص٤٠.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٠/٧.

[٥] المصدر والمكان نفساهما ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢١٧.

[٦] حمادي ، المرجع السابق ، ص٤٩.

كما كان لاختلاف الفقهاء مع غيرهم من الفقهاء في الراي تجاه بعض القــضايا العلميــة دافعاً لترك مدنهم الى اخرى. فقد كان محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣هـــ / ١١٣٩م) احد ابرز فقهاء اشبيلية وقاضيها وله شدة وسطوة[١]. بحيث الزم الناس بالصلاة والنهــي عــن المنكر والامر بالمعروف مما اثار غضب من لم يَرُقهم ذلك من اهل اشــبيلية[٢]. ولــم تكــن علاقته جيدة ايــضاً بفقهــاء اشــبيلية[٣]. حيــث توجــه محمــد بــن اســماعيل الرنجــاني (ت ٥٢٩هــ / ١١٣٤م) احد ابرز فقهاء الشورى في اشبيلية الى مراكش للمطالبة بعزله عــن القضاء[٤]. ويقدم القاضي عياض في **الغنية**[٥] ، تفسيراً لسوء علاقته بفقهاء اشــبيلية بقولــه: ((ولكثرة حديثه واخباره وغريب حكاياته ورواياته اكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثــه)). ومن ذلك الكلام ما كتبه عن مقتل الحسين في كتابه **العواصم من القواصم**[٦] بحيث طعن فــي ارائه تلك احد الفقهاء واعلن ذلك امام الناس وعدّها تاييد منه لقتل الحسين مما اثــار العامــة عليه فاقتحموا داره لهذا السبب واسباب اخرى[٧] فاضطر للتوجه الى المغرب[٨].

وأَبعدَ الدولة قسماً اخر من الفقهاء الى المغرب بعد سعي خصومهم من الفقهاء بــذلك ، مثل احمد بن محمد بن العريف (ت ٥٣٧هــ / ١١٤٢م)[٩] وعبد السلام بن عبد الرحمن بــن برجان (ت ٥٣٦هــ / ١١٤١م)[١٠]. وقد اتخذ كل من ابن برجــان وابــن العريــف الزهــد

---

[١] النباهي ، المصدر السابق ، ص١٠٦ ؛ المقري ، ازهار الرياض: ٦٤/٣ ؛ شمس الدين محمد بــن احمــد الذهبي ، تذكرة الحفاظ (بيروت: دار احياء التراث العربي ، (بلا ، ت)): ١٢٩٦/٢.

[٢] الهرفي ، المرجع السابق ، ص٨٦.

[٣] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٤٢١/٢.

[٤] ابن الابار ، المعجم ، ص١١٨.

[٥] ص٦٨.

[٦] ابن العربي ، تحقيق عمار الطالبي (الدوحة: دار الثقافة ، ١٩٩٢) ، ص٢٢٤.

[٧] ابن الاحمر ، بيوتات فاس الكبرا (الرباط: دار المنصور ، ١٩٧٢) ، ص٦٠.

[٨] القاضي عياض ، الغنية ، ص٦٨ ؛ ابن الاحمر ، المصدر السابق ، ص٦٠-٦١ ؛ الــذهبي ، المــصدر السابق: ١٢٩٦/٢.

[٩] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٨١/١ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص١٦ ؛ ابن خلكان ، المــصدر الــسابق: ١٦٩/١.

[١٠] ابن الابار ، المعجم ، ص١٧ ؛ ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص١٧٠ ؛ احمد بن علي بــن حجــر ، لسان الميزان (حيدر اباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٣٠هــ): ١٣/١.

والتصوف طريقاً لهما[١]. وكان ابن برجان شيخ ابن العريف واستاذه[٢]. وقد خاصم ابن برجان فقهاء بلدته المرية بعد ان كَثُر اتباعه ورفضوا منهجه فرموه بالكفر وابلغوا السلطان علي بن يوسف بن تاشفين[٣] بانه يسعى للقيام بدور سياسي في الاندلس وقد خطبت له نحو مئة وثلاثين بلدة فارسل السلطان من قتله[٤] في حين قالت مصادر اخرى ان السلطان علي بن يوسف بن تاشفين امر باحضاره الى مراكش[٥]. وسُئِل فيها عن بعض المسائل التي انتقدوه عليها فاجاب عنها بما لم يُبقِ لخصومه حجة ومات بعد ذلك في مراكش[٦]. ولاقى ابن العريف مثل ما لاقى استاذه ابن برجان حيث خاصمه ايضاً فقهاء مدينته المرية بعد زيادة عدد اتباعه فوشوا به الى السلطان علي بن يوسف بن تاشفين[٧]. وقام بذلك قاضي المرية ابو بكر محمد بن ابراهيم بن اسود (ت٥٣٦هـ / ١١٤١م) حيث التقى بالسلطان علي بن يوسف في مراكش وحذره من ابن العريف[٨]. فامر علي بن يوسف باحضاره الى مراكش مع ابن برجان وتوفي فيها[٩].

وفي المغرب اختلف عبد الله بن احمد بن خلوف (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) لسبب ما مع شيخه ابي عبد الله بن محمد بن عيسى فترك مدينة سبتة الى مدينة اغمات[١٠]. كما انتقل من

---

[١] كلود عداس ، "التصوف الاندلسي وبروز ابن عربي" ، ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨): ١٢٧٥/٢.

[٢] بولس نويا اليسوعي ، "رسائل ابن العريف الى اصحاب ثورة المريدين في الاندلس" ، مجلة الابحاث ، (١٩٧٨-١٩٧٩) ، ص٤٣-٤٤.

[٣] علي بن يوسف بن تاشفين ، اصبح سلطان المرابطين بعد وفاة ابيه سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) وقد قام بالعديد من الغزوات في الاندلس ، وكان حسن السيرة بعيداً عن الظلم ، عرف باهتمامه بالعلم والعلماء. عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٢٣٥ ؛ مجهول ، المصدر السابق ، ص٨٤.

[٤] ابو عبد الوهاب بن احمد الشعراني ، الطبقات الكبرى (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٥٤): ١/١.

[٥] ابن الابار ، المعجم ، ص١٦-١٧ ؛ ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص١٧٠ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان: ١٣/١.

[٦] ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص١٧ ؛ ابن حجر ، لسان الميزان: ١٣/١.

[٧] ابن الابار ، المعجم ، ص١٦-١٧ ؛ ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص١١٨ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق: ١٦٩/١.

[٨] ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص١١٩.

[٩] ابن الابار ، المعجم ، ص١٦-١٧.

[١٠] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٥٥.

سبتة ايضاً ابو محمد حجاج بن قاسم الى المرية لسوء علاقته مع بعض فقهائها[١]. اما محمد بن عبد الرحمن بن العجوز السبتي فقد اخطأ في خطبة العيد في احدى الايات القرانية حيث قرأ واعدوا لهم ما استطعتم من عدة[٢] بدلاً من (قوة) ، وعندما لامه الناس على خطئه لم يتقبل ذلك وقال الوزن واحد بين كلمتي عدة وقوة فعد فقهاء سبتة كلامه ذلك مستوجباً الاستتابة فسجن وبعدها ترك سبتة ورحل الى فاس[٣]. في الوقت الذي توجه فيه ابو ميمونة دارس بن اسماعيل الى القيروان من فاس لسبب مختلف وهو رغبته في الظهور بين فقهائها واثبات جدارته وتفوقه عليهم[٤]. فقد قال له احد فقهائها بعد نقاش بينهم متهكماً: ((ما اظنك الا ان تريد ان تكون ديكاً في بلدك فقال ابو ميمونة: اكرمك الله ولو شئت ان اكون ديكاً في غير بلدي كنت))[٥].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٦/٨.

[٢] سورة الانفال / الاية ٦٠.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٤/٨-١٧٥ ؛ ابن القاضي ، المصدر السابق: ٢٥٢/١.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٢/٦،٨٢.

[٥] المصدر نفسه: ٨٣/٦.

ثانياً: الاسباب السياسية:

كان السبب السياسي احد الدوافع الرئيسية لانتقال الفقهاء بين المدن وذلك وبتاثير بعض الحوادث السياسية التي تعرضت لها البلاد. مثل هيجة الربض التي حصلت في الاندلس سنة (٢٠٢هـ / ٨١٧م) حيث ثار قسم من سكان قرطبة على الامير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن[١] بتحريض عدد من الفقهاء وانتهى هذا الحادث بفشله وتهديم الربض الشرقي من قرطبة ، وقتل الكثير من سكانه ومنهم العديد من الفقهاء[٢]. مما دفع بعض ممن نجا الى الهرب خارج قرطبة وكانت مدينة طليطلة من المدن التي توجه اليها بعضهم مثل يحيى بن يحيى الليثي[٣] وعيسى بن دينار[٤] وعبد الجبار بن طالوت[٥] ، وغادرت الغالبية الى خارج الاندلس بعد ان اصدر الامير الحكم الربضي امراً بنفيهم عن قرطبة[٦]. حيث استقر قسم منهم في فاس في منطقة عُرِفَت بعدوة الاندلسيين وكانوا بحدود ثمانية الاف بيت[٧]. وتوجه القسم الاخر الى الاسكندرية ومنها الى جزيرة قبرص[٨].

وخلال الفتنة التي حصلت في الاندلس بين (٣٩٩-٤٢٢هـ) (١٠٠٨-١٠٣٠م) بسبب الصراع على السلطة بين الجند المغاربة والخلفاء الامويين وخلفاء بني حمود ، تعرض للاذى عدد من العلماء مما دفع بعضهم لمغادرة مدنهم طلباً للامان[٩]. ومن المدن التي اصبحت نقطة جذب للعلماء والسكان بنفس الوقت المرية حيث ازداد عدد سكانها لكثرة من وفد اليها للهدوء

---

[١] تولى الحكم بن هشام الحُكُم سنة (١٨٠هـ / ٧٩٦م) بعد وفاة والده ، وبقي فيه الى ان مات سنة (٢٠٦هـ / ٨٢١م) وكان من ابرز الامراء الامويين في الاندلس. عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٥.

[٢] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٧٢ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق: ٧٥/٢ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ٤٢/١ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٤-٤٥.

[٣] المصدر نفسه ، ص٧٣ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ٤٣/١.

[٤] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٧٣ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٧/٤.

[٥] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٧٦ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٦ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ٤٣/١.

[٦] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٧٣ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٥-٤٦ ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس (القاهرة: لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠):١/٣/ ٢٤٠-٢٤١.

[٧] محمد رزوق ، الاندلسيون وهجراتهم الى المغرب (الدار البيضاء: افريقيا الشرق ، ١٩٩١) ، ص٢٩.

[٨] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٥ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ٤٢/١.

[٩] عبد الوهاب خليل الدباغ ، "اثر الفتنة في الحركة العلمية بقرطبة (٣٩٩-٤٢٢هـ)" ، مجلة افاق الثقافة والتراث ، السنة٧ ، العدد٢٥-٢٦ ، (٢٠٠٠م) ، ص١٠٣.

النسبي الذي توفر فيها خلال تلك الاحداث[١]. وشهدت مدينة قرطبة خروج العديد من فقهائهـــا منها لا سيما من تولى منهم وظائف لدى الامويين او عُرِف بتاييده لهم مثل ابي عمر احمد بن عفيف (ت٤١٠هـــ / ١٠١٩م) الذي تولى الشرطة والوثائق في قرطبة وعندما تغيرت السلطة فيها اخرجته منها فتوجه الى المرية[٢]. وابو بكر محمد بن علي (ت ٤١٠هـــ / ١٠١٩م) كان من الفقهاء المشاورين لدى الامويين في قرطبة واحد مؤيديهم لهذا اخرجه بنـــو حمـــود مـــن قرطبة وذلك بعد سجنه[٣]. وكان خلف بن مروان بن اميـــة (ت ٤٠١هــــ / ١٠١٠م) احـــد الفقهاء المشاورين ايضاً في قرطبة عند بداية الفتنة ثم هرب منها بعد مدة قصيرة وعـــاد الـــى بلدته الصخرة[٤]. وكذلك عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت ٤٣٢هـــ / ١٠٤٠م) من الفقهاء المشاورين في قرطبة تركها وتوجه الى دانية[٥]. بينما توجه محمد بن يحيى بن احمـــد الى سرقسطة[٦]. اما عن ابي بكر محمد بن مروان بن زهر عندما سيطر ابو القاسم المعتمـــد بن عباد على مدينة اشبيلية قام بملاحقة الموالين للامويين فيها فخشي ابن زهر علـــى نفـــسه وتوجه الى طليطلة[٧].

وفي مرحلة انتقال الاندلس من الحكم المرابطي الى الحكم الموحـــدي شـــهدت بعـــض التغييرات السياسية في مقدمتها قيام بعض قضاة الاندلس باعلان انفسهم حكاماً وحتـــى خلفـــاء في المدن التي كانوا فيها[٨]. ويبدو ان عدداً منهم بحكم العلاقة التي ربطتهم مع غيـــرهم مـــن الفقهاء حاولوا الحصول على تاييدهم بتوليتهم وظائف لديهم ، حيث اعلن ابـــو العبـــاس بـــن الحلال نفسه حاكماً على مرسية[٩]. وممن توجـــه اليهـــا احمـــد بـــن ابـــراهيم بـــن عيـــسى (ت ٥٥٢هـــ / ١١٥٧م) من جزيرة شقر للعمل بعقد الشروط فيها[١٠]. ومحمد بن عبد الرحيم بن محمد (ت ٥٦٧هـــ / ١١٧١م) توجه اليها من غرناطة واصبح من الفقهـــاء المـــشاورين

---

[١] السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية (ط٢ ، بيروت: دار النهضة العربيـــة ، ١٩٦٩) ، ص١١٠-١١١.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩/٨ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٣٩/١.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢/٨.

[٤] المصدر نفسه: ٢٥/٨.

[٥] المصدر نفسه: ٢٦/٨.

[٦] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٥٠٧/٢.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩/٨.

[٨] حسين مؤنس ، "نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الـــى الموحـــدين" ، صـــحيفة المعهـــد المصري بمدريد ، (١٩٥٥م) ، ص١٢٦ – ١٢٩.

[٩] ابن الابار ، المعجم ، ص١٨٦.

[١٠] المراكشي ، المصدر السابق: ٦٠/١/١.

فيها[١]. بينما توجه ابو جعفر بكر بن موسى (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) من جيان الى قرطبة[٢]. في حين فضل البعض الاخر من الفقهاء التنقل الى خارج الاندلس مثل محمد بن احمد بن ابراهيم (ت ٥٤٦هـ / ١١٥١م) الذي خرج من جيان واستقر في فاس[٣]. وهناك من غادر الى المشرق مثل ابي الوليد محمد بن عبد الله (ت ٥٥١هـ / ١١٥٦م)[٤]. وعبد الغفور بن اسماعيل بن خلف[٥].

كما كان سقوط بعض المدن بيد الاسبان دافعاً لان يغادرها عدد من فقهائها. فقد ترك طليطلة سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) احمد بن محمد بن عبد الرحمن الى دانية[٦] وعبد الرحمن بن محمد بن سلمة (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)[٧]. وغادر بلنسية سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) الى دانية موسى بن سعادة ابو عمران[٨]. كما غادر سرقسطة سنة (٥١٢هـ / ١١١٨م) الى بلنسية احمد بن محمد بن سعيد (ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م)[٩]. اما طرطوشة فقد غادرها سنة (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) حسين بن محمد بن حسين (ت ٥٦٣هـ / ١١٦٧م) الى مرسية[١٠] واحمد بن مالك بن مروان الى بلنسية[١١] ، ولاردة سنة (٥٤٥هـ /١١٥٠م) غادرها الى بلنسية يحيى بن سليمان بن حسين[١٢].

---

[١] ابن الابار ، المعجم ، ص١٨٦ ؛ ابن الابار ، التكملة: ٥٠٩/٢ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٧٤/٦.
[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٩/٨.
[٣] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٢٦٢/١.
[٤] المقري ، نفح الطيب: ٩/٤.
[٥] ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص٣٨.
[٦] المراكشي ، المصدر السابق: ٤٥١/١/١.
[٧] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٣٤٢/٢.
[٨] ابن الابار ، المعجم ، ص١٩٦.
[٩] المراكشي ، المصدر السابق: ٤٢٩/١/١.
[١٠] ابن الابار ، المعجم ، ص٨٣.
[١١] المصدر نفسه ، ص٣٧ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٥٣٦/١/١.
[١٢] ابن الابار ، المعجم ، ص٣٢٥.

وفي المغرب ابان حكم الدولة الفاطمية لاقسام منه[١] وبعد ان اصبحت مدينة القيروان ضمن سيطرتهم اثر ذلك على الكثير من فقهائها تاثيراً سيئاً. حيث حاربهم الفاطميون منذ دخولهم القيروان وعذبوا وقتلوا بعض من لم يلبِ لمطالبهن باعتناق مذهبهم او خدمة اغراضهم السياسية[٢]. وقد دفع هذا احد الفقهاء المغاربة الى تقديم اقتراح لفقهاء القيروان بمغادرتها ورفض بعضهم ذلك حرصاً على مصلحة عامة الناس ليفقهوهم في دينهم ويبينون لهم افتراءات الفاطميين[٣]. وقد حاول الفاطميون اكراه الفقهاء على الدخول في دعوتهم ، وبخصوص هذا الموضوع سُئل ابو محمد بن الكبراني عمن خيره الفاطميون بين الدخول في دعوتهم او القتل هل يختار القتل ام يلبي طلبهم فاجاب بان يختار القتل الا اذا كان غير عارف على وجه الدقة ما طُلب منه ، واذا عرف الغاية من مطلبهم عليه الفرار ولا يعذر اذا وافقهم بحجة الخوف لان على الفقهاء ان يواجهوهم ويمنعوهم من تعطيل الشرائع[٤]. ولهذا واجه فقهاء المالكية من أيّد الفاطميين او ساعدهم عدد من الفقهاء ، حيث قدم ابو اسحاق ابراهيم بن حسن (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م) فتوى تتعلق بالفاطميين قال فيها انهم على قسمين: منهم كل ما يقولونه ويفعلونه كفر وقتلهم مباح ، والقسم الاخر الذين يفضلون الامام علي ﷺ على سائر الصحابة وهؤلاء لا يبطل التعامل معهم ، فاثارت فتوته هذه حفيظة فقهاء القيروان وعامتها ايضاً لان فيها تاييد للفاطميين في جانب منها ، وازاء ذلك دخل في مشكلات وخصومات مع فقهاء القيروان مما اضطره بالتالي الى مغادرته القيروان الى المنستير[٥].

وعارض ايضاً فقهاء القيروان ابا القاسم خلف البراذعي (ت ٣٨٦هـ / ٦٩٦م) ورفضوا وجوده بينهم لتاليفه كتاب يؤكد فيه صحة نسب الفاطميين ، وقبوله اعطياتهم وفضلاً عن ذلك كانت علاقته سيئة مع الامام ابي محمد بن ابي زيد وعندما وجد نفسه محاصراً من

---

[١] قضى الفاطميون على وجود الاغالبة في تونس سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بعد خمسة عشر عاماً من النزاع بينهم وفي عام (٢٩٧هـ /٩٠٩م) دخل ابو عبيد المهدي تونس ولقب نفسه بخليفة الله والمهدي بالله امير المؤمنين وعمل على تثبيت مركزه باتخاذه سياسة دينية طبقاً لمذهبه ، واتخذ مركزاً جديداً للحكم في مدينة المهدية. عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص٥٨٠-٥٨١ ، ٥٩٧ ؛ وللتوسع في التفاصيل انظر: القاضي النعمان ، كتاب افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوي (تونس: الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٥).

[٢] مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٧) ، ص١٤١.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٣/٧.

[٤] المصدر نفسه: ٢٧٦/٧-٢٧٧.

[٥] المصدر نفسه: ٦٠/٨-٦٢ ؛ عبد الوهاب ، المرجع السابق: ٦٦٧/١-٦٦٨.

فقهاء القيروان خرج منها واستقر في صقلية[١]. وممن فضل الخروج من القيـروان لوجـود الفاطميين بها عمر بن عبد الله بن يزيد (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) وغادرها الـى المنـستير[٢]. ومحمد بن نظيف (ت٣٥٥هـ / ٩٦٥م) وغادرها الى مصر[٣].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٨/٧ ؛ عبد الوهاب ، المرجع السابق: ٦٥١/١.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٠/٦.

[٣] المصدر نفسه: ٢٠٦/٦.

ثالثاً: الجهاد

كانت العلاقة وثيقة بين العلم والجهاد وتولى الفقهاء الدعوة للجهاد وشاركوا فيه في احيان كثيرة[١]. وقدم بعضهم طلب العلم على الجهاد ، لهذا عندما قرر عبد السلام سحنون الجهاد وسمع بهذا الامام عبد الرحمن بن القاسم بمصر من محمد بن رشيد (ت٢٠٢هـ /٨١٧م) ابلغه ان يخبر سحنون بالقعود عن الجهاد والتبرع بالعدة التي حضرها لغيره من المجاهدين ، وان يتفرغ لطلب العلم فهو اولى به من الجهاد واكثر ثواباً[٢]. واشار سحنون بدوره على عبد الرحيم بن عبد ربه بالمرابطة وبناء رباط قصر زياد وذلك افضل من خروجه للجهاد مع الجيش المتوجه الى صقلية[٣]. ويبين هذا دور الربط في نشاطي العلم والجهاد ، ففي المغرب عُمِّرت رُبُط السواحل بالعلماء[٤]. وعرف قصر زياد باسم دار مالك لكثرة ما ورده من فقهاء المالكية[٥]. وازداد ورود العلماء الى الربط في مواسم معينة منها شهر رمضان ، فقد كان سحنون يتوجه الى المنستير في رمضان مع عدد من الفقهاء ومنهم موسى بن معاوية (ت٢٢٦هـ / ٨٤٠م) ، ويعودوا الى القيروان بعد انتهاء ليلة القدر في السابع والعشرين منه[٦]. وكذا يحيى بن عمر بن يوسف (ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م) توجه الى المسنتير في كل رمضان[٧]. ومن الفقهاء ايضاً الذين واظبوا على التوجه الى الرُبُط عبد المؤمن بن المنستير[٨]. ومحمد بن سحنون رابط في وقت ما بقصر الطوب ، وصادف ان تعرض لهجوم من الروم فشارك في القتال بعد ان تجمع معه جماعة من المرابطين[٩]. وهناك من قرر الاستقرار في الربط مثل عمر بن عبد الله بن يزيد الذي سكن المنستير ومنها كان يخرج الى سوسة احياناً[١٠].

---

[١] حسين ، المرجع السابق ، ص٨١.

[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٣٥١/١.

[٣] المصدر نفسه: ٤٢٢/١.

[٤] عبد الحميد ، المرجع السابق: ٥١٥/٢ ؛ ناجي جلول ، الرباطات البحرية بافريقية في العصر الوسيط (تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، ١٩٩٩م) ، ص٨٣ - ٨٧.

[٥] قاسم ، المرجع السابق ، ص١٢٨.

[٦] المالكي ، المصدر السابق: ٣٨١/١.

[٧] المصدر نفسه: ٤٩٧/١.

[٨] المالكي ، المصدر السابق: ٢٩١/١.

[٩] المصدر نفسه: ٤٤٦/١.

[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٠/٦.

وفي الاندلس تنقل بعض الفقهاء بين مدنها في دعوة للوحدة والتآزر ، واتخذ ذلك شكلين احدهما عام غلب عليه الطابع الشخصي وهو اتجاه الاغلبية ، والاخر خاص حيث ساند الفقهاء الحكام في دورهم الجهادي وغلب عليه الطـــابع الرســـمي[١]. وممـــن مثـــل الاتجـــاه الاول عبد الرحمن بن احمد التجيبي (ت ٤٠٩هـــ/١٠١٨م)[٢]. ومثّل سليمان بـــن خلـــف البـــاجي الاتجاه الثاني[٣]. وقد تنقل بين العديد من مدن الاندلس لتوحيد كلمـــة امـــراء الانـــدلس فـــي مواجهتهم لعدوهم[٤]. كما ان الحكام المرابطين رافقهم احياناً عدد من الفقهاء في غزواتهم منهم يوسف بن تاشفين وممن صحبه في احدى غزواته محمد بن عبد الرحمن[٥]. والامير تميم بـــن يوسف[٦] غالباً ما رافقه ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد[٧]. وكـــذلك الاميـــر ابـــراهيم بـــن يوسف[٨] لا سيما في وقعة قتندة التي رافقه فيها العديد من الفقهاء منهم ابو علي حسين محمـــد بن سكرة الصدفي[٩].

---

[١] حسين ، المرجع السابق ، ص٨٦.

[٢] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٣١٥/١.

[٣] حسين ، المرجع السابق ، ص٨٧.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٧/٨ ؛ ابو الحسن علي بن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٧٨): ٩٦/٢/١.

[٥] ابن الابار ، التكملة: ٢٣/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٤٥١/١/١.

[٦] من ابناء يوسف بن تاشفين رافق والده في الاندلس في بعض الغزوات وقاد بنفسه بعضها الاخر ، وشارك ايضاً في قتال الموحدين في المغرب. مجهول ، المصدر السابق ، ص١١٢،٩٣،٨١،٧٧،١٧.

[٧] ابن الابار ، المعجم ، ص٥٧ ؛ ابراهيم بن محمد البلفيقي ، المقتضب من كتاب تحفـــة القـــادم ، تحقيـــق ابراهيم الابياري (القاهرة: المطبعة الاميرية ، ١٩٥٧) ، ص٣٤.

[٨] من ابناء يوسف بن تاشفين ، ولي مدينة مرسية ايام حكم اخيه علي بن يوسف وقاد بعض الغـــزوات فـــي الاندلس وشارك في قتال الموحدين بالمغرب. ابن الابار ، المعجـــم ، ص٥٤-٥٥ ؛ مجهـــول ، المـــصدر السابق ، ص١١٠.

[٩] ابن الابار ، المعجم ، ص٥٤. وقد حصُلت وقعة قتندة سنة (٥١٤هـــ/١١١٠م) بين المسلمين بقيادة ابراهيم بن يوسف والنصارى الاسبان بقيادة الفونسو وهزم فيها المسلمون واستشهد في هذه الوقعـــة العديـــد مـــن الفقهاء. عنان ، المرجع السابق: ١٠٢/١/٣-١٠٣.

رابعاً: الاساب الوظيفية

كان لبعض الوظائف التي تولاها الفقهاء دوراً في تنقلهم بين المدن ، وفي مقدمتها وظيفة القضاء حيث تولى عدد من الفقهاء القضاء لاكثر من مدينة وفي اوقات مختلفة. مثل ابي القاسم محمد بن احمد بن عبد الرحمن (ت٦٠١هـ / ١٢٠٤م) الذي تولى القضاء في قرطبة ثم الجزيرة الخضراء ثم شاطبة واخيراً دانية[١]. وعبد الرحمن بن محمد بن العجوز (ت ٥٠١هـ /١١١٦م) ولِّيَ قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء سلا ثم مراكش ثم فاس[٢]. وفي العصر المرابطي (٤٧٩-٥٤١هـ / ١٠٨٦-١١٤٦م) حيث الوحدة السياسية بين المغرب والاندلس تولى بعض فقهاء المغرب القضاء في الاندلس والعكس ايضاً. مثل القاضي عياض الذي تولى القضاء في مدينة سبتة ثم مدينة غرناطة ثم عاد الى سبتة قاضياً ايضاً[٣]. وعبد الله بن اسماعيل ابو محمد الاشبيلي الذي ولِّيَ قضاء اغمات ثم قضاء مراكش[٤].

ومن الوظائف المتعلقة بالقضاء الكتابة لدى القضاة. فقد تولاها عيسى بن سهل للقاضي ابي زيد عبد الرحمن بن الحشا (ت٤٧٠هـ /١٠٧٧م) بطليطلة ثم للقاضي ابي بكر محمد بن منظور (ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١م) بقرطبة[٥]. وفيما بعد أُستُقضيَ ابن سهل في طنجة ثم غرناطة وخلال هذا الوقت تولى الكتابة لديه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر (ت ٥١٣هـ / ١١١٩م) من القيروان كتب له في طنجة ثم تبعه الى غرناطة وبقي كاتباً لديه[٦]. اما من يتولى المشاورة فعليه ان ينتقل الى العاصمة ففي الاندلس أُختير عبد الملك بن حبيب للمشاورة فاستقدم من مدينته البيرة لذلك الغرض[٧].

---

[١] المراكشي ، المصدر السابق: ٦٧٦/٢/٥.

[٢] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٤٠٨/٢.

[٣] ابن عياض ، المصدر السابق ، ص١٠-١١ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٤٥٣/٢ ؛ المقري ، ازهار الرياض: ١٠/٣.

[٤] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢٨٩/١.

[٥] المصدر نفسه: ٤٣٨/٢ ؛ النباهي ، المصدر السابق ، ص٩٧. اما وظيفة الكتابة لدى القضاة فسيتم التوسع في الكلام عليها في الفصل القادم.

[٦] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٨٦ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٠٣/٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج، ص٨٩.

[٧] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٥٠.

اما ابو عبد الله محمد بن فتوح بن علي (ت ٤٥٨هـ /١٠٦٥م) من غرناطة فقد أُستُدعي الى مالقة لتولي الفتيا[١] بها سنة (٤٩٧هـ / ١١٠٣م)[٢]. واحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٥٩هـ / ١١٦٣م) من سبتة ، الذي توجه الى مراكش للكتابة لدى قاضيها ثم استقر بها بعد ان تولى احكامها[٣] وامامة الصلاة في مسجدها ، ثم ترك الاحكام وبقي في الامامة وفي وقت لاحق اذ تولى احكام وامامة صلاة وادي اش في الاندلس[٤].

---

[١] الافتاء هو الاخبار عن حكم الله تعالى بمقتضى الادلة الشرعية. والفرق بين منصبي الافتاء والقضاء ، ان حكم القضاء ملزم يجب قبوله ، اما الفتوى فهي لبيان حكم الشرع في المسالة المستفتى فيها ، وحكمها غير ملزم رسمياً للسائل. والقضاء يكون بين طرفين اما طلب الفتوى فيكون من قبل طرف واحد يقوم بالسؤال وربما تكون ثمة جماعة هي المستفتية. والموضوع الذي يدخل ضمن عمل المفتي ولا يدخل ضمن عمل القاضي هو الفتوى في مسائل تتعلق بالعبادات. احمد بن ادريس القرافي ، الاحكام في تمييز الفتاوي عن الاحكام وتصرفات القاضي والامام ، تحقيق عبد الفتاح ابو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الاسلامية ، ١٩٦٧) ، ص٩٠ ؛ احمد شلبي ، تاريخ التشريع الاسلامي (ط٢. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨) ، ص٢٤٤.

[٢] ابن عطية ، المصدر السابق ، ص٨٥.

[٣] كان الذي يتولى خطة صاحب الاحكام في الاندلس في بداية امرها من الناشئين في سلك القضاء ويتولى ناحية صغيرة نيابة عن احد كبار القضاة وفي عصر الطوائف تطورت الحالة بحيث صارت توليتها تسمى عقداً يصدر عن الحاكم وليس عن القاضي ، وقد يتولى الشخص احكام اكثر من ناحية وهذا مما يدل على ان الخطة واسعة واحكامها نهائية لا يراجع فيها الحاكم نفسه. عبد الوهاب خليل الدباغ ، التاريخ السياسي والحضاري لسرقسطة في عهد بني هود (٤٣٠-٥٠٣هـ) (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٩٠) ، ص١٣٣.

[٤] محمد بن عبد الله بن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان (ط٢ ، مصر: مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣): ١٨٣/١-١٨٤.

خامساً: اسباب اخرى متفرقة

هناك اسباب متفرقة اخرى دفعت الفقهاء لمغادرة مدنهم. منها الهرب من تولي القضاء. فقد عُرِض قضاء القيروان على عبد الله بن فروخ ورفضه على الرغم من الضغط عليه لتوليه. واشار بتولية عبد الله بن غانم الذي كان دائم الاستشارة لابن فروخ مما دفعه لترك القيروان والمغرب باكمله الى مصر[١]. حيث قال لابن غانم: ((لم اقبلها اميراً فاقبلها وزيراً))[٢]. وابو محمد بن عبد الله بن حمو المسيلي (ت٤٧٣هـ/١٠٨٠م) الذي عُيِّن قاضياً لسبتة ثم توجه الى المرية هرباً من القضاء[٣]. بينما توجه ابو عبد الله محمد بن عيسى الى سبتة سنة (٥٠٣هـ / ١١٠٩م) من فاس بعد ترشيحه لقضائها[٤]. وفي الاندلس دُعِي ابو علي حسين بن سكرة الصدفي لتولي قضاء مرسية فهرب الى المرية سنة (٥٠٥هـ / ١١١١م) وصادف انه في المرية أُجبِر على تولي قضائها سنة (٥٠٦هـ / ١١١٢م) وبقي فيه حتى سنة (٥٠٧هـ / ١١١٣م) حيث استخفى تعبيراً عن رفضه للاستمرار في القضاء ولم يُظهِر نفسه الى ان عُزِل عنه[٥].

ومن الاسباب الاخرى للانتقال طلب العلاج ففي مدينة المرية وُجِدت منطقة باسم حمة المرية يقصدها الناس للتطبب والشفاء[٦]. وممن انتقل اليها من الفقهاء لغاية التطبب فيها ابو علي الحسين بن محمد الغساني من قرطبة (ت٤٩٨هـ /١١٠٤م)[٧] وعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت٥٤١هـ / ١١٤٦م) من غرناطة[٨]. وفي المغرب توجه عبد الحميد بن محمد الصائغ من القيروان الى سوسة للاستشفاء بحسن هوائها[٩].

كما عمل بعض الفقهاء بالتجارة وعملهم هذا تطلب منهم التنقل بين المدن فقد تاجر عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م) بالثياب حيث كان يحملها من مدينته بجانة الى قرطبة ليبيعها فيها وبثمنها يشري بضاعة قرطبية مطلوبة ببجاية وذلك بصورة

---

[١] القيرواني ، المصدر السابق ، ص١٧٤-١٧٥ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ١٧٧/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٧/٣-١٠٨ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٤٢/١-٢٤٣.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٧/٣ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٤٣/١.

[٣] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢٩٨/١.

[٤] القاضي عياض ، الغنية ، ص٢٨.

[٥] المقري ، ازهار الرياض: ١٥٣/٣.

[٦] سالم ، المرجع السابق ، ص١٣٥.

[٧] ابن عطية ، المصدر السابق ، ص٥٧ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص٢٢.

[٨] المصدر نفسه ، ص٢٧٠.

[٩] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٦/٨.

سنوية ، ويستثمر هذه الرحلة ايضاً في تسميع العلم والسماع[١]. اما محمد بن سعدون القيرواني (ت٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) فقد وفر له عمله بالتجارة الفرصة بالانتقال ليس فقط داخل المغرب وانما داخل الاندلس ايضاً[٢].

وهناك فئة اخرى من الفقهاء لم تهرب من القضاء ، وانما هربت من الشهرة والصيت الذائع لا سيما من اتصف منهم بالزهد فكان يخشى من كثرة الاقبال على علمه خوفاً وتحرجاً من الزلل او الخطأ ، فلجأوا الى مدن غير معروفين فيها واستقروا بها رغبة في خمول ذكرهم، مثل محمد بن احمد بن يونس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م) الذي توجه من القيروان الى تونس[٣]. وابي اسحاق الجبنياني (ت٣٦٩هـ / ٩٧٩م) سكن جبنيانة لنفس الغرض[٤]. ومع هذا لم ينقطع فقهاء القيروان عن زيارته في جبنيانة للاخذ من علمه والتبرك بدعائه[٥]. وهناك ثلاثة اخوة هم ابو الطيب ومحرز ومحمد من اهل سفاقس كانوا علماء فضلاء رحلوا الى اغمات ولم يصرحوا بشخصياتهم الى ان علم بهم اهل سفاقس فاجلسوهم للسماع[٦].

---

[١] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٣١٧/١.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٣/٨.

[٣] المصدر نفسه: ٢١/٦.

[٤] المصدر نفسه: ٢٣١/٦.

[٥] المصدر نفسه: ٢٣٣/٦.

[٦] ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص١٦١.

سادساً: نتائج الانتقال

اتخذت نتائج اتصال الفقهاء ببعضهم من خلال الانتقال عدة ملامح ، ابرزها واكثرها اثراً رواية ما لديهم من مادة علمية وتسميعها ، وطبعاً استفاد من هذا الفقهاء والطلاب على حد سواء. فقد حرص البهلول بن راشد على السماع عن ابي خارجة عنبسة بن خارجة كلما جاء الى القيروان[١]. وكلما ذهب ابو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري الى قرطبة من قريته فحص المورور احدى قرى استجة اخذ عن يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وعيسى بن دينار[٢].

كما هيأ اللقاء المباشر بين الفقهاء فرصة لعقد مجالس علمية بينهم ، ولو ان بعضها كان مرتجلاً وغير معد له مسبقاً ، حيث اجتمع عنبسة بن خارجة بعبد السلام سحنون لدى احد الاشخاص في القيروان وطُرحتْ في المجلس بعض المسائل اجاب عنها عنبسة بن خارجة ولم يوافق سحنون على تلك الاجابات ومع هذا لم يبين سبب ذلك اكراماً لعنبسة لكونه ضيفاً[٣]. اما احمد بن الحسن بن ابي رئال (ت٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) الذي توجه من دانية الى القيروان مع اقبال الدولة بن مجاهد العامري[٤]. فقد التقى بابي عمران موسى بن عيسى الفاسي (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م) وعدد من علماء القيروان وعُقِد لهم مجلس علمي طرحت فيه العديد من المسائل ، الا ان ابن ابي رئال لم يتعمق في نقاشهم وابداء رايه نزولاً عند توجيهات اقبال الدولة ، كما ان مدة بقائه بالقيروان كانت قليلة وهي اثنا عشر يوماً ، لكنه بعد ذلك كتب لهم مائة مسألة وطلب منهم جوابها[٥].

وقد اجتمع بعض الفقهاء الذين خرجوا مع تميم بن يوسف بن تاشفين في احدى غزواته منهم ميمون الهواري وابو الوليد محمد بن احمد بن رشد حيث نزلوا في احدى ضواحي قرطبة فانضم اليهم ابي محمد بن ابي جعفر فحصل بينهم نقاش حول التفضيل بين ((لا اله الا

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٥١.

[٢] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٥٩ ؛ محمد بن الحسن الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (مصر: دار المعارف ، ١٩٧٣) ، ص٢٥٣ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٠٠/١. ولمزيد من الامثلة انظر: القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٧٨/٦ ، ٢٩/٨ ، ١٠٦ ، ١١٣ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٣١٧/١ ، ٣٧٦/٢ ، ٤٤ ، ٥٠٧ ، ٥١٥ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص٢٢ ،٢٣ ، ٢٧ ؛ ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص١ ، ١٤٦ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٨٩ ، ٢٧.

[٣] المالكي ، المصدر السابق: ٢٤٤/١.

[٤] علي بن مجاهد العامري صاحب دانية وليها بعد وفاة ابيه سنة (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) اشتهر بحبه لاهل العلم والاحسان اليهم. عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٧٤.

[٥] ابن الابار ، التكملة: ٤٢/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٩٤/١/١.

الله)) و ((الحمد لله)) ففضل ابن رشد الاولى وفضل ابن ابي جعفر الثانية وكان ميمون الهواري مؤيداً لابن رشد في رايه فكتب ابياتاً شعرية عن ذلك وهي:

أعِد نظراً فيما كتبتَ ولا تكنْ بغيرِ سهامٍ للنضالِ مسارعاً
فدونك تسليمٌ العلومِ لأهلِها وحسبُكَ منها أن تكون متابعاً
أخِلتَ ابن رشد كالذين عَهدتَهم ومن دونهِ تلقى الهِزبرَ المواقعا

وبعد هذا تطور الموقف ورد احد انصار ابن ابي جعفر بقوله:

لعمرك ما نبهت مني نائماً ودونك فاسمعها إذ كنت سامعاً
فلو سلَّمت تلك العلوم لأهلِها لما كنتَ فيما تدّعيهِ مُنازِعاً
ولو ضَمَّنا عند التناظر مجلسٌ سقيناكَ فيه السمَّ لا شك ناقعاً[١]

وكما نرى في هذه الابيات اشارة لجعل النقاش المثار ياخذ شكلاً اخر اكثر تنظيماً وهو المناظرة.

وقد كانت المناظرة بوصفها شكلاً منظماً للمجالس العلمية احدى نتائج انتقال الفقهاء. منها تلك التي تمت في القيروان بين ابي ميمونة دراس بن اسماعيل القادم من فاس وابي سعيد خلف بن عمر[٢] احد ابرز فقهاء القيروان وهو الذي رتب لعقد المناظرة بينهما ، لقياس درجة حفظ وفهم ابي سعيد وابي ميمونة لامهات كتب الفقه المالكي[٣]. وكذلك المناظرة التي تمت في طنجة بين احمد بن محمد بن الحداد القادم من بلنسية وابو الاصبغ عيسى بن سهل الذي كان في طنجة في ذلك الوقت وتناظرا في مسائل فقهية متعددة الّف على اثرها ابن الحداد **رسالة الامتحان لمن برز في علم الشريعة والقران**[٤]. والتقى الفقيه ابو بكر ابن العربي في احدى زياراته لمدينة مالقة ابا المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي (ت ٤٩٩هـ / ١١٠٥م) وجرت بينهما مناظرات متعددة في ضروب مختلفة من العلوم[٥].

كما عُقِدَت مجالس مذاكرة ايضاً ، فقد تولى فقهاء مدينة سوسة عقد مجالس مذاكرة لمن ورد عليهم من فقهاء القيروان وكان عبد الله بن حمود السلمي (ت٣٥٧هـ/٩٦٧م) احد من قام تلك المذاكرات[٦]. وفي قرطبة في استقبال القاضي عياض حصلت مذاكرة قام بها احمد بن عبد الرحمن البطروجي وموضوعها الخضاب ، حيث ذكر من خضب من الانبياء قبل

---

[١] البلفيقي ، المصدر السابق ، ص٣٤.
[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨١/٦.
[٣] المصدر نفسه: ٢١٢/٦.
[٤] ابن الابار ، التكملة: ٢٣/١.
[٥] النباهي ، المصدر السابق ، ص١٠٧.
[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٣/٦.

الرسول محمد ﷺ وتلا احاديثاً نبوية شريفة عن الخضاب ثم ذكر من خضب من الصحابة مع ذكر مواليدهم ووفياتهم وبلدانهم وهكذا تلاهم بذكر التابعين وتابعي التابعين ، ثم بـيَّن اسـباب استحباب الخضاب فاعجب الحاضرون بمذاكرته[١].

وفي مجال الاطلاع على الكتب استطاع علماء القيروان سماع **المستخرجة** احـد ابـرز كتب المذهب المالكي لاول مرة من يحيى بن عبد العزيز الخراز[٢]. الذي خرج للحـج عـام (٢٥٢هـ / ٨٦٦م) وفي طريقه للقيروان أَسمَعَ اهلها **المستخرجة** ولم يسمح ضيق الوقت لديه لعلماء القيروان استنساخ **المستخرجة** بعد سماعها ، فقام يحيى بن عبـد العزيـز باعطـائهم النسخة التي كانت لديه واوقفها على طلبة العلم ، وذلك بتقسيمها الى ثلاثة اقسام احـدها عنـد ابي جعفر احمد بن نصر (ت٣٠٧هـ/٩١٩م)[٣]. وتتجلى اهمية الخدمة التي قدمها يحيى بـن عبد العزيز للقيروانيين بعد ذلك بمرور الوقت حيث اصبحت **المستخرجة** ابـرز كتـب الفقـه المالكي التي اعتمد عليها المغاربة[٤]. واستطاع منذر بن سعيد الاطلاع على مكتبة خلف بـن فتح بن عبد الله الجيري بطرطوشة باحدى زياراته لها من قرطبة وقد ترك تعليقاً بخطه علـى احد كتبها[٥].

كما اثر الانتقال في شهرة بعض الفقهاء واثارة الخصومات بين بعضهم الاخـر. حيـث حقق ابو محمد مكي بن ابي طالب القيرواني (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) شهرة في قرطبة عندما استقر بها لم يحققها قبل ذلك في بلده مع كفاءته وتفوقه[٦]. وكانت علاقة ابو سعيد البراذعـي في القيروان سيئة مع فقهائها فانتقل الى صقلية واستقر بها فعلا صيته بها لتقدير حاكمها له[٧]. وكذلك حجاج بن قاسم من سبتة كان في خصومة مع فقهائها فتوجه الى المرية وفيهـا حـاز التفوق والجاه[٨]. اما ابو عمران الفاسي فقد اثر دخوله القيروان على ابي بكر بن عبد الرحمن

---

[١] ابن الابار ، المعجم ، ص٢٤-٢٥.

[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٧٤ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٧/٥.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٧٣.

[٤] ابن حزم الاندلسي ، فضائل الاندلس واهلها ، قدم لها صلاح الدين المنجد (بيروت: دار الكتاب الجديـد ، ١٩٦٨) ، ص١٥ ؛ ابن رشد ، البيان: ٢٩/١.

[٥] ابن الابار ، التكملة: ٢٩٢/١ ؛ المقري ، نفح الطيب: ٢٦٦/٣.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٣/٨.

[٧] المصدر نفسه: ٢٥٦/٧ ؛ عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص٦٥١.

[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٠/٨.

(ت٤٣٢هـ /١٠٤٠م) حيث ترك مجلسه وطلابه وفضلوا عليه مجلس ابي عمران مع علمهم بأن ذلك سيغضب شيخهم[١].

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٨/٧.

الفصل الثالث

وجوه التعاون بين الفقهاء

اولا : التعاون في تاليف الكتب ومراجعتها

أ. تقديم النصائح .

ب. المشاركة في التاليف .

جـ.مقابلة الكتب وتصحيحها .

ثانيا : التعاون في المحافظة على الكتب واعارتها .

أ. وقف الكتب .

ب. ايداع الكتب .

جـ .اعارة الكتب .

ثالثا : التعاون في توجيه الطلبة العلمي

رابعا : العلاقة التعليمية :

أ. الحصول على السماع .

ب. مجالس التدريس .

جـ. مجالس الفتوى .

د.مجالس تابعة للقضاء .

خامسا : التعاون في المجالين الاجتماعي والاداري :

أ. التعاون في المجال الاجتماعي .

ب. التعاون في المجال الاداري .

اولاً : التعاون في تاليف الكتب ومراجعتها

أ- تقديم النصائح:

وجه بعض الفقهاء نصائح لغيرهم من الفقهاء ، تعلقت بمؤلفات لهم شرعوا في تاليفها ولم ينتهوا منها بعد ، فعندما بدأ محمد بن سحنون بتاليف كتاب **تحريم النبيذ** قال له والده سحنون: ((يابني انك ترد على اهل العراق ولهم لطاقة اذهان والسنة حداد فاياك ان يسبقك قلمك لما يعتذر منه))[١]. وقد عَبَّرت هذه النصيحة عن رأي سحنون تجاه فقهاء الحنفية ، ويبدو انها قيلت في الوقت الذي كانت فيه المنافسة قوية بينهم وبين فقهاء المالكية في القيروان . حيث دخل سحنون وغيره من فقهاء المالكية في نقاشات مع كبار فقهاء الحنفية في القيروان الذين ارادوا الحد من انتشار المالكية[٢]. وفي النهاية رجّحت الكفة للمالكية وكان لسحنون الفضل في ذلك بحيث انحسر وجود فقهاء الحنفية وكادت تختفي مؤلفات الفقه الحنفي من القيروان بعد تفوق المالكية[٣]. ولا بد ان احد اسباب نجاح ذلك معرفة سحنون الدقيقة بخصمه والتي بينها لولده بكلمات موجزة ومعبرة ، وتأتت معرفته تلك من علاقته المباشرة معهم .

لهذا عندما وجد ابنه[٤] في تماس مباشر معهم ويرغب بالرد عليهم نبهه الى أدوات فقهاء الحنفية الرئيسية ، فهم اذكياء لماحون وتعزز ذلك عندهم مقدرةً لغويةً وجرأة في الرد ، ولهذا فعليه ان يُحكِم تأليفه في الرد عليهم بحيث لا يترك لهم أية ثغرة او مستمسك عليه يُجبَر فيما بعد الى تبريره . خصوصاً وان موضوع التاليف في شرب النبيذ كان مدار خلاف بين فقهاء الحنفية والمالكية اذ اعطت الحنفية رأيا في تحليله بينما حرمه المالكية[٥]. وقد شهدت القيروان مجالس علمية بين الطرفين لمناقشة ذلك الموضوع[٦]. ويبدو ان تاليف ابن سحنون في ذلك الموضوع تزامن معها . وعلى الاكثر ان ابن سحنون كان متنبها الى ما نصحه والده به ، فانه درس كتب الفقه الحنفي ليرد عليهم بصورة محكمة[٧].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٠٧/٤-٢٠٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٣٦.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٦/٤.

[٣] المالكي ، المصدر السابق: ٢٤٤/١.

[٤] لابد من التنويه بأن امامة محمد بن سحنون انتشرت في حياة والده. المالكي ، المصدر السابق: ٤٤٤/١.

[٥] ابن رشد ، المقدمات: ٤٢٢/١-٤٢٥.

[٦] المالكي ، المصدر السابق: ٢٨٨/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٥/٣.

[٧] فقد وجد عنده بقي بن مخلد في منزله بالقيروان وقت طلبه العلم لديه مجموعة كتب فسأله عنها فأجاب ابن سحنون انها كتب الفقه الحنفي فاستغرب بقي بن مخلد ذلك وقال له: ((كيف حُلَ لك ان تنظر في كتب ابي حنيفة)) فرد عليه ابن سحنون: ((يا بقي كيف كان يحل لنا ان نخطئه ولم تنظر الى مذهبه وما يقول)). الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٦١.

في حين عرض احمد بن طاهر بن علي (ت٥٣٢هـ / ١١٣٧م) احد مؤلفاته التي ضاهى بها كتاب **اطراف الصحيحين** لابي مسعود ابراهيم بن محمد الدمشقي[١] على شيخه حسين بن محمد الصدفي وقد اختلفت المصادر في اسمه فالبعض يقول **الايماء في الذيل والتكملة**[٢] والآخر **الانباه** في **الديباج المذهب**[٣]. وكان احمد بن طاهر من كبار اصحاب حسين بن محمد الصدفي ، كما كان من الفقهاء المعروفين في مدينة دانية واحد فقهائها المشاورين[٤]. ومع هذا طلب رأي شيخه في كتابه بعد ان انتهى منه ، فنصحه بالتوسع فيه فاخذ احمد بن طاهر بتلك النصيحة وزاد فيه[٥].

ب -المشاركة في التاليف .

لقد تم احيانا التعاون في مجال تاليف الكتب ، باتمام كتاب بدا به صاحبه ولم يتمه لسبب غالباً ما كان وفاة المؤلف الاصلي ، فجاء بعده من حرص على اتمامه . ومثال على ذلك كتاب **الدلائل في شرح ما اغفل ابو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث** وموضوع هذا الكتاب تعلق بغريب الحديث النبوي الشريف .اما مؤلفه فهو قاسم بن ثابت السرقسطي (ت٣١٣هـ / ٩٢٥م) الذي بدأه ولم تمكنه المنية من اكماله ، فتولى ذلك والده ثابت بن حزم السرقسطي (ت٣٠٢هـ / ٩١٤م)[٦]. وبعد ذلك قام حفيده ثابت بن قاسم بن ثابت (ت ٣٥٢هـ / ٩٦٣م) بادخال اضافات عليه[٧]. ويبدو ان المحفز الرئيسي لثابت بن حزم في اتمام الكتاب هو العلاقة الاجتماعية التي ربطته بمؤلفه ، كما ان رحلة الأب وابنه في طلب العلم الى المشرق كانت واحدة ، فاشتركا في نفس الشيوخ والسماعات وكان من ثمارها قيام قاسم بن ثابت بتاليف كتاب الدلائل[٨]. ويبدو ان الأب كان مطلعاً على مراحل تاليف الكتاب،

---

[١] من ابرز علماء الحديث النبوي الشريف في دمشق ، رحل في طلبه الى مصر والعراق وخراسان واصفهان و اهتم بصورة خاصة بدراسة صحيحي البخاري ومسلم ، ويعتبر كتابه (اطراف الصحيحين) ثمرة ذلك وهو من ابرز مؤلفاته توفي سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م). الذهبي ، المصدر السابق: ١٠٦٨/٣/٢-١٠٦٩.

[٢] المراكشي: ١٣١/١/١.

[٣] ابن فرحون ، ص٤٥.

[٤] ابن الابار ، المعجم ، ص١١.

[٥] المراكشي ، المصدر السابق: ١٣١/١/١ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٤٥.

[٦] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٤٠٣/١ ؛ ابن خير ، المصدر السابق ، ص١٩١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٨/٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٠٢.

[٧] محمد بن ابي نصر الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولّاة الاندلس (القاهرة: الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦) ، ص٣٣١.

[٨] ابن خير ، المصدر السابق ، ص١٩٢.

لاسيما ان سماعهما كان واحداً ، ومن المحتمل ايضاً ان مصادر قاسم بن ثابت السرقسطي ومسوداته كانت لدى ابيه بعد موت قاسم الفجائي[١]. كما ان موضوع الكتاب كان مثار اهتمام في هذا الوقت في الاندلس ، حيث اقبل الاندلسيون على دراسة علوم الحديث النبوي الشريف[٢]. كما دخل الاندلس كتاب **شرح غريب الحديث** لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٤٢هـ / ٨٥٦م)[٣]. وكتاب **غريب الحديث** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م)[٤]. وهو ما دفع قاسم بن ثابت ان يكمل ما فاتهما .

كل ذلك شكل دافعا قويا لثابت بن حزم ليكمل تاليف الدلائل وجعله يدرك استحقاق الكتاب لأن يرى النور. فسار على خطى ابنه واكمله بعد وفاته مباشرة . وفعلا عُدّ **الدلائل** كتابا متميزاً في موضوع غريب الحديث[٥]. وقد اثار اكمال ثابت للكتاب لبسا لدى بعض المؤرخين فنسبوا الكتاب اليه[٦]. بينما اكد آخرون ان الكتاب تاليف قاسم بن ثابت[٧]. كما ان مخطوطات الكتاب تشير بوضوح الى نسبة الكتاب لقاسم بن ثابت والاشارة فيها عند بداية كل موضوع هي ((قال قاسم))[٨]. وانتقلت رواية الكتاب في الاندلس بواسطة ثابت بن قاسم. حيث

---

[١] توصل فرانز روزنثال الى ان غالبية المؤلفات الاسلامية قد اعتمد مؤلفوها في كتابتها على منهج علمي واضح اساسه جمع المادة العلمية باستخدام اسلوب التقميش واعتمد علماء الدين في مؤلفاتهم المصادر المكتوبة والموثقة. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة انيس فريحة (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٦١) ، ص٢٦.

[٢] انتعشت دراسة الحديث النبوي الشريف في الاندلس في القرن (الثالث للهجرة / التاسع للميلاد) على يد محمد بن وضاح (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م) فقد كان من اوائل من درس الحديث على اساس ومنهج علمي. وكانت الاندلس قد عرفت قبله رواية الحديث النبوي بلا تعمق في دراسته. صادق ، المصدر السابق ، ص٦٢.

[٣] يعتبر ابو عبيد من كبار العلماء المسلمين وقد تنوعت العلوم التي برع فيها من حديث وادب وفقه وهو من اهل هَراة ولد وتعلم بها ثم انتقل الى بغداد وكانت وفاته في مكة. ياقوت الحموي ، معجم الادباء (ط٢ ، بيروت: دار الفكر ، ١٩٨٠) : ٢٥٤/١٦.

[٤] ولد ابن قتيبة في مدينة مرو (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م) ونشأ في بغداد ، حرص على الدراسة وطلب العلم منذ صغره وله مؤلفات عدة في علوم اللغة العربية وادابها. ابن خلكان ، المصدر السابق: ٤٢/٣.

[٥] علي بن يوسف القفطي ، انباه الرواة على انباه النحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (القاهرة: دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥): ٢٦٢/١.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٨/٥.

[٧] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٤٠٣/١ ؛ الحميدي ، المصدر السابق ، ص١٨٥.

[٨] شاكر الفحام ، "كتاب الدلائل في غريب الحديث" ، مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد ٥١ ، العدد ٢ ، (١٩٧٥) ، ص٢٨٠،٢٧٣،٢٧٢،٢٣٨، ع٣/ ص٤٩٢-٤٩٨.

اسمعه اياه جده ثابت بعد ان انتهى منه[١]. واقبل المهتمون بالكتاب في اخذه عنه ومنهم الخليفة الحكم المستنصر[٢] ، والذي طلب منه ايضا ان ينسخ له نسخة جيدة جميلة الخط[٣]. حيث عرف ثابت بن قاسم بحسن خطه وبراعته في نسخ الكتب ، ولم يعرف عنه تميزه في أي مجال من العلوم وانما هناك طعن في شخصيته لولوعه بالشراب[٤]. وقد حالفه الحظ في تفرده برواية **الدلائل** ويبدو انه اراد ان يكون له حظ ايضا في المساهمة بتاليف ذلك الكتاب فادخل فيه بعض الزيادات ، وربما انها لم تكن ذات اهمية كبرى بحيث لم يشر لها الا صاحب كتاب **جذوة المقتبس**[٥].

كما اشترك شخصان ايضا في اتمام تاليف كتاب لكن كانت الظروف والدوافع والكيفية التي تم بها مختلفة . فقد شرع عبد الله بن محمد بن حنين (ت٣١٨هـ/٩٣٠م) في قرطبة بتاليف كتاب **الاستيعاب لاقوال مالك مجردة دون اقوال اصحابه**[٦]. ومات قبل ان يتمه وحصل الخليفة الحكم المستنصر بعد مضي مدة على الاجزاء الخمسة التي انتهى منها ، فاعجب بموضوع الكتاب ورغب باتمام تاليفه لتعم الفائدة منه ولحاجة فقهاء المالكية لكتاب في مثل ذلك الموضوع ، فذكر رغبته تلك لقاضيه محمد بن اسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) وطلب منه ان يدله على من يصلح لاتمام الكتاب فرشح له ابو بكر محمد بن عبد الله المعيطي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) وابن المكوي احمد بن عبد الملك (ت٤٠١هـ/١٠١٠م) ، الذي طلب من الخليفة ان يسمح لهما بالاستفادة من مكتبته[٧] للحصول على المصادر اللازمة لأتمام الكتاب ، فوافق الخليفة على ذلك[٨].

---

[١] ابن خير ، المصدر السابق ، ص١٩٢ ؛ الفحام ، المرجع السابق ، مج٥١ ، ع١ ، ص٢٥٣-٢٥٥.

[٢] ثاني الخلفاء الامويين في الاندلس ، حكم مدة ستة عشر سنة من (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) ، وشهدت الحركة العلمية في الاندلس في عهده ازدهاراً ملحوظاً ، وذلك لرعايته المستمرة للعلماء وتشجيعه للحركة العلمية. عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٥٩.

[٣] الفحام ، المرجع السابق ، مج٥١ ، ع١ ، ص٢٤٥-٢٤٧.

[٤] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٢٠/١.

[٥] الحميدي ، ص٣٣١.

[٦] القاضي عياض ، المصدر السابق: ٢١٢/٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص١٣٩.

[٧] مكتبة انشأها الخليفة الحكم المستنصر بالله وهي من اكبر المكتبات في ذلك الوقت وكانت موجودة في القصر الخلافي في مدينة الزهراء عاصمة الخلافة الاموية في الاندلس وقد جمع لها اعداداً كبيرة من الكتب وحرص دائماً على تزويدها بالجديد وضمت اقساماً مختلفة خاصة للتجليد والنسخ وبالمقابلة وكل قسم له موظفوه الذين يعملون به من ذوي الاختصاص. محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الاسلام (ط٣ ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١) ، ص١٢٣-١٢٤.

[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢١/٧-١٢٢ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٦٧.

وعلى الاغلب ان المعيطي وابن المكوي كانت لهما شخصيتهما في اتمام الكتاب مع الالتزام بالقاعدة الاساسية التي قام عليها ، وهي ذكر اراء الامام مالك الفقهية فقط من دون ذكر اراء اصحابه ، فهما شرعا في اتمام الكتاب بعد مضي مدة ليست قليلة على وفاة صاحبه حيث توفي حنين بن محمد عام (٣١٨هـ / ٩٣٠م) . وتولى الحكم المستنصر الخلافة سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م) وخلال مدة خلافته طلب منهما اتمام الكتاب ، واستعانة المعيطي وابن المكوي بمكتبته ، دلت على حاجتهما الى التوسع في المصادر ، حيث برزت مساهمتها في بداية كل موضوع من الكتاب من خلال ذكر اسميهما للدلالة على ان ما يلي من تاليفهما وكان يذكر اولا اسم المعيطي لعلو نسبه وبعده اسم ابن المكوي ، وحصل بينهما خلاف اثناء قيامهما بعملهما مما دفع ابن المكوي للاعتراض على تاخير اسمه وعندما علم الخليفة الحكم بذلك رفض اعتراضه وأيد تقديم اسم محمد المعيطي وفي النهاية تم الكتاب في مئة جزء وسر به الحكم المستنصر واجزل العطاء للاثنين[١].

والملاحظ ان مسالة اشتراك اكثر من شخص في تاليف كتاب بطلب من شخصية عليا كانت واضحة في الاندلس في وقت معين. ومرة اخرى يبرز اسم الخليفة الحكم المستنصر الذي طلب من ابني ابان بن عيسى ، ابو عبد الله محمد (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) وابو محمد عبد الله (ت٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) باختصار **الكتب المبسوطة** ليحيى بن اسحاق بن يحيى (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م) فاختصراهما[٢]. وفي عهد الحاجب المنصور طلب من ابي مروان عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت ٣٧٨هـ /٩٨٨م) والفقيه ابي عمر احمد بن عبد الملك بن المكوي تاليف كتاب في اقاويل الامام مالك بن انس وروايات اصحابه[٣]. وتظهر الصلة واضحة بين موقف الحاجب المنصور هذا وموقف الحكم المستنصر في تاليف كتاب **الاستيعاب** سالف الذكر. ويبدو ان الحاجب المنصور اراد ان ينافس او يواصل ما قام به الخليفة الحكم المستنصر فطلب تاليف كتاب اوسع في فكرته الاساسية يضم بالاضافة الى اقاويل الامام مالك روايات اصحابه ، وحاول الطلب من الفقهاء الذين اتموا **الاستيعاب** انفسهم ان يؤلفوا ذلك الكتاب فكلف بتلك المهمة ابن المكوي اما محمد بن عبيد الله المعيطي فقد توفي قبل ذلك فكلف قريبه ابو مروان المعيطي بذلك ، والذي كان في مقدمة فقهاء المشاورة[٤].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٢/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٣٩ ، ٢٦٧.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٠١/٦.

[٣] الحميدي ، المصدر السابق ، ص٤٠٢.

[٤] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٢٩٤/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٠/٧.

جــ. مقابلة وتصحيح الكتب

بعد الحصول على السماع واستنساخ المادة المسموعة تبدأ مرحلة توثيق ذلك السماع وضبطه لتكتمل شروط روايته لصاحبه. واول خطوة يجب القيام بها المقابلة او المعارضة[١]. وحسب قواعد الرواية النظرية على كل من يحصل على السماع وينسخه عليه ان يقابل ما نسخه مع الاصل الذي اخذ عنه[٢]. وبموجب المقابلة يمكن للحاصل على السماع ان يكشف الاخطاء المحتملة الوقوع اثناء النسخ مثل تغيير بعض الكلمات او نسيان اخرى واحيانا اضافة كلمات غير موجودة اصلا ، ومن لم يقابل كتابه عليه ان يصرح بذلك عند تسميع المادة[٣]. وهناك رأيان حول كيفية المقابلة الاول متشدد رأى ضرورة المقابلة مع اصل الشيخ الذي أخذ عنه[٤]. ومثال ذلك الفقيه سعيد بن عثمان الاعناقي القرطبي (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م) ، الذي كان يسمح لاصحابه بانتساخ ما يريدون سماعه ومقابلته باصله قبل القراءة عليه[٥]. وكذا فعل القاضي عياض بن موسى حيث استنسخ كتب حسين بن محمد الصدفي وقابلها مع اصوله قبل ان يقرأ عليه[٦].

اما الرأي الثاني فهو اكثر تساهلا من الاول حيث جوز المقابلة مع نسخه قوبلت بالاصل ، ويشارك صاحب السماع في عملية المقابلة شخص اخر ثقة ومأمون وذلك في حالة عدم امكانية الحصول على اصل الشيخ[٧]. وقد سمع عبد الله بن طالب من سحنون وكان من كبار اصحابه[٨]. ومع ذلك لم يتسن له المقابلة باصول سحنون فاستعان بالفقيه ابراهيم بن النعمان (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) ، الذي كان من اصحاب سحنون ايضا وعرف بصحة سماعه وبثقته لهذا قابل عبد الله بن طالب سماعه عن سحنون بكتب ابراهيم بن النعمان وبمعونته[٩]. كما ربطت ربيع بن سليمان القطان وعبد الله بن سعيد اللجام (ت٣٣١هـ / ٩٤٢م) صداقة

---

(١) جاء في لسان العرب ، مادة "قابل": قابل الشيء بالشيء مقابلة ، عارضه ومقابلة الكتاب بالكتاب معارضته: ١٢/٣.

(٢) القاضي عياض ، الالماع ، ص١٥٩.

(٣) عبد المجيد عابدين ، التوثيق تاريخه وادواته (بغداد: دار الحرية ، ١٩٨٢) ، ص١٧.

(٤) القاضي عياض ، الالماع ، ص١٥٩ ؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني ، ادب الاملاء والاستملاء ، تحقيق شفيق محمد زيعور (ط٢ ، بيروت: دار اقرأ ، ١٩٨٦) ، ص١٥٤-١٥٦.

(٥) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٠/٥.

(٦) ابن عياض ، المصدر السابق ، ص٧ ؛ المقري ، ازهار الرياض: ٨/٣.

(٧) القاضي عياض ، الالماع ، ص١٥٩.

(٨) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٠٨/٤.

(٩) المصدر نفسه: ٤١٢/٤.

حميمية بحيث لا يكاد يفارق احدهما الاخر[١]. ولهذا قابل ربيع القطان احيانا كتبه بكتب سعيد اللجام وبمعونته[٢]. لا سيما ان اغلب كتب سعيد اللجام كانت بخطه كما كانت حسنة التقييد[٣].

وبعد المقابلة يأتي دور عمليات الضبط والتصحيح . فصاحب الكتاب عليه مراجعته لضبطه ويتضمن الضبط وضع الشكل والنقط والتاكد من صحة اسماء الاعلام الموجودة فيه تجنبا للتصحيف والتحريف[٤]. اما عملية التصحيح فيتم فيها تغيير ما يحتاج الى ذلك ويتم هذا حسب قواعد محددة واستخدام علامات معينة تدل على كل نوع من التغيير[٥]. واحيانا استعان بعض الفقهاء بغيرهم لضبط وتصحيح كتبهم حيث كلف سليمان بن خلف الباجي ولده احمد (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) بتصحيح كتبه ومتابعتها[٦]. اما ابو الحسن علي بن محمد القابسي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) فقد كان اعمى ومع ذلك كانت كتبه من اصح الاصول ، وحرص دائما على ضبطها وذلك باستعانته بثقات اصحابه فيراجعون معه كتبه ، ومنها كتاب **صحيح البخاري** الذي سمعه في مكة عن ابي زيد محمد بن احمد المروزي (ت ٣٧١هـ / ٩٨٢م) ضبطه له ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلي (ت ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)[٧]. وسبق وان سمع ابو محمد الاصيلي **صحيح البخاري** ايضا عن نفس المصدر[٨]. وقد اطلع القاضي عياض على نسخة الاصيلي وراى كيف ضبطها والعلامات التي استخدمها[٩].

واعتمد بعض الفقهاء تصحيح غيرهم احيانا فقد كان اصحاب سعيد بن عثمان يصححون كتبهم عليه[١٠]. وابو عمران موسى بن سعادة سمع **صحيح البخاري** عن حسين بن محمد الصدفي نحو ستين مرة ، وفي كل واحدة منها كان يصحح نسخته على نسخة

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٢٧٦/٢.

[٢] المصدر نفسه: ٣٣٢/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١٦/٥.

[٣] المصدر نفسه: ٢٤/٦.

[٤] التصحيف هو التغيير الذي ينشأ من التباس في نقط الحروف المتشابهة في شكلها كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء ، والدال والذال وغيرهما والتحريف فهو تغيير اشكال الحروف ذاتها بابدال او حذف او اضافة وله اسباب كثيرة. عابدين ، المرجع السابق ، ص٢٣-٢٤.

[٥] الخطيب البغدادي ، الكفاية ، ص٣٢٢-٣٤٠ ؛ القاضي عياض ، الالماع ، ص١٤٦،١٦٢-١٧٣.

[٦] ابن فرحون ، الديباج ، ص٤٠.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٣/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٠٠.

[٨] الحميدي ، المصدر السابق ، ص٢٥٧ ؛ احمد بن يحيى الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس (القاهرة: دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧) ، ص٣٤١ ؛ ابن خير ، المصدر السابق ، ص٩٦.

[٩] القاضي عياض ، الالماع ، ص١٩٠.

[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٠/٥.

الصدفي[١]. واصبحت هذه النسخة فيما بعد من اكثر نسخ **صحيح البخــاري** الموجــودة فــي الاندلس والمغرب صحة واتقانا وضبطا[٢] ، لا سيما وان الصدفي نفسه صحح نسخته المعتمدة من قبل ابن سعادة اكثر من مرة[٣].

---

[١] ابن الابار ، المعجم ، ص١٩٧.

[٢] يوسف الكتاني ، مدرسة الامام البخاري في المغرب ، (بيروت: دار لسان العرب ، (بــلا ، ت)):١/٦٠، ٦١، ٩٦.

[٣] المرجع نفسه: ١/٦٠.

ثانيا : التعاون في المحافظة على الكتب واعارتها:

أ. وقف الكتب

ننتقل الان الى مظهر اخر من مظاهر التعاون بين الفقهاء وهو وقف الكتب ، فتلك الكتب التي بذل اصحابها جهدا كبيرا في سماعها والاهتمام بدقتها العلمية تعد شهادات ووثائق لسماعهم ومن هنا تاتي قيمتها العلمية بالنسبة لاصحابها بالاضافة الى قيمتها المادية . ولهذا هناك تسأول يطرح نفسه عن مصير تلك الكتب بعد وفاة اصحابها . ومن الطبيعي ان يأخذها الورثة . فاذا كانوا من المهتمين بالعلم فهم سيعرفون قيمتها ويحرصون عليها لاسيما بحصولهم عليها يحق لهم روايتها باسلوب الوجادة ، فبموجبه يحق لمن يحصل على مادة علمية موثقة ومكتوبة بخط صاحبها ان يرويها عنه ، ويستخدم عبارة وجدت بخط فلان او قرأت بخط فلان[١].

وممن حصل على بعض الكتب عن طريق الوراثة خالد بن محمد بن احمد القرطبي (ت٣٨١هـ/٩٩١م) الذي ورث كتب جده احمد بن خالد (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)[٢]. وحصل محمد بن يوسف بن سعادة (ت٥٦٦هـ/١١٧٠م) من مدينة مرسية على كتب حسين بن محمد الصدفي حيث ربطت بينهما علاقة مصاهرة[٣]. اما عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) من فاس فقد ورث كتب ابيه[٤].

وقد يحدث ان تباع تلك الكتب اذا لم يهتم الورثة الا بقيمتها المادية ، حيث بيعت كتب احمد بن علي بن حميد القيرواني (ت٢٥١هـ/٨٦٥م) بعد موته بالف دينار ومائتين[٥]. وكتب عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم باعتها ابنته باربعة الاف دينار[٦]. اما محمد بن عبد السلام الخشني (ت ٢٨٦هـ / ٨٩٩م) فلم يحفظ ابناه كتبه وضيعاها[٧]. وربما خشي بعض الفقهاء هذا المصير لكتبهم ففكروا بحل للمحافظة عليها بعد وفاتهم. وكان وقفها هو الحل

---

[١] القاضي عياض ، الالماع ، ص١١٧ ؛ ابن الصلاح ، المصدر السابق ، ص١٥٨.

[٢] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٥٧/١.

[٣] ابن الابار ، المعجم ، ص١٨٣.

[٤] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٤١٦/٢.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٠٨/٤. انظر ما قيل عن بيع واجارة كتب الفقه في: محمد بن سحنون ، رسالة اداب المعلمين ، تحقيق عبد الامير شمس الدين ، منشورة ضمن كتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي (بيروت: دار اقرأ ، ١٩٨٥) ، ص٦٩.

[٦] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٣٩٦/٢.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٣٤.

بالنسبة لبعضهم ، فالمال الموقوف لا يمكن توريثه او بيعه حيث يعتبـر صـدقة جاريـة[١]. ويلاحظ ان بعض الفقهاء اوقف كتبه لدى فقهاء اخرين ربطته بهم صلات معينة. فقـد اوقـف ابو عمر هارون بن سالم القرطبي (ت٢٣٨هـ /٨٥٢م) كتبه عند احمد بن خالد وكانت بينهم قرابة من جهة الام[٢]. اما ابراهيم الزاهد الاندلسي الذي استقر في القيروان وتوفي فيها اوقف كتبه عند يحيى بن عمر بن يوسف (ت٢٨٩هـ/٩٠١م)[٣]. والـذي اصـله اندلـسي ايـضا وعرف بزهده[٤]. وممن اوقف كتبه ايـضا قاسـم بـن سـعدان عبـد الـوارث القرطبـي (ت٣٤٧هـ /٩٥٨م) الذي قضى اغلب عمره في نسخ ومقابلة كتبه وقد اوقفها عند محمد بن محمد بن ابي دليم (ت٣٧٢هـ /٩٨٢م)[٥]. وكذلك قاسم بن حامد الاموي (عاش في القـرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد) من مدينة رية الذي كانت جلّ كتبه بخط يـده وقـد اوصـى بوقفها[٦]. بينما اوقف موسى بن سليمان الاموي القرطبي (ت٢٩٣هـ/٩٠٥م) عند علـي بـن الحسن[٧]. وهناك من اوقف جزءا من كتبه فقط ، فقد اوقف ابو قحطان قائد بن سعدون (عاش في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد) كتبه التي كتبها عن يحيى بن عمر بسوسة[٨].

وفكر احيانا بعض الفقهاء بوقف كتبه خوفا من مصادرتها مـن قبـل الدولـة ومنـع الاستفادة منها. ففي القيروان كان عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور (ت٣٤٦هـ /٩٥٧م) من فقهاء المالكية الذين تصدوا للفاطميين ، مما جعل العلاقة بينهما سيئة ، ومرض ابن مـسرور فخشي اصحابه ان يموت في مرضه ذلك ثم يصادر الفاطميون كتبه وقد كانـت لديـه سـبع قناطير من الكتب بخط يده وقد حرص على مقابلتها وتقييدها وضبطها لهذا عدت مـن اصـح الكتب ، فطلب اصحابه منه ان يوقفها وقسموها ثلاثة اقسام كل قسم اوقف عند احـد الفقهـاء

---

[١] ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة "وقف": ١٥٥/٣ ؛ محمد عبيد عبدالله الكبيسي ، احكام الوقـف فـي الشريعة الاسلامية (بغداد: مطبعة الارشاد ، ١٩٧٧): ٣٣/١ ؛ فوزي امين الطائي ، الخدمات الوقفية في العراق وبلاد الشام في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد (رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، الاداب ، ١٩٩٧) ، ص١٢.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٢/٤.

[٣] المصدر نفسه: ٢٣٧/٤.

[٤] المصدر نفسه: ٣٥٧/٤.

[٥] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٤٠٨/١.

[٦] المصدر نفسه: ٤٠٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٦٦/٤.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٨٩.

[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٧/٥.

ومنهم ابو محمد بن ابي زيد وفعلا تم ذلك ، لكن في اليوم التالي تراجع ابـن مـسرور عـن قراره لشدة تعلقه بكتبه فأعيد اليه قسمان منها وبقي القسم الذي لدى ابو محمد بن ابي زيد فـي داره ومات ابن مسرور في ذلك اليوم وحصل الذي توقعه اصحابه حيث سارع الفاطميون الى مصادرة كتبه وسلم من المصادرة فقط الثلث الذي لدى ابو محمد بن ابي زيد[١].

والملاحظ على الامثلة السابقة انها تجاوزت ذكر التفاصيل المتعلقة بوقف الكتب ، مثل كيفية الاستفادة منها وما هي حقوق وواجبات متولي وقفها وغيرها من متعلقات الموضـوع ، وحسب القاعدة الفقهية لا بد من وجود اركان للوقف في مقدمتها صيغة الوقف وفيهـا يحـدد الواقف شروط الاستفادة من وقفه والجهات الموقوف عليها[٢]. مثلا اوقف شخص كتبا بخزانة في جامع غرناطة وشرط ان لا يخرجها المستفيد من الجامع وجوز اخراج كتب معينة علـى ان يترك المستفيد رهنا حتى اعادته الكتاب[٣]. وهناك من شرط ان لا يعطى الا كتابـاً واحـداً للمستفيد يأخذه معه الى بيته ويمكن التساهل مع الشخص المأمون والثقة باعطائه كتابين[٤].

اما من الناحية الادارية فكما هو معلوم فان الوقف تابع لمؤسسة القضاء ، والمـسؤول عليها يكون تحت اشراف القاضي[٥]. ويسمى الشخص المسؤول عن الوقف متولي الوقـف او ناظر الوقف ، واحيانا يحدده صاحب الوقف ويسميه[٦] ، كما حصل في العديد من الامثلة التي عرضناها . اما اذا لم يسم شخصا معينا ليتولى الوقف اوفي حالة وفـاة الـشخص الموصـى بتولي الوقف فعلى القاضي ان يختار شخصا لذلك[٧]. اما عن المكان الذي وضعت فيه الكتـب فالامثلة التي قدمناها لم تحدد ذلك واكتفت بذكر وقف كتبه عند فلان مما يرجح انها في داره ، ورأينا ان قسما من كتب ابن مسرور اوقف في دار ابي محمد بن ابي زيد ، ولكن هناك اماكن اخرى يمكن وقف الكتب فيها وهي المساجد والمدارس اما بالنسبة للمساجد فقد كـان واضـحا وقف الكتب فيها سواء في الاندلس او المغرب[٨]. اما المدارس فقد نشأت متاخرة في المغـرب

---

[١] المالكي ، المصدر السابق: ٤٢٣/٢-٤٢٤ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٣١/٥.

[٢] الكبيسي ، المرجع السابق: ١٤٧/١-١٥٩.

[٣] الونشريسي ، المصدر السابق: ٢٢٨/٧.

[٤] المصدر نفسه: ٢٩١/٧.

[٥] الكبيسي ، المرجع السابق: ٣٨/١.

[٦] محمد ابو زهرة ، محاضرات في الوقف (مصر: معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٩) ، ص٢٦٦.

[٧] المرجع نفسه ، ص٢٦٦-٢٦٧.

[٨] الونشريسي ، المصدر السابق: ٣٧/٧ ، ٥٥،٢٢٧،٢٩١. وعن وقف الكتب في المساجد انظـر: حمـادة ، المرجع السابق ، ص٨١-٨٣.

والاندلس[١]. ويُعد ابو الحسن علي بن محمد الشاري (ت٦٤٩هـ /١٢٥١م) من اوائل مـن فكر بوقف الكتب في المدارس في المغرب فقد اسس مدرسة في مدينة سـبته واوقـف فيهـا مكتبته العامرة التي قضى اغلب عمره في جمعها[٢].

ب - ايداع الكتب.

اتخذ الفقهاء موقفا اخر للمحافظة على كتبهم خوفا من مصادرتها من قبل الدولة. حيث قام عدد من الفقهاء بايداع كتبهم عند غيرهم من الفقهاء ممن تربطهم علاقة وطيـدة. بحيـث برزت المساندة التي قدمها الفقهاء لبعضهم في الاوقات الحرجة. ومنهم البهلول بن راشد حيث حصل خلاف بينه وبين محمد بن مقاتل العكي والي افريقية[٣] بسبب قرار العكي ارسال سلاح الى الروم مقابل المال وقد انتقد البهلول بن راشد ذلك واعلن رأيه برفضه التعاون مع الـروم لهذا امر العكي بالقبض على البهلول بن راشد وسجنه وتعرض في سجنه للجلد ايضاً[٤]. وقـد شهد محمد بن الحداد القاء القبض على البهلول بن راشد فطلب منه البهلول ان يأخذ كتبه الـى دحيون بن راشد[٥]. الذي كان من اصحاب البهلول[٦].

كما تعرض بعض فقهاء القيروان لمحنة القول بخلق القرآن[٧] ، ومنهم سحنون حيـث دعاه والي افريقية احمد بن الاغلب الى القول بخلق القران ، فهرب الى قصر زياد واختبأ عند

---

[١] تاخر ظهور المدارس فيهما حتى القرن الثامن للهجرة ، الرابع عشر للميلاد ، وبقي المسجد هـو المكـان الاكثر شيوعاً للتدريس. حسين ، المرجع السابق ، ص١١٢.

[٢] المراكشي ، الذيل والتكملة ، تحقيق محمدي شريفة (الربـاط: اكاديميـة المملكـة المغربيـة ، ١٩٨٤): ١٩٧/١/٨ ؛ محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور (ط٢ ، الرباط: ١٩٨٣) ، ص٢٩.

[٣] محمد بن مقاتل العكي ولّي افريقية سنة (١٨١هـ / ٧٩٧م) من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ولم تُحمد سيرته فيها وثار عليه عامله بتونس ، عزله الرشيد سنة (١٨٤هـ / ٨٠٠م) وعين بدله ابراهيم بن الاغلب. وقد توفي العكي بعد هذا التاريخ. احمد عبد الوهاب النويري ، نهاية الارب في فنـون الادب ، تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد (الدار البيضاء: دار النشر المغربية ، ١٩٨٤) ، ص٢٤٧-٢٤٨.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٢١٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٩/٣.

[٥] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٣٥.

[٦] المصدر نفسه ، ص٢٠٠ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٣/٤.

[٧] كان المعتزلة في بلاد المغرب اقلية مستقلة برزت خلال القـرن (الثـاني للهجـرة / الثـامن المـيلادي) واستمرت حتى القرن (الثالث للهجرة / التاسع للميلاد) وقد نادوا بمسألة خلق القران علـى الـرغم مـن الرفض الذي واجهوه في المغرب. شارل اندريه جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالـي والبشيري سلامة (ط٣ ، تونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥): ٦٤/٢.

عبد الرحيم بن عبد ربه واحضر معه كتبه ، وبقي مدة شهرين ونصف الى ان عرف احمد بن الاغلب مكانه فاحضره الى القصر القديم وبقيت كتبه عند عبد الرحيم بن عبد ربه[١]. وتعرض يحيى بن عمر لنفس الموقف حيث طلبه القاضي ابو العباس ابن عبدون[٢] فهرب يحيى بن عمر منه[٣]. واودع كتبه عند ابي جعفر احمد بن سعدون الاربسي (ت٣٢٣هـ/٩٣٤م) المقيم بسوسة فانتهز ابو جعفر الفرصة ونسخها كلها[٤]. كما نسخها اخوه قائد ايضا حيث كان مقيماً معه في نفس المنزل ويبدو انها هي نفسها الكتب السابقة الذكر التي اوقفها قائد[٥].

جـ.اعارة الكتب.

قد تعاون الفقهاء فيما بينهم في مجال اعارة الكتب. واختلفت الاسباب الداعية لذلك منها للاطلاع على الجديد في الكتب . فقد أُدخِل **كتاب ابن المواز** تاليف ابن المواز محمد بن ابراهيم[٦] الى القيروان لاول مرة من قبل ابو قاسم محمد بن احمد السدري . ويبدو ان فقهاءها سمعوا به قبل ذلك لكنه لم يكن موجودا لديهم ، وفي احد المجالس التي جمعت السدري وابا جعفر احمد بن نصر الهواري ألقى السدري بعض المسائل من كتاب ابن المواز امام الهواري ليسمع رايه فيها ولم يخبره عن مصدرها ، ففطن الهواري انها من كتاب جديد لم يطلع عليه وخمّن انه **كتاب ابن المواز** ، فسأل السدري عن ذلك واكد له تخمينه فطلب منه ان يزوده بالكتاب ليطلع عليه[٧]. وحصل مثل هذا الموقف مع ابي عبد الله محمد بن خطاب حيث كان اول من ادخل سبته كتابا لابي بكر محمد بن عبد الله بن يونس (ت٤٥١هـ/١٠٥٩م) فطلبه منه ابو عبد الله بن عيسى التميمي واستنسخه[٨].

واحيانا يكون سبب الاستعارة للاطلاع على كتب لم يعرف بها مستعيرها ، حيث تذكر امامه فيرغب في الاطلاع عليها. ففي قرطبة سأل يونس بن عبد الله الصفار

---

(١) المالكي ، المصدر السابق: ٤٢٦/١.

(٢) من ابرز فقهاء المذهب الحنفي في القيروان. وقد تولى قضاءها اكثر من مرة وقد تعرض فقهاء المالكية للاذى منه وقت قضائه فقد ضرب وسجن بعضهم. الخشني ، طبقات علماء افريقية ، ص١٨٩.

(٣) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٦٣/٤.

(٤) المالكي ، المصدر السابق: ٢٠٧/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٦/٥.

(٥) انظر ص.

(٦) فقيه مالكي مصري يعد كتابه المعروف بكتاب ابن المواز من ابرز كتب المذهب المالكي توفي بدمشق سنة (٢٦٩هـ / ٨٨٢م). القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٦٧/٤.

(٧) المصدر نفسه: ٩٤/٥.

(٨) ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٧٤.

(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ابا بكر محمد بن عبيد الله المعيطي في احد المجالس التي جمعته معه عن حديث للرسول ﷺ في احد كتب عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا (ت٢٨١هـ /٨٩٤م) ويبدو ان المعيطي لم يعرف ذلك الحديث فطلب من يونس الصفار ان يعيره الكتاب الذي قراه فيه[١]. اما ابو الحسن محمد بن سعيد بن رزقون (ت٥٨٦هـ /١١٩٠م) فقد ذكر مسألة امام محمد بن عبد الله بن الجد (ت٥١٥هـ / ١١٢١م) في اشبيلة فسأله ابن الجد عن مصدرها وكانت من كتاب **عيون الادلة** لابن القصار ، فاخبره ابن الجد انه لم يطلع على ذلك الكتاب وطلب منه ان يعيره اياه ، فاحضره له وبقي عنده ليلتين حفظه فيهما[٢].

اما في سبته كان لدى احد الوافدين عليها كتابا غريبا لم يطلع عليه فقهائها ، فاستعاره منه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر (ت٥١٣هـ /١١١٩م) وحفظه ، وكلما اجتمع مع القاضي عياض ذكر قسما من المسائل التي قراها فيه ، وقد استغرب القاضي عياض تلك المسائل لانها جديدة عليه وعندما استفسر عنها عرف بخبر ذلك الكتاب وحاول ان يحصل عليه ، لكن ابا اسحاق اعاده الى صاحبه قبل يوم واحد من مغادرته سبته ، ومع هذا استعاره القاضي عياض ايضا وسهر الليل حتى حفظه وعندما حضر مجلس ابا اسحاق في اليوم التالي بادر الى ايراد مسائل من ذلك الكتاب[٣].

وتجدر الاشارة الى ان بعض الفقهاء خوفا من فقد كتبه كان لايعيرها الا لمن يثق به . مثل ابي محمد عبد الله بن محمد الجهني (ت٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)[٤]. ومحمد بن عبد السلام الخشني[٥]. بينما حاول عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت٤٠٢هـ / ١٠١١م) صرف من يريد الاستعارة منه واذا لم يفلح في ذلك ينسخ الكتاب المطلوب ثم يعير تلك النسخة[٦].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٠/٧.

[٢] المراكشي ، المصدر السابق: ٢٤١/٦.

[٣] ابن عياض ، المصدر السابق ، ص١٠٨.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٠/٧.

[٥] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ١٣٠/١.

[٦] المصدر نفسه: ٢٨٩/١.

ثالثا : التعاون في توجيه الطلبة العلمي:

من دلائل حياة الفقهاء العلمية وتعاونهم بينهم ، توجيه عدد من طلبتهم لطلب العلم لدى غيرهم من الشيوخ. اذ ان تنوع الشيوخ الذين ياخذ عنهم طالب العلم وتعددهم في ان واحد او تباعا ، مسألة معروفة في تاريخ التعليم الاسلامي. وللطالب حرية اختيار شيوخه. ومع هذا فان دور الشيخ بالنسبة للطالب لا يقتصر على تقديم المادة العلمية فحسب وانما يرشد الطالب ايضا ويوجهه الوجهة الملائمة لميوله وقدراته[١]. مثلا في قرطبة اهتم محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد في اول طلبه للعلم بعلوم اللغة العربية وقرر الاقتصار في طلبه عليها ، لكن الفقيه ابا الوليد محمد بن رشد شجعه ووجهه الى دراسة علوم الفقه بعد ان لمس لديه القدرة على التفوق فيها ، وفعلا برع ابن الجد في الفقه واصبح من الفقهاء البارزين في الفقه المالكي[٢]. ولذلك حرص الطلاب على اختيار شيوخهم بعناية بالسؤال والاستفسار عنهم ويصل الامر الى اختبارهم[٣].

ويوجههم شيوخهم احيانا الى شيوخ جدد للاخذ عنهم سواء باستشارة من الطالب نفسه او بتوجيه ذاتي من الشيخ . فقد حض سعيد بن عثمان الاعناقي في قرطبة طلبته للاخذ عن محمد بن قاسم بن محمد (ت٣٢٩هـ /٩٤٠م)[٤]. الذي كان من اكثر شيوخ عصره رواية للحديث النبوي الشريف فضلاً عن براعته في الفقه[٥]. كما وجه محمد بن يحيى بن الخراز (ت٣٦٩هـ /٩٧٩م) محمد بن محمد بن ابي دليم وعبد الله بن محمد بن الفرضي للاخذ عن سليمان بن ايوب بن سليمان (ت٣٧٧هـ / ٩٨٧م) في قرطبة[٦]. اما ابو عمران موسى بن عيسى فقد قدم الى الاندلس من فاس لطلب العلم ، فاخذ في قرطبة عن ابي عمر يوسف بن عبد البر الذي وجهه بعد ذلك للاخذ عن ابي القاسم عبد الوارث بن سفيان الحبيب (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وابي عثمان سعيد بن نصر(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وابي الفضل احمد بن

---

[١] احمد منير الدين ، تاريخ التعليم عند المسلمين ، ترجمة وتلخيص سامي الصقار (الرياض: دار المريخ ، ١٩٨١) ، ص٧٥-٧٨.

[٢] ابن الابار ، التكملة: ٥٤٢/٢ ؛ ابن القاضي ، المصدر السابق: ٢٧٢/١.

[٣] احمد ، المرجع السابق ، ص٨٥.

[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٧٤.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٩/٥.

[٦] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٨٢/٢.

قاسم بن عبد الرحمن (ت٣٩٥هـ /١٠٠٤م)[١]. وفي سوسة وجه ابو البشر محمد بن احمد (ت٣٣١هـ /٩٤٢م) للاخذ عن احمد بن عبد الرحمن[٢].

ان قيام الشيخ بذلك التوجيه له مضامين عدة . توضح دور الطلبة في حياة الشيوخ خارج اطار تزويدهم بالمادة العلمية . فهم جزء من حلقة وصل بين الشيخ والمحيط العلمي العام. ودورهم يسهم بتمتين علاقة الشيوخ ببعضهم البعض . فمن خلال الطلاب يمكن للشيخ ان يؤكد تواصله العلمي ، فهم احدى ادوات نشر علمه ويشكلون استمرارا لشيخهم وغالبا ما لا تنقطع العلاقة بينهم . وتوجيه الطلبة للاخذ عنهم من نتائج تلك العلاقة . فقد ارشد ابو علي الحسين بن محمد الغساني طالبه ابا العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر (ت٥٢٥هـ/١١٣٠م) في قرطبة بطلب الحديث النبوي الشريف وتصحيح سماعه عند اثنين من طلابه السابقين وهما ابو احمد بن محمد بن عبد العزيز (ت٥٥٣هـ /١١٥٨م) وابو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز (ت٥٠٥هـ / ١١١١م) واشاد بهما بقوله: ((ليس من هنا الى مكة من هو فوقهما في هذا الباب))[٣]. فيما يُذكَر ان الغساني كان قد اثنى على احمد بن محمد بن عبد العزيز كثيراً[٤]. اذ كان من الفقهاء المشاورين بقرطبة[٥]. اما محمد بن حيدرة بن مفوز وهو من شاطبة فقد استقر بقرطبة وتميز بعدد من العلوم ابرزها علم الحديث واعتبر خاتمة حفاظه في الاندلس ، وقد جلس في مجلس شيخه الغساني بعد وفاته[٦].

كما يكشف النموذج الاتي تضامن مجموعة من الفقهاء على موقف معين تجاه فقيه اخر – بغض النظر عن صوابه او خطئه – الامر الذي دفعهم للتعاون بينهم في مجال توجيه الطلبة مقابل التضييق على خصمهم. وممن تعرض لمثل هذا الموقف محمد بن عبد الله بن العربي من مدينته اشبيلية .حيث ذكر سابقا سوء علاقته مع فقهاء مدينته واهلها[٧]. حيث دخل الاندلس من عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) لطلب العلم في اواخر العهد المرابطي ودخل مدينة اشبيلية ولقي فيها ابن العربي وغيره من فقهائها ، ورغب بالسماع من ابن العربي لكن صده عدد من فقهاء اشبيلية عن ذلك لسوء العلاقة بينهم وبين ابن

---

[١] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٦١١/٢.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١/٦.

[٣] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٠٨ ؛ ابي الابار ، المعجم ، ص١٤.

[٤] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٠٨.

[٥] ابن الابار ، المعجم ، ص١٠٨.

[٦] المصدر نفسه ، ص١٠٠.

[٧] انظر ص من الفصل الاول.

العربي ، واحالوه للسماع من ابي بكر محمد بن احمد بن طاهر (ت٥٤٢هـ /١١٤٧م)[١]. مما يشير الى مدى الحصار الذي فرض على ابن العربي والتضييق الذي لاقاه ، حيث حصلت محاولات لمنع الطلبة من الاخذ عنه لاضعاف موقفه ، لا سيما ممن وفدوا من خارج الاندلس.

ومع ان النص لم يسم الفقهاء الذين صدوا عبد الله بن محمد بن عيسى من السماع عن ابن العربي ، فعلى الاغلب كان محمد بن اسماعيل الرنجاني واحدا منهم . اذ كان على رأس الفقهاء الذين خاصموا ابن العربي وحتى انه ذهب الى المغرب لمقابلة الخليفة المرابطي للسعاية عليه ، كما كان من ابرز اصحاب ابي علي الغساني[٢]. وكذلك ايضا ابو بكر بن طاهر ، الذي وُجِّه محمد بن عيسى للاخذ عنه كان من تلاميذ الغساني ولازمه الى ان مات وتميز بعده برواية المادة التي اخذها عنه[٣]. ويبدو ان محمد بن عيسى لم ينصع لمحاولات فقهاء اشبيلية حيث لم ياخذ عن ابي بكر بن طاهر ، ومع انه لم ياخذ ايضا عن ابن العربي الا انه اخذ عن القاضي عياض ، حيث صحبه في الاندلس وعن خلف بن محمد بن بشكوال الذي اجازه[٤]. وكان كلاهما من طلاب ابن العربي ورويا عنه[٥]. وبهذا نجح خصوم ابن العربي في منع محمد بن عيسى السماع منه ، لكنه لم يخضع لاهوائهم ايضا وبقي على موقفه في سماع علم ابن العربي فاخذه بصورة غير مباشرة عن طلابه .

ويمكن الاستدلال على بعض ملامح طبيعة العلاقة بين سحنون بن سعيد واسد بن الفرات في القيروان من موقف اسد بن الفرات بتوجيه طالبه عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد للاخذ عن سحنون بن سعيد ، وقد اختلفت النصوص في تحديد وقت ذلك ، بعضها حدد ذلك بوقت رحلة اسد بن الفرات الى العراق[٦] ، واخر بوقت خروجه الى صقلية عندما قاد الجيش المتوجه لفتحها[٧]. والتوقيت الثاني هو المرجح . فقد توجه الجيش الفاتح الى صقلية سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧م)[٨]. اما رحلة اسد بن الفرات الى العراق فكانت قبل وفاة الامام مالك في عام (١٧٩هـ / ٧٩٥م)[٩]. وفي هذا الوقت لم يكن سحنون قد وصل بعد الى مصاف العلماء

---

[١] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٤٢١/٢.
[٢] ابن الابار ، المعجم ، ص١١٨.
[٣] المصدر نفسه ، ص١٥٦.
[٤] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٤٢١/٢.
[٥] القاضي عياض ، الغنية ، ص٦٦ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق: ٢٩٦/٤.
[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٢/٤.
[٧] المصدر نفسه: ١٩٥/٤.
[٨] المالكي ، المصدر السابق: ٢٧١/١.
[٩] المصدر نفسه: ٢٦٥/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٢/٣.

الذين يؤخذ عنهم ، فهو لم يرحل بعد رحلته لطلب العلم في مصر والحجاز فقـد بـدأها عـام (١٨٨هـ / ٨٠٣م) وقام بالتسميع بعد عودته منها[١].

وقد استشار عبد الرحيم بن عبد ربه شيخه اسد بن الفرات عمن ياخذ بعده فقـال لـه: ((عليك بهذا الشيخ –يعني سحنون-فما اعرف احدا يشبهه))[٢]. وفي اخر قال له: ((ان اردت الله والدار الآخرة فعليك بعلم مالك))[٣]. ويشير موقف اسد بن الفرات بتوجيه طالبه الى سـحنون والى دراسة الفقه المالكي بالذات الى تحسن العلاقة بين اسد بن الفرات وسحنون .فقد سـاءت علاقتهما في وقت سابق وحصل اختلاف بينهما لاسباب عدة[٤]. كما عرف اسد بـن الفـرات احيانا بميوله للفقه الحنفي وتدريسه اياه الى جانب الفقه المالكي[٥]. في وقـت سـعى سـحنون جاهدا لتثبيت وجود المذهب المالكي في المغرب ، واشاد اسد بن الفرات بسحنون دليل علـى تفوق سحنون في النهاية في ظل المنافسة التي كانت بينهما.

ونرى ان التعاون بين الفقهاء كان اللحمة التي ربطت حلقة التواصل العلمـي بيـنهم . فقد وجه سحنون احد طلبته للاخذ عن عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد ، حيث فات ذلك الطالب بعض السماع عن سحنون واراد ان يسمع ما فاته فطلب ذلك من سـحنون ، وبـدلا مـن ان يسمعه ما اراده احاله على عبد الرحيم الزاهد ليسمع منه تلك المادة وقال له: ((كانك سـمعتها مني))[٦]. توثيقاً لصحة سماع عبد الرحيم من سحنون والاشارة الى علو سنده بالرواية عنـه. وقد اشتهر عبد الرحيم بزهده وعبادته اكثر من شهرته العلمية ، وقد لزم المرابطة في قـصر زياد الى وفاته[٧]. ومع انه تتلمذ على سحنون فقد اكنّ له سحنون بـالغ التقـدير وداوم علـى زيارته وحرص على التبرك بدعائه[٨].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٦/٤.

[٢] المصدر نفسه: ٥٢/٤.

[٣] المصدر نفسه: ٣٠٦/٣.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٩/٣.

[٥] المالكي ، المصدر السابق: ٢٦٦/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٠٠/٣.

[٦] المصدر نفسه: ١٩٣/٤.

[٧] المصدر نفسه: ١٩٤/٤.

[٨] المالكي ، المصدر السابق: ٤٢٤/١.

رابعا : العلاقة التعليمية

تُعَد العلاقة التعليمية احد ابرز صور التعاون بين الفقهاء وتدلل على ان طلب المعرفة العلمية لا يتوقف عند حد معين . فقد احتاج الفقهاء احيانا الى معرفة راي غيرهم في بعض المسائل التي اشكلت عليهم. فقد استعصت على محمد بن مسرور النجار (ت٢٩٥هـ/ ٩٠٧م) في القيروان مسألة من كتاب اشهب بن عبد العزيز فسأل عنها سعيد بن الحداد ، وكانت مسألة معقدة وصعبة فوضحها سعيد بن الحداد ، وتدرج في ذلك بتفصيل جوانبها بالشرح والتبيين الى ان وصل الى النتيجة التي ذكرها اشهب[١]. اما ابو علي حسن بن فتحون الخراز فكان يتوجه الى ربيع القطان كلما استعصى عليه موضوع ما ، ليسأله عنه ومن محاسن الصدف ان ربيعاً القطان كان يطرح الموضوع الذي رغب ابو علي الخراز بسؤاله عنه قبل ان يبادر بذلك فيحصل ابو علي الخراز على الاجابة المطلوبة[٢].

وفي قرطبة سأل محمد بن وضاح (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) الفقيه عبد الاعلى بن وهب (ت٢٦١هـ / ٨٧٤م) عن مسألة معينة فاجابه عنها عبد الاعلى بن وهب برواية اخذها عن اصبغ بن الفرج ، ثم سأل محمد بن احمد العتبي (ت٢٥٧هـ /٨٧٠م) المسألة نفسها ولم تكن له دراية بها فاخبره برواية عبد الاعلى بن وهب عنها عن اصبغ بن الفرج فاخذها العتبي ايضا عنه وادخلها في كتابه **المستخرجة**[٣]. في حين سأل احمد بن ابراهيم الفرضي (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م) احمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن ايمن (ت٣٣٠هـ /٩٤١م) عن مسألة متعلقة بالميراث وذكر رايه فيها ، ويبدو ان راي احمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك كان مخالفا لرايه وانه عرف ذلك مسبقا وعندما سألهم عن تلك المسألة ووضح رايه لم يؤيداه وبادر محمد بن عبد الملك وعرض وجهة نظرهما التي لم يستطع احمد بن ابراهيم ان يعارضها[٤].

أ – الحصول على السماع

لم تقتصر المواظبة على السماع على وقت طلب العلم فحسب بل حصل العديد من الفقهاء على سماعات جديدة بعد وصولهم الى مرتبة علمية متقدمة ، وفي وقت يقومون هم فيه

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٤٩،١٧٧ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٦٦/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٠،٣٣٢/٥.
[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٣٣١/٢.
[٣] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٨/٢-٩.
[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١١.

بتسميع الناس[١]. وذلك من باب تواصلهم العلمي . فغالبا ما توجد مادة علمية لم يتسن لهم في السابق سماعها او مادة من نتاج جديد حرصوا على سماعها لمواكبة التطورات العلمية .

ودفع ذلك الحرص بعض الفقهاء للسماع من طلاب اتوا اساساً للسماع منهم ، بعد ان وجدوهم مؤهلين لذلك وعلموا بوجود مادة علمية من المفيد لهم سماعها . ومن اولئك الفقهاء ابو العرب تميم بن محمد ، حيث التقى به في القيروان الطالب الاندلسي قاسم بن مسعدة (ت٣١٧هـ /٩٢٩م) ليسمع منه ، وذلك في طريق عودته الى الاندلس من المشرق بعد انتهاء رحلته لطلب العلم فيه ، وقد ركز في رحلته تلك على علوم الحديث النبوي الشريف لا سيما علم الرجال[٢]. ويبدو ان ابا العرب استفسر من قاسم بن مسعدة عن طلبه للعلم في المشرق وربما حصل نقاش بينهما حولها ، ولمس ابو العرب من ذلك النقاش تميز قاسم بن مسعدة في علم الرجال ووجده جديراً بان ياخذ عنه فسمع منه[٣]. اما محمد بن قاسم بن محمد فقد سمع في رحلة ذهابه للحج من الاندلس عام (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) في القيروان عن بعض علمائها ومنهم ابو محمد بن ابي زيد ، كما قام ابو محمد بن ابي زيد بالسماع من محمد بن قاسم بن محمد حيث اخذ عنه كتاب **رد الزبيدي على ابن مسرة** وقد اخذه محمد بن قاسم مباشرة عن مؤلفه[٤]. ويبدو ان ابا محمد بن ابي زيد استفاد منه في تاليفه لكتاب **الرد على ابن مسرة المارق**[٥].

كما قام بعض الفقهاء بطلب السماع من فقهاء اخرين لكتب ربما لم تتوفر لديهم او رغبوا في الحصول عليها بسند جديد ، لاهمية تلك الكتب وضرورة حصولهم عليها ، مثل **كتب عبد الله بن وهب** ، لهذا طلبوا سماعها من غيرهم من الفقهاء ممن توفرت لديهم . حيث سمع محمد بن يوسف بن مطروح (ت٢٧١هـ / ٨٨٤م) في قرطبة **جامع ابن وهب** من ابراهيم بن محمد بن باز (ت٢٧٤هـ / ٨٨٧م) ، وقد نسخه من كتاب ابن باز اولا ثم توجه اليه الى بيته ليسمعه منه ، وكان محمد بن مطروح اعلى مكانة من ابراهيم بن باز ويُعَد في مرتبة اشياخه ، فاهاب منه ابراهيم بن باز ذلك الموقف وقال له: ((لو بعثت الي يا سيدي

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٤٥/٤ ؛ ابن عياض ، المصدر السابق ، ص١٠٧ ؛ ابن خير ، المصدر السابق ، ص٣٦٨ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص١٩٨ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ١٠٤/١/٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٣٨.

[٢] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٤٠/١ ، ٤٠٤ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٧/٥.

[٣] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٤٠٤/١.

[٤] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٤٩٠/٢.

[٥] عبد الوهاب ، المرجع السابق: ٦٤٨/١.

مضيت اليك)) فرد عليه: ((لا في بيته يؤتى الحكم))[١]. وعبد الرحيم الزاهد ايضا لم يتم سماعه **لكتب ابن وهب** من سحنون وقت طلبه العلم لديه ، وكان يتمنى ان تسنح له الفرصة لسماعها فيما بعد من سحنون الى ان تهيأ له ذلك ، حيث بقي سحنون عنده في قصر زياد لمدة شهرين ونصف لظروف اضطرته لذلك وسمع منه خلالها عبد الرحيم **كتب ابن وهب**[٢].

ومثلما حرص الفقهاء على اخذ المادة العلمية التي فاتهم سماعها سابقا حرصوا على سماع المادة الجديدة التي دخلت الى مدنهم عن طريق غيرهم من الفقهاء . فعندما عاد اسد بن الفرات من رحلته من المشرق سارع اغلب فقهاء القيروان للاخذ عنه لا سيما روايته **للاسدية** والتي عرفت فيما بعد **بالمدونه**[٣]. اما يحيى بن عمر فقد توجه لزيارته في سوسة احمد بن محمد بن عبد الرحمن القصري (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) فوجده قد الف كتابا جديداً ولرغبته بالحصول عليه باع قميصه ليشتري بثمنه رقوقاً[٤] لينسخ عليها الكتاب ، فسمع الكتاب عن يحيى بن عمر ونسخه وادخله القيروان عند عودته اليها[٥].

ب -مجالس التدريس

كما حضر بعض الفقهاء مجالس غيرهم من معاصريهم من الفقهاء التي اقاموها لطلابهم لا سيما الذين عدوا من اصحابهم[٦]. وذلك تقديرا لاصحابها ورغبة في الاطلاع على ما يدور فيها تجديدا لمعلوماتهم واحيانا للمشاركة في النقاش الدائر وابداء الراي . وابرز تلك المجالس (مجالس التدريس) التي يدرس فيها انواع محددة من العلوم ومنها الفقه ويتبع شيوخها منهاجا خاصا في التدريس بالتدرج من السهل الى الصعب[٧]. وتطرح فيها المسائل الفقهية

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١١٨ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٠/٤.

[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٤٢٦/١ لابن وهب كتب عدة لم يحدد النص الكتب المقصود منها ولربما كان عبد الرحيم الزاهد قد سمع كتب ابن وهب جميعها او ان ابن وهب مؤلَّفه اسمه كتب ابن وهب ، انظر: القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٢/٣.

[٣] المالكي ، المصدر السابق: ٢٣٢/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٨/٣.

[٤] رقوق جمع رق وهو جلد رقيق يستخدم للكتابة عليه. ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة "رقق": ١٢٠٩/١.

[٥] المالكي ، المصدر السابق: ١٩٧/٢.

[٦] لازم بعض الطلاب شيوخهم مدة طويلة قد تمتد لعشرات السنوات حتى مع وصولهم لمرتبة علمية تجعلهم في مصاف شيوخهم ولكنهم ما كانوا يتركونهم احتراماً لهم وطموحاً لاحتلال امكنتهم بعد وفياتهم وقد سمي اولئك الطلاب باصحاب الشيوخ. احمد ، المرجع السابق ، ص٧٥.

[٧] المرجع نفسه ، ص٥٦.

للنقاش ويشارك الطرفان المدرس واصحابه فيها ، اما ان يلقي المدرس واصحابه يجيبون[١] واحيانا يحصل العكس يطرح الطلاب استفساراتهم ويجيبهم المدرس عنها[٢]. ودرست فيها امات كتب الفقه المالكي **كالمدونة** و**المستخرجة** و**الواضحة** وغيرها فضلاً عن طرح مسائل فقهية مختلفة[٣].

وهناك من اكد على ضرورة حضور شخصية المدرس وفكره في المادة التي يدرسها، وان لا يقتصر دوره في المجلس على طرح المسائل الموجودة في الكتب المعتمدة واعادة ما هو موجود فيها على الحاضرين وانما عليه ان يفسرها ويوضحها وحتى يبدي رايه فيها والا لا توجد فائدة مرجوة من ذلك المجلس والافضل لمن يحضره ان ينقطع عنه ويقوم بنفسه بدراسة تلك الكتب والتفقه فيها[٤]. ولمجالس التدريس ايضا تقاليد وقواعد معينة في حضورها والدراسة فيها مطلوبة من الطرفين المدرس والحاضرين[٥].

ومن ابرز تلك المجالس التي عرفتها القيروان مجلس سحنون .فقد حضر محمد بن عبدوس (ت٢٦٠هـ /٨٧٣م) احدها وقد ضم ذلك المجلس كبار اصحاب سحنون منهم ابنه محمد وابو داؤد احمد بن موسى العطار (ت٢٧٤هـ /٨٨٧م) وعبد الله بن الطبنه (ت٢٦٠هـ /٨٧٣م) وعبد الله بن سهل القبرياني (ت٢٤٨هـ/٨٦٢م) ، وقد القى عليهم سحنون مسألة ولم يعطوه جوابها فاجاب ابن عبدوس عنها بتفاصيلها كافة ، فعاتب سحنون اصحابه على تقصيرهم وطلب منهم الاقتداء بابن عبدوس بالمواظبة على الدراسة[٦]. اما الفقيه القرطبي ابو وهب عبد الاعلى بن وهب فقد حضر مجلس سحنون عندما دخل القيروان وقت عودته من رحلة الى المشرق وذلك لرغبته بمعرفة راي سحنون في مسألة فقهية معينة حيث علم عبد الاعلى ان سحنون يقول فيها بغير قول ابن القاسم من اصحاب الامام مالك وراى عبد الاعلى ان الصواب في اخذ قول ابن القاسم ، ويبدو ان سحنون طرح تلك المسألة في مجلسه فبادر عبد الاعلى بن وهب واجاب عنها بما ياخذ به هو حسب قول ابن القاسم ، فخطّأه اصحاب سحنون الحاضرين وارادوا اعتماد راي سحنون فرد عليهم عبد الاعلى بن

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢٥/٤.

[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٦٦/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٠/٥.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٢/٦ ؛ القاضي عياض ، الغنية ، ص١٦٦ ؛ ابن الابار ، التكملة: ٤٤٧/١ ، ٨٢٧/٢ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٦٩/١/٥ ، ٦٦/٦ ، ٣٠٧.

[٤] المقري ، ازهار الرياض: ٣٣/٣.

[٥] الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه: ١٢٠/٢-١٢٨.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢٥/٤.

وهب بتمسكه برأيه وخطّأ راي سحنون في تلك المسألة اما سحنون فقد طلب من اصـــحابه ان يكفوا عن عبد الاعلى[١].

وقد حضر احمد بن خالد في قرطبة احد مجالس تدريس محمد بن وضاح لاصـــحابه ونبهه فيه الى خطأ كاد محمد بن وضاح يقع فيه ، حيث جلس احمد بن خالد بجانب محمد بـــن وضاح الذي كان ممسكا بالكتاب الذي يدرسه لاصحابه فنظر فيه وسألهم عن كنيـــة الزيـــت ، فلكزه احمد بن خالد بركبته وهمس له بان يسكت ، وعندما انفضّ المجلس سأله احمد بن خالد عن غايته من سؤاله لاصحابه عن كنية الزيت ، فاجابه بانه وجد في الكتاب الذي كـــان بيـــده عبارة ((الزيت ابو جعدة)) فظن (ابو جعدة) كنية للزيت واراد ان يخبر اصـــحابه بـــذلك ، فاخبره احمد بن خالد ان العبارة خاطئة اصلا في كتابه وصوابها ((الذيب ابو جعدة)) واستـــشهد على ذلك ببيت من الشعر ، ولجلوسه بجانب محمد بن وضاح ورؤيته لكتابه في الوقت نفـــسه خمّن ما اراد محمد بن وضاح ان يقوله وادرك انه سيوقع نفسه في خطأ لهذا نبهه على ذلـــك فشكره ابن وضاح على تصرفه[٢].

جـــ. مجالس الفتوى

الفتوى هي تبليغ حكم شرعي عن الله ﷻ الى من طلبه دون ان يقترن ذلـــك التبليـــغ بالالزام[٣]. ومن ينتصب للفتوى عليه ان يصل الى كفاءة علمية معينة تؤهله لذلك وقد اســـهبت العديد من المصادر في تحديدها وبيان العلوم الداخلة فيها[٤]. وكان بوسع من يجد فـــي نفـــسه الكفاءة ان يجلس للفتوى ولكن بنفس الوقت فانه من صلاحيات الخليفة ان يمنـــع مـــن يجلـــس للفتوى من ذلك اذا ثبت انه ليس اهلا لها[٥]. كما كان على المفتـــي ان يحـــصل علـــى تاييـــد وموافقة كبار الفقهاء واصحاب الكلمة المسموعة . فقد تباحث سحنون ومعتب بن ابي الازهـــر (ت٢٥٥هـــ/٨٦٨م) في جلوس موسى بن معاوية الصمادحي للفتوى فـــي القيـــروان فقـــال سحنون عن ذلك: ((ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة احق بالفتوى منه))[٦]. اما ابـــو ســـنان زيد بن سنان (ت٢٤٤هـــ/٨٥٨م) فقد جلس للفتوى قبل تولي سحنون القـــضاء ، ويظهـــر ان

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٦٣.

[٢] المصدر نفسه ، ص١٣١.

[٣] القرافي ، المصدر السابق ، ص٨٤.

[٤] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ١٠١/٢ ، ٢٠٧ ؛ الونشريسي ، المصدر السابق: ١٧٠/٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٣٢٧/٦ ؛ ٥/١٠ ، ٧٨ ، ١٨٨/١٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١.

[٥] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص٢٢٠.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٤/٤.

سحنون لم يكن موافقا على ذلك وعندما تولى سحنون القضاء ارسل اليه ابــو ســنان يطلــب الحصول على تاييده بجلوسه للفتوى واذا لم يوافقه سحنون على ذلك فانـــه ســيترك الجلــوس للفتوى[١].

بينما طلب فقهاء القيروان من ابي الحسن القابسي الجلوس للفتوى فرفض ذلــك ولــم يستقبل الناس من طالبي الفتوى فابلغهم ابو القاسم عبد الخالق بن شلبون (ت٣٩١هــ/١٠٠٠م) ان يجبروه على ذلك باعتباره من اعلم فقهاء القيروان[٢]. وقد اجريت احيانا اختبــارات لمــن انتصب للفتوى منها مجالس المذاكرة فقد اجرى عبد الله بن طالب احدها لابي العباس اســحاق بن ابراهيم الازدي (ت٣٠٣هــ/ ٩١٥م)عندما جلس للفتوى[٣]. وفي الاندلس ايضا اجريــت اختبارات مطولة لمن جلس للفتوى من قبل كبار فقهائها وعقد ضمنها مجالس مذاكرة[٤].

وكانت مجالس الفتوى مفتوحة حيث سُمِح بحضورها لمن يرغب في ذلــك ، وعــادة فضل طلاب الفقه والفقهاء حضورها . فقد كان لها اهمية تعليمية لا تقل عن اهميتها الوظيفية، ففيها تم التطبيق العملي للاحكام الفقهية مما اتاح للطلاب فرصة تــدوينها ودراســتها[٥]. امــا الفقهاء فتعدى احيانا دورهم فيها اكثر من الاستماع والامعان بما يطرح فيهــا ، فمــنهم مــن شارك بالافتاء فيها ، والملاحظ ان غالبهم كان من اصحاب الفقيه المفتي صــاحب المجلــس . ويبدو انه وجد بسماحهم له بالافتاء في مجلسه المجال المناسب لاختبارهم وفي الوقــت نفــسه اظهار قدرتهم ومهاراتهم في الفتوى. ومن اولئك الفقهاء سحنون ، فقد سأله شخص عن مسألة معينة بحضور صاحبه عبد الرحيم بن عبد ربه فبادر عبد الرحيم واجاب عن تلك المــسألة ، ومع ان سحنون لم يرض عن مبادرته بالاجابة مباشرة دون انتظــار اجابــة ســحنون اولا او استئذانه قبل الاجابةالا انه لم يعترض على جواب عبد الرحيم مما دل على صحته[٦].

اما احمد بن لبدة (ت٢٦١هــ/٨٧٤م) فهو من طلب من اصحابه الاجابة عن بعــض المسائل التي كانت ترده ومنهم احمد بن نصر وموسى القطان (ت٣٠٦هــ/٩١٨م)[٧]. وكــان محمد بن سحنون ايضا يطلب من عيسى بن مسكين بــن منــصور (ت٢٩٥هـــــ/٩٠٧م) اذا

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٤/٤.
[٢] المصدر نفسه: ٩٤/٧.
[٣] المصدر نفسه: ١١١/٥.
[٤] ابن حزم ، فضائل الاندلس ، ص٥٣.
[٥] احمد ، المرجع السابق ، ص٦٠.
[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٧/٤.
[٧] المصدر نفسه: ٢٢١/٤.

حضر مجلسه ان يجيب عن بعض المسائل[١]. بينما لمح سليمان بن سالم (ت٢٨١هـ/٨٩٤م) لشيخه زيد بن بشير (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م) برغبته بالتعليق على مسألة طرحت على زيد بن بشير حول الصلاة ، واجاب زيد بن بشير المستفتي عنها حسب قول اشهب من اصحاب الامام مالك ، وشعر برغبة سليمان بن سالم بالتعليق على تلك الفتوى ، وعندما سأله عن ذلك اخبره سليمان بن سالم بوجود جواب اخر لتلك المسألة وعرف زيد بن بشير الجواب الذي قصده سليمان وهو بحسب قول ابن القاسم من اصحاب الامام مالك[٢].

وفي قرطبة اجاب احمد بن خالد على كثير من المسائل التي وردت على شيخه محمد بن وضاح صاحب المجلس بتكليف منه وبحضوره[٣]. بينما في الوقت الذي اثار حضور احمد بن خالد مجالس فتوى شيخه قاسم بن محمد بن سيار تساؤلا مهما لدى احمد بن خالد ، فقد كان على علم بقناعة قاسم بن محمد بن سيار بإفتاء بعض المسائل بغير المذهب المالكي ومع هذا كان اذا جاءه المستفتي افتاه بحسب المذهب المالكي فعاتبه احمد بن خالد في ذلك ، فعلل قاسم بن محمد موقفه بان المستفتي نفسه يطلب الفتوى بحسب المذهب المالكي كما ان الخلافة حددت الفتوى في الاندلس بحسب المذهب نفسه[٤]. ويبدو ان ذلك كان انتقادا لقاسم بن محمد بن قاسم الذي عرف بميله الى المذهب الشافعي[٥] فاراد احمد بن خالد معرفة سبب عدم افتائه به .

د . مجالس تابعة للقضاء

عقدت مجالس بين الفقهاء لغرض مساندة القضاء ، المتمثل بالقاضي وذلك بالمشاركة معه في التوصل الى حكم صائب . من تلك المجالس مجالس المشاورة التي يحضرها الفقهاء المشاورون وقد سبق التعريف بهم[٦]. وهنا سيتم التركيز على المجالس التي عقدوها للمشاورة حيث برزت فيها العلاقة التعليمية بين الفقهاء .وبدءً لابد من التنويه الى ان هناك من راى ان الفتيا والمشاورة لهما مدلول واحد في الاندلس[٧]. وهذا صحيح في جانب اعتبار الفقهاء المشاورين مفتين في الوقت نفسه وعلى الاغلب ان قابليتهم على الافتاء احد الاسباب التي

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٣٣/٤.

[٢] المصدر نفسه: ١٠١/٤.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٢٧.

[٤] المصدر نفسه ، ص٣٠٣.

[٥] المصدر نفسه ، ص٣٠١ ، ٣٠٢ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٩٨/١.

[٦] انظر ص من الفصل الاول.

[٧] خليل الكبيسي ، المرجع السابق ، ص١٥٧ ؛ القاسمي ، المرجع السابق ، ص٣٣٥.

قدمتهم للمشاورة . كما ان المشاورة والفتيا جمعهما مبدأ واحد هو تقديم الـراي الفقهـي لمـن طلبه مع اختلاف الغاية ووسيلة التطبيق ، في حين هناك من الفقهاء من انتصب للفتيا وشـهر بها يكن من الفقهاء المشاورين[١]. لهذا اقتضى الامر الفصل بينهما[٢]. والفرق الرئيـسي بـين الاثنين ان المشاورة يمكن عدها وظيفة ادارية ضمن المؤسسة القضائية لها قواعدها واسـسها التي تنظمها باشراف الدولة ، بدءً من تعيين الفقهاء المشاورين فلا يمكن لاحد ان ينصب نفسه فقيها مشاورا ، وانتهاءً بتحديد مهامهم وصيغ التعامل بينهم ومتابعة ذلك[٣].

ولقد ظهرت مجموعة الفقهاء المشاورين في الاندلس اواخـر عهـد الاميـر الحكـم الربضي وكان للفقيه يحيى بن يحيى الليثي الدور الاكبر في تكوينها[٤]. وعلى الاغلب انها من محصلة هيجة الربض حيث نال الفقهاء بعدها حظـوة لـدى الامـارة واصـبح لهـم كلمـة مسموعة[٥]. وبالنسبة لمجالس المشاورة فقد كانت مجالس مغلقة يحضرها القاضـي والفقهـاء الذين يشاورون فيها ، ولم يوجد وقت محدد او مكان معين لعقد ذلك المجلـس وانمـا حـسب الظروف الداعية لعقده[٦].

ولا يمكن لاحد من خارج مجموعة المشاورة ان يشاور فيها ، فقد حضر عبد الاعلـى بن وهب احد مجالسها فاعترض فقهاء المشاورة على ذلك ، وسبب حضوره حصول خـلاف في مجلس مشاورة ضم يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وعبد الملك بن حبيب حـول احـدى المسائل وكان راي يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان واحداً وخالفهما راي عبـد الملـك بـن حبيب، وقد قدم عبد الملك بن حبيب رواية عن الفقيه المصري اصبغ بن الفرج تؤيـد رايـه ، وانفضّ المجلس ولم يبت في امر المسألة المعروضة فيه ، وحصل ان زار عبد الاعلـى بـن وهب سعيد بن حسان وكان ابن وهب قد التقى في مصر باصبغ بن الفرج واختص بالروايـة عنه في الاندلس ، فوجد سعيد بن حسان في زيارته له فرصة مناسبة لسؤاله عن الرواية التي قدمها عبد الملك بن حبيب فجاء بها مغايرة لما قال به عبد الملك ، فطلب سعيد بن حسان منـه ان يحضر معه مجلس المشاورة الذي سيعقد للبت بتلك المسألة وذلك بموافقة القاضي ، وفـي

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٦/٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧.

[٢] من المفيد التنويه بان هناك فئة اخرى من الفقهاء التي ميزها خليل الكبيسي واسماها الفقهاء المستـشارين. المرجع السابق ، ص١٠٦-١٠٩.

[٣] المرجع نفسه ، ص١٥٥-١٧٢.

Marin, Op. Cit., P49.

[٤] المرجع نفسه ، ص١٥٩.

[٥] ابن حزم ، فضائل الاندلس ، ص٥٣.

[٦] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٥٩ ؛ القاضي عيـاض ، ترتيـب المـدارك: ١٥٥/٥ ، ١٣٣/٨ ؛ خليـل الكبيسي ، المرجع السابق ، ص١٦٣-١٦٤.

مجلس المشاورة اسقط بيد عبد الملك بن حبيب واخذ براي يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان بعد الاطلاع على رواية عبد الاعلى بن وهب عن المسألة ، فاعترض عبد الملك بن حبيب على حضور عبد الاعلى لكونه ليس من الفقهاء المشاورين وقدم اعتراضه للامير الحكم بن عبد الرحمن[١].

ومن الامثلة الاخرى على المناقشات التي شهدتها مجالس المشاورة ما حصل في المجلس الذي عقده القاضي احمد بن عبد الله بن ذكوان (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) وابو عبد الله بن عتاب (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م) واحمد بن محمد بن القطان (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) وغيرهم من فقهاء المشاورة ، وقد استوجبت المسألة المعروضة فيه اكثر من مجلس للبت بها وكانت حول شخص استوجب تحليفه اكثر من يمين فسألهم القاضي ان كان يكتفي بتحليفه يميناً واحداً في بداية عقد مجلس القضاء ام يتم تحليفه يميناً اخر حسب ما يتطلب الموضوع ، فاجاب ابن عتاب بضرورة تحليفه اكثر من يمين وحجته في ذلك انه شاهد قضاة سابقين يقومون بذلك كما قدم ادلة تدعم رايه من **الموطأ** و**كتاب ابن المواز** بينما راى ابن القطان انه يمكن ان يحلف يميناً واحداً فقط ، وقد اجتمع الفقهاء اكثر من مرة لتحديد ذلك ويبدو ان راي ابن القطان كان هو المرجح مما اضطر ابن عتاب الى الانسحاب من مناقشة ذلك الموضوع[٢].

وفي مجلس اخر ضم ابن عتاب وابن القطان وعبيد الله بن محمد بن مالك (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) طرحت مسألة تعلقت ببيع عدد من الاغنام ، وحصلت اشكالات بين البائع والشاري بخصوص تطبيق شروط عقد البيع ، فكان راي ابن عتاب وابن القطان واحد بينما اختلف عنهما راي ابن مالك ، وبعد التوسع في المناقشة مع القاضي تراجع ابن عتاب عن رايه الاول وايد راي ابن مالك[٣].

بينما لم تظهر فئة الفقهاء المشاورين في المغرب بصورة منظمة الا في العصر المرابطي. ومن الفقهاء الذين تولوا المشاورة ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن احمد (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م)[٤] ومروان بن عبد الملك (ت٤٩١هـ/١٠٩٧م)[٥] وابو عبد الله محمد بن عبد الله الاموي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)[٦] وابو اسحاق ابراهيم بن احمد

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٥٨-٢٥٩.
[٢] الونشريسي ، المصدر السابق: ٣١١/١٠.
[٣] المصدر نفسه: ٢٣١/٦.
[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٤/٨.
[٥] المصدر نفسه: ١٩٦/٨.
[٦] المصدر والمكان نفساهما.

(ت٥١٢هـ/١١١٨م)[١] وابو بكر حجاج بن صالح (عاش في القرن السادس للهجرة /الثاني عشر للميلاد)[٢]. وقبل ذلك يبدو ان القاضي حماس بن مروان في القيروان رغب بتكوين جماعة منتظمة من الفقهاء المشاورين . حيث اختار اربعة فقهاء من مقدمة فقهاء القيروان وطلب منهم حضور مجلس قضائه بصورة دائمة ، للمشاورة بينهم في القضايا المعروضة وهم موسى بن عبد الرحمن القطان وابو حبيب نصر بن فتح (ت٣٠٦هـ/٩١٨م) وابو عبد الله الضراب وعبد الرحمن بن محمد الوزنة (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)[٣]. لكنه تعرض لانتقاد خصومه حيث اعتبروا ذلك اداة للطعن عليه بالتشكيك بمقدرته الفقهية وتوظيفها في اداء مهامه القضائية[٤]. ومع ان تجربة حماس بن مروان لم تدم فقد حرص القضاة المغاربة على مشاورة غيرهم من الفقهاء قبل تجربة القاضي حماس وبعدها وذلك بتحديد القاضي للفقيه الذي يرغب بمشاورته. فعندما تولى عبد الله بن غانم القضاء قام بمشاورة عبد الله بن فروخ[٥] والبهلول بن راشد[٦]. واكثر القاضي عبد الله بن طالب من مشاورة الفقهاء لتحري العدالة في احكامه[٧]. لا سيما محمد بن ابراهيم بن عبدوس (ت٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) وكان يقول عن ذلك: ((اللهم ابقني ما ابقيت محمد بن عبدوس اقتدي به في ديني))[٨]. ولم يمنعه ذلك ان يشاور غيره من الفقهاء الذين يأتون الى مجلس قضائه ففي احدى المرات عرضت عليه قضية صعبة فسأل عنها كل من دخل عليه من الفقهاء ولم يجد الجواب الذي اقنعه الا عند محمد بن سعد بن ابي الوليد (عاش في القرن الرابع للهجرة /العاشر للميلاد)[٩]. وقد طلب عبد الله بن محمد بن البنا (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م) من ابراهيم الابياني ان يحضر مجلس قضائه بعد ان اقتنع ان لا مفر للقاضي من مشاورة غيره من الفقهاء[١٠].

---

(١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٩/٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٨/٨-٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ٧٠/٥-٧١.

(٤) المصدر نفسه: ٧٢/٥.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٧/٣.

(٦) المصدر: ٦٦/٣.

(٧) المصدر نفسه: ٣١٣/٤.

(٨) المصدر نفسه: ٢٢٤/٤.

(٩) المصدر نفسه: ١٠٧/٥.

(١٠) المصدر نفسه: ٩٨/٥.

وعندما تولى ابو الفضل بن شعلان (عاش في القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد) قضاء المهدية احضر عبد الحميد محمد الصائغ من سوسة الى المهدية ليستشيره في امور القضاء[١].

---

[١] المصدر نفسه: ١٠٥/٨.

خامساً : التعاون في المجالين الاجتماعي والاداري

أ. التعاون في المجال الاجتماعي

ظهرت اواصر المودة والمحبة بين الفقهاء في الجانب الاجتماعي كاحد انعكاسات علاقة التعاون بينهم وكانت الزيارات الودية بينهم مالوفة ، فقد دأب ابو القاسم احمد بن محمد بن زياد في قرطبة باقامة مآدب طعام يدعو فقهاء وقته اليها[١]. وكان شهر رمضان مناسبة ملائمة لاقامة مآدب الطعام بين الفقهاء فقد اقام عبد الله بن غانم في القيروان مآدبه افطار حضرها عدد من الفقهاء منهم البهلول بن راشد[٢]. اما محمد بن سحنون فكان دائم الزيارة لعبد الرحيم الزاهد للاطمئنان عليه والتبرك بدعائه جريا على عادة ابيه سحنون قبل ذلك[٣]. كما اهتم الفقهاء بعيادة المرض منهم والاطمئنان على صحتهم[٤] ، بل ان المتخلف يلام على ذلك فقد استفقد ابو الغض نفيس الغرابلي (ت٣٠٩هـ/٩٢١م) في سوسة محمد بن بسطام (ت٣١٣هـ/ ٩٢٥م) لانه لم يره ضمن عواده وذكر ذلك امام الموجودين معه ، فاخبروه بوجود ابن بسطام معهم لكن لم يره ابو الغض لجلوسه في اخر المجلس[٥]. اما احمد بن القطان (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) فقد بادر محمد بن سحنون واحضر له طبيباً عندما زاره ووجده مريضاً[٦].

بينما اعان محمد بن يبقى بن زرب (ت٣٨١هـ/٩٩١م) الفقيه سعيد بن حمدون بن محمد (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) من المرية في مرضه وقدم له مبلغا من المال[٧]. ومر فقهاء اخرون بظروف مغايرة اعانهم فيها بعض الفقهاء بتقديم مبالغ مالية لهم فعندما قرر سعيد بن عباد القيرواني (ت٢٥١هـ/ ٨٦٥م) الزواج ارسل اليه محمد بن ابراهيم بن عبدوس وسحنون مبالغ مالية ليغطي تكاليف زواجه[٨]. اما ابو يزيد رباح بن يزيد فقد ساعده البهلول بن راشد بايجاد عمل له يعتاش منه عندما قرر سُكنى القيروان[٩].

---

[١] ابن سعيد ، المصدر السابق: ١٥٥/١.

[٢] المالكي ، المصدر السابق: ٢١٠/١.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٠٨/٤.

[٤] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص٢٠٩-٢١٠ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٣٠٢/١ ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٧٥.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٥/٥-١١٦.

[٦] المصدر نفسه: ٢٧٩/٤.

[٧] المصدر نفسه: ١٢/٧.

[٨] المصدر نفسه: ٢٣١/٤.

[٩] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٢١-١٢٢.

وفي نطاق العائلة الواحدة ظهر تاثير العلاقة الاجتماعية بجلوس الابن في مجلس ابيه العلمي في ظروف مختلفة . فعندما ترك التدريس ابن الحاج محمد بن احمد بن خلف (ت٥٢٩هـ / ١١٣٤م) في قرطبة جلس ابنه محمد (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) مكانه في حلقته[١]. وهناك من جلس في مجلس ابيه بعد وفاته .ففي مرسية بعد وفاة ابي جعفر عبد الله بن محمد جلس ابنه محمد (ت٥٤١هـ/١١٤٦م) في حلقته ، والذي لم تبرز كفاءته في حياة ابيه وبعد وفاته اثبت جدارته[٢]. وفي القيروان جلس محمد بن سحنون في مجلس ابيه بعد وفاته[٣] وكذلك ابو بكر محمد بن ابي القاسم اللبيدي (ت٤٤٠هـ/١٠٠٩م)[٤].

ويعتبر تداول تولي القضاء في بعض العوائل العلمية انعكاسا اخر لعلاقة التعاون في المجال الاجتماعي فظهر ما يمكن تسميته بتوارث القضاء . فقد برزت العديد من الاسر التي تولى اكثر من فرد فيها القضاء في مدينته في الاندلس والمغرب . مما جعلها محصورة في افراد تلك العائلة في اوقات معينة. مثل اسرة بني عباد في اشبيلية فمع تكوينهم دولة مستقلة[٥] الا انهم لم يتركوا القضاء لغيرهم من فقهاء اشبيلية بحيث عدّ ابن بسام[٦] القضاء ارثا في اسرتهم بقوله: ((... ورد عليه ميراثه من قضاء بلده بعد عنه مدة))وكان القضاء وراثيا ايضا في بعض مدن المغرب ، فبعد موت القاضي يتولى القضاء مكانه احد افراد عائلته[٧]. وقد استخدم ابن بسام الوصف المناسب للتعبير عن الواقع الملموس مع ان القضاء فعليا لايورث . فالقاضي تعينه السلطة الحاكمة وهي ايضا لها الحق في عزله ان رات ذلك[٨]. وتوارث القضاء لا يعني ان السلطة المسؤولة عن المؤسسة القضائية ليس لها دور في تعيين

---

[١] ابن الابار ، التكملة: ٥١٩/٢ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص١٩٢.

[٢] المراكشي ، المصدر السابق: ٣٠٧/٦.

[٣] ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٣٤.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٩/٨.

[٥] شكلت اسرة بني عباد دولة مستقلة في اشبيلية سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) اسسها القاضي محمد بن اسماعيل ابن عباد وتولى حكمها ابناؤه من بعده. وكان المعتمد محمد بن عباد اخر حكامها بعد جواز المرابطين الى الاندلس وضمهم اشبيلية الى دولتهم فانتهى حكم بني عباد وذلك سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩١م). امحمد بن عبود ، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف (تطوان: المعهد الجامعي للبحث العلمي ، ١٩٨٣).

[٦] المصدر السابق: ١٥/٢/١.

[٧] الهادي روجيه ادريس ، الدولة الصنهاجية ، ترجمة حمادي الساحلي (بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٢): ١٦٥/٢.

[٨] القاسمي ، المرجع السابق ، ص١١٧.

القضاة الذين يتولونه بالوراثة ، فان ذلك يتم بموافقة منها ، ولا يعني ذلــك ايــضا ان يتــولى القضاء شخص غير كفوء[١].

وعلى الاكثر ان العائلة التي طمحت بتولي ابنائهــا القــضاء قامــت بتهيئــتهم لهــذا المنصب، فيحصلون على نوع من التدريب ان صح التعبير بوجودهم داخل محــيط قــضائي ووجود من يتكفل باعدادهم لذلك . وهناك موقف واحد من قبل قاضي الجماعة فــي قرطبــة يونس بن عبدالله بن الصفار (ت٤٢٩هــ/١٠٣٧م) الذي اوصى فيه قبل موته انــه اســتخلف على القضاء بعده ابن ابنه مغيث بن محمد[٢]. وقد درس مغيث بن محمد عند جــده ولازمــه حتى وفاته[٣]. وقد تولى جده عدد من المناصب المهمة في قرطبة اخرها قضاء الجماعة ســنة (٤١٩هــ/١٠٢٨م) وبقي متوليه الى وفاته[٤]. ولابد آن يونس بن عبد الله اعد حفيده لتــولي القضاء وعندما اوصى آن يكون قاضيا بعده اراد آن يعينه في القــضاء بموجــب صــلاحياته كقاضي جماعة ، حيث يمكن لقاضي الجماعة ان يعين القضاة العاديين[٥]. ومع ذلك لم يؤخــذ بما اوصى به ولم يتول القضاء بعده حفيده مغيث بن محمد[٦].

وهناك العديد من العوائل التي توارث افرادها القضاء في الاندلس مثل عائلة بقي بــن مخلد[٧] ، وعائلة ابن ذكوان[٨]. وعائلة عبد الله بن هاشم في المغرب[٩]. وسنكتفي فيما يــاتي بايراد مثالين على بعض العوائل التي توارث افرادها القضاء في الاندلس والمغــرب . ففــي مدينة بلنسية توارث افــراد عائلــة ابــن جحــاف قــضاءها ، وكــان جحــاف بــن يمــن (ت٣٢٧هـــــ/٩٣٨م) اول واحـــد فـــيهم وفـــي عقبـــة تـــداول القـــضاء[١٠]. ومــنهم عبــد الــرحمن بــن عبــدالله[١١] وجعفــر بــن عبــد الــرحمن[١٢] وبعــده ابنــه

---

(١) ادريس ، المرجع السابق ، ص١٦٥.

(٢) ابو سعيد ، المصدر السابق: ١٥٩/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧/٨.

(٣) ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٦٢٩/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٦٨٤/٢.

(٥) التجكاني ، المرجع السابق ، ص١٣٠-١٣١.

(٦) ابن سعيد ، المصدر السابق: ١٥٩/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧/٨.

(٧) علي بن احمد الرعيني ، برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق ابراهيم شبوح (دمشق: مديرية احيــاء التــراث القديم ، ١٩٦٢) ، ص٥٠.

(٨) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٨/٨.

(٩) ادريس ، المرجع السابق ، ص١٦٧.

(١٠) الحميدي ، المصدر السابق ، ص١٩٠.

(١١) المصدر نفسه ، ص٢٧٦.

(١٢) ابن الابار ، التكملة: ٢٣٨/١.

احمد (ت٥٤٧هـ/١١٥٢م)[١] الذي كان اخر قضاة بيت ابن جحاف في بلنسية[٢]. اما في المغرب فقد توارث القضاء بنو الملجوم في مدينة فاس وكان عيسى بن علي بن يوسف اولهم وفي عقبة جرى تداول القضاء[٣] ومنهم يوسف بن عيسى الذي تولى قضاء فاس ثم قضاء مكناسة واصبح فيما بعد قاضي جماعة في مراكش[٤]. وعيسى بن يوسف (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) الذي وُلِّي قضاء فاس ومكناسة[٥]. وعبد الرحيم بن عيسى (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)[٦].

ب- التعاون في المجال الاداري

كانت مساندة الفقهاء في تولي بعض الوظائف التي تحتاج الى قاعدة فقهية احدى مؤشرات علاقة التعاون ايضا بين الفقهاء . وفي مقدمة تلك الوظائف القضاء الكتابة لدى القضاة. فمع بروز اصوات دعت الى رفض تولية القضاء خيفة من مسؤولياته وتحرزا من مشكلاته الفكرية والشرعية ، هناك من دعا الفقهاء المؤهلين له لقبول توليه بل وحتى السعي لذلك مثل ابي عمر بن عبد البر ، الذي انتقد قيام بعض الفقهاء بالسعي لتولي القضاء لغرض الحصول على مكاسب دنيوية منها التقرب الى السلطة[٧]. فانه بالمقابل ايضا شجع ودعا الفقهاء المناسبين لطلب تولي القضاء وذلك لغلق الابواب امام عدم المؤهلين ولحفظ هيبة القضاء ودعمه[٨].

وممن رغب بتولي القضاء في قرطبة الحبيب زياد بن محمد بن زياد حيث لام الفقيه بقي بن مخلد لانه اشار على الامير المنذر بن محمد[٩] بان يولي القضاء عامر بن معاوية اللخمي (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) بعد آن كان الحبيب هو المرشح الاول ، فاخبره بقي انه فضل

---

[١] المراكشي ، المصدر السابق: ٨٤/١/١.

[٢] ابن الابار ، المعجم ، ص٣٤.

[٣] ابن الاحمر ، المصدر السابق ، ص١٤.

[٤] ابن القاضي ، المصدر السابق: ٥٤٩/٢.

[٥] المصدر نفسه: ٥٠١/٢.

[٦] ابن الاحمر ، المصدر السابق ، ص١٥.

[٧] جامع بيان العلم: ٢٠٨/٢.

[٨] المصدر نفسه: ٢١٠/٢.

[٩] تولى المنذر بن محمد امارة الاندلس بعد وفاة والده محمد بن عبد الرحمن (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م) وكانت مدة امارته سنتين الا خمسة عشر يوماً فقد مات سنة (٢٧٥هـ / ٨٨٨م). عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٥٢.

عامر بن معاوية عليه لانه راه افضل منه واقدر على القضاء[١]. وسبق وان بين موضوع توارث القضاء ورغبة بعض الفقهاء في تداوله بين افراد عوائلهم . كما هيأ تولي القضاء للفقهاء ارضية ملائمة لتثبت مواقعهم كمفتين وتاييد مواقفهم العلمية[٢].

وقد قام بعض الفقهاء الذين كانوا بموضع اقتضاهم المشورة باختيار احدهم للقضاء بترشيح اصحابهم والمقربين منهم مع الاخذ بالاعتبار كفاءتهم لتولي القضاء. ففي الاندلس كان يحيى بن يحيى الليثي احد ابرز فقهاء المالكية ، وله دور ملموس في تثبيت المذهب المالكي فيها[٣]. وكان ترشيح اصحابه لتولي القضاء احدى وسائله في تحقيق ذلك. ولابن حزم راي يؤشر ذلك يقول فيه: ((مذهبان انتشرا في بدء امرهما بالرياسة والسلطان ، مذهب ابي حنيفة.... ومذهب مالك ابن انس عندنا فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء وكان لا يلِ قاضٍ في اقطارنا الا بمشورته واختياره ولا يشير الا باصحابه ومن كان على مذهبه))[٤].

وقد عرض الامير عبد الرحمن بن الحكم[٥] على يحيى بن يحيى تولي القضاء ، لكنه ابى من قبوله وعلل رفضه بانه يفضل موقع اخر غير القضاء اعلى منه يمكنه من الاشراف على القضاة فهو بمكانته الفقهيه وتقدمه على كثير من فقهاء وقته لايمكنه ان يضع نفسه بموقع ممكن ان يعرضه للمساءلة اذا احتج احد على بعض احكامه ، فيفصل في ذلك من هو اقل مكانة ومقدرة فقهية منه ومن الافضل ان يقوم هو بهذه المهمة ويترك القضاء لغيره[٦]. أي انه اختار الموقع الاكثر سلطة وقوة ويبدو ان الذي شجعه على ذلك تقدير الامير عبد الرحمن بن الحكم له[٧]. واصبحت له فيما بعد الكلمة الفصل في تعيين القضاة في قرطبة فكان لا يتولى

---

[١] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٨٩-٩٠.

[٢] خليل الكبيسي ، المرجع السابق ، ص١٥٤.

[٣] انخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥) ، ص٤١٨.

[٤] الحميدي ، المصدر السابق ، ص٣٨٣ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ١٦٤/١.

[٥] تولى امارة الاندلس سنة (٢٠٦هـ / ٨٢١م) وامتدت مدة ولايته حتى وفاته سنة (٢٣٨هـ / ٨٥٢م) وشهدت الاندلس في عهده استقراراً وازدهاراً على كافة الاصعدة. عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٨.

[٦] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٦٢ ؛ الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٨٢/٣.

[٧] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٨٠ ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٤٢.

أي قاضٍ الا اذا رشحه لذلك يحيى ابن يحيى ، وكان غالبا ما يختار اصحابه والمؤيدين لـــه[١]. كما فرض على القضاة الاخذ بمشورته ورايه ومن يخالفه يهدده بالعزل[٢]. وممن عـــين مـــن القضاة في قرطبة بترشيح يحيى بن يحيى ابراهيم بن العباس ، الذي صرف عن القضاء ســـنة (٢١٣هــ/٨٢٨م)[٣]. وابو عبد الله محمد بن سعيد الذي ولي ســـنة (ت٢١٤هـــــ/٨٢٩م)[٤]. وصرف سنة (٢٢٠هــ/٨٣٥م)[٥]. وعلى بن ابي بكر بن علي (ت٢٣١هــ/٨٤٥م)[٦] الـــذي ولي سنة (٢٢٧هــ/ ٨٤١م)[٧]. وصرف سنة (٢٢٩هــ/٨٤٣م)[٨].

اما في المغرب فقد كان عبد الله بن غانم اول فقيه مالكي يتولى القضاء وذلـــك بعـــد عرضه على عبد الله بن فروخ وابائه توليه ، فقد طلب والي افريقية روح بن حاتم مـــن ابـــن فروخ تولي القضاء فرفضه وحاول اجباره عليه فلم يقدر على ذلك ، فطلب منه ان يرشح لـــه غيره ممن يستحق القضاء فرشح عبد الله بن غانم[٩]. وتولى ابن غانم القضاء ويبدو ان ترشيح ابن فروخ لابن غانم وافق ترشيح سابق له لتولي القضاء من قبل ابي يوسف يعقوب في بغداد قبل سفر روح ابن حاتم الى القيروان[١٠]. وكان لتولي ابن غانم القضاء دور مهم فـــي نـــشر المالكية في المغرب . وقد تراوح القضاء بعده بين فقيه مالكي واخر حنفي . وذلك حتى دخول الفاطميين الى المغرب[١١].

اما عبد الله بن طالب فقد ولاه القضاء مرتين ابراهيم بن الاغلب تولى في الاولى بعـــد الفقيه الحنفي سليمان بن عمران ، ولكن عزله ابراهيم بن الاغلب بعد ان رأى محبـــة النـــاس وتقديرهم لعلمه فخشي ان يهيأه ذلك لولاية افريقية لاسيما وانه ابن عمـــه ورد ســـليمان بـــن عمران للقضاء ، فلما شاخ سليمان بن عمران ووجب عزله عن القضاء فكـــر ابـــراهيم بـــن

---

[١] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص٨٠ ؛ الحميدي ، المصدر السابق ، ص٣٨٣ ؛ ابن سعيد ، المـــصدر السابق: ١٥٠/١.

[٢] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٦٨.

[٣] المصدر نفسه ، ص٨٥-٦١ ؛ ابن الابار ، التكملة: ١٣٠/١.

[٤] ابن سعيد ، المصدر السابق: ١٤٩/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٢١٤/٦.

[٥] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٦٢.

[٦] المصدر نفسه ، ص٦٨ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ١٩٣/١/٥

[٧] ابن سعيد ، المصدر السابق: ١٥٠/١.

[٨] ابن الابار ، التكملة ، تحقيق بالنثيا ، ص١٩١.

[٩] القيرواني ، المصدر السابق ، ص١٧٤ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المـــدارك: ١٠٧/٤ ؛ ابـــن الـــدباغ ، المصدر السابق: ٢٤٢/١.

[١٠] المصدر نفسه: ٢٩٢/١.

[١١] الخشني ، طبقات علماء افريقية ، ص٢٣٣-٢٣٩.

الاغلب ان يولي القضاء الفقيه الحنفي ابا العباس ابن عبدون لكنه لم يستطع ان يغفل مشورة عبد الله بن غافق التونسي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) واحمد بن أبي سليمان (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) المالكيان اللذان اشارا عليه ان يعيد عبد الله بن ابي طالب للقضاء وقد افحمه احمد بن ابي سليمان عندما اخبره: ((ان الصلاة عمود الدين فما استحق عند الامير ان يقدم عليها كان بما هو اقل منها اولى)) ، فولى عبد الله بن ابي طالب القضاء[1].

وتبرز علاقة التعاون ايضا في تعيين قضاة المدن التابعة لقضاء الجماعة. وسبق ان ذكرنا ان من صلاحيات قاضي الجماعة تعيين قضاة المدن التابعة لمنطقته القضائية. حيث عين بعض قضاة الجماعة في القضاء طلابهم واصحابهم. مثل تعيين ابن القاسم عبد الرحمن بن محمد بن العجوز (ت٥١٠هـ/١١١٦م) من قِبَل محمد بن عيسى على قضاء الجزيرة الخضراء اذ كانت تابعة لمنطقة قضاء فاس التي كان محمد بن عيسى قاضيها[2] ، وعاشر بن محمد بن عاشر عينه ابو محمد عبد المنعم بن سمجون على قضاء باغة ضمن صلاحياته كقاضٍ لغرناطة[3] ، كما عين محمد بن احمد بن الحاج طالبه احمد بن محمد بن هذيل على قضاء استجه وكان ابن الحاج قاضٍ للجماعة في قرطبة[4]. اما ابو بكر محمد بن ابراهيم بن اسود فقد عين احمد بن ابراهيم بن عيسى (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) قاضيا على جزيرة شقر[5] وعُيِّنَ عتيق بن اسد بن عبد الرحمن (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) قاضيا على شاطبة[6]. وابو الوليد محمد بن احمد بن رشد عين طالبه علي بن محمد بن خلف (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م) قاضيا على موررور وشبلر عندما كان قاضي الجماعة في قرطبة[7] وعين ابو القاسم محمد بن احمد بن عبد الرحمن (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م) قاضيا على شاطبة[8]. وفي المغرب عين سحنون صاحبه ابا محمد عبد الله بن سهل القبرياني (ت٢٤٨هـ/٨٦٢م) على قضاء قصطيلية ونفزاوة وقفص[9] وعين شجرة بن عيسى (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) على قضاء تونس[10]. كما عين عبد

---

[1] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣١١/٤.

[2] المصدر نفسه: ٢٠٤/٨ ؛ ابن القاضي ، المصدر السابق: ٤٠٨/٢.

[3] المراكشي ، المصدر السابق: ١٠٠/١/٥.

[4] ابن الابار ، التكملة: ٦٧/١.

[5] المراكشي ، المصدر السابق: ٦٠/١/١.

[6] ابن الابار ، المعجم ، ص٣٠٣.

[7] ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص٩٣.

[8] المراكشي ، المصدر السابق: ٦٧٦/٢/٥.

[9] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٣/٤.

[10] المصدر نفسه: ١٠١/٤.

الله بن طالب ، سليمان بن سالم بن الكحالة (ت٢٨١هـ/ ٨٩٤م) على قضاء باجة[١] وعبد الله بن هارون على قضاء تونس[٢].

ويلحظ ان عددا من اولئك القضاة صرف عن القضاء بعد ترك القاضي الذي عينه لمنصبه مثل احمد بن محمد بن هذيل حيث ترك قضاء استجة بعد وفاة ابن الحاج وعاد الى بلده بلنسية[٣]. وصرف عتيق بن اسد عن قضاء شاطبة بصرف ابن اسود[٤]. وكذلك محمد بن احمد بن عبد الرحمن صرف عن قضاء شاطبة بعد صرف ابن رشد[٥].

اما بالنسبة لوظيفة الكاتب فانها من الوظائف التابعة للقضاء وان كان لا يوجد لمتوليها تاثير فعلي في العملية القضائية ، فعمله اداري تنظيمي حيث يقوم بتسجيل الاحكام في سجل خاص ويحتفظ بقوائم اسماء الشهود ويرتب عرض الدعاوي امام القضاء[٦]. ومع هذا لايتولى الكتابة الا من درس الفقه[٧] والذي قام بالكتابة حقق مكسبا بحصوله على وظيفة امدته بدخل ثابت[٨]. كما اتاح له موقعه ككاتب الفرصة للتدرب على القضاء بكونه قريباً من عمليات التقاضي مما اهله مستقبلا لتولي القضاء[٩].

وغالبا ما عين الكاتب من قبل القاضي وحرص بعض القضاة على تعيين طلابهم واصحابهم مثل عيسى بن سهل بن عبد الله الذي كان كاتبا لدى شيخه عبد الرحمن بن عيسى بن الحشا وقت قضائه بطليطلة ولابن منظور وقت قضائه بقرطبة[١٠]. واحمد بن محمد بن هذيل كان كاتبا لدى شيخه ابي محمد بن عاشر[١١]. كما كان محمد بن عيسى بن القاسم الصدفي (ت٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) كاتبا لشيخه عيسى بن يوسف بن الملجوم (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) وقت قضائه بمكاسنة[١٢]. وكان ابو العباس احمد بن عبد الرحمن (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م) كاتبا لشيخه ابي عبد الله بن حسون في مدة قضائه الاولى لمراكش سنة

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٥٧/٤.
[٢] الخشني ، طبقات علماء افريقية ، ص١٩٢.
[٣] ابن الابار ، التكملة: ٦٧/١.
[٤] ابن الابار ، المعجم ، ص٣٠٣.
[٥] المراكشي ، المصدر السابق: ٦٧٦/٢/٥.
[٦] هوبكنز ، المرجع السابق ، ص٢٢١ ؛ عبد الحميد ، المرجع السابق: ٩١/١.
[٧] التجكاني ، المرجع السابق ، ص١٤١.
[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٥٩/٤ ؛ عبد الحميد ، المرجع السابق: ٩٢/١.
[٩] هوبكنز ، المرجع السابق ، ص٢٢١.
[١٠] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٤٣٨/٢.
[١١] ابن الابار ، التكملة: ٦٧/١.
[١٢] ابن الابار ، المعجم ، ص١٢١.

(٥٢٧هـ/١١٣٢م) وترك الكتابة بصرف ابن حسون عن القضاء[١] وحصل ان اعيد تعيين ابن حسون قاضيا لمراكش مرة اخرى فعاد واستدعاه للكتابة لديه لثقته به واقتناعه بادائه عمله في المرة الاولى ، وبصرف ابن حسون عن قضاء مراكش مرة اخرى تولى احمد بن عبد الرحمن قضاءها[٢]. ومن الكتاب من لازم شيخه في تنقلاته بمقتضى عمله القضائي ، فهذا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر اللواتي (ت٥١٣هـ/١١١٩م) درس لدى ابي الاصبغ عيسى بن سهل ولازمه وقت استقراره بسبته ، وعندما تولى عيسى بن سهل قضاء طنجة طلب من ابي اسحاق اللواتي ان يكون كاتبه ويرافقه الى طنجة ، فذهب معه لذلك الغرض وعندما صرف عيسى بن سهل عن قضاء طنجة وعين قاضيا لغرناطة رافقه ايضا ابو اسحاق اللواتي وذهب معه الى غرناطة كاتبا له[٣]. واصبح ابو اسحاق اللواتي فيما بعد من الفقهاء المشاورين بسبته[٤].

---

[١] المراكشي ، المصدر السابق: ٢٢٧/١/١.

[٢] المصدر والمكان نفساهما ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة: ١٨٣/١.

[٣] ابن الابار ، المعجم ، ص٣٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٨٩.

[٤] القاضي عياض ، الغنية ، ص١١٩.

الفصل الرابع

الحوار العلمي بين الفقهاء

اولا : المذاكرة

أ. آلية المذاكرة .

ب. المذاكرة في علم الحديث .

جـ. المذاكرة في علم الفقه .

ثانيا : المناظرة

أ. آلية المناظرة .

ب. المناظرة للتدريب على الفقه .

جـ. المناظرة لاثبات الرأي .

د. المناظرة مع فقهاء المذاهب الاخرى .

- مع الحنفية
- مع الفاطميين
- مع الظاهرية

ثالثا : تأليف الكتب

أ. التعليق على كتب الاخرين .

ب. المناقشات بين الفقهاء

اولاً : المذاكرة

خصصت المذاكرة في بدايتها لدراسة الحديث النبوي الشريف فقط ، أي انهــا اقتــصرت على المحدثين وقد نشأت في عصر الرسالة وتطورت تدريجيا واتسعت اغراضــها وغاياتهــا بتطور العلوم والبحث العلمي بعد تعدد مجالات علم الحديث وتوسع فروعه ، ومن ثم اصبحت المذاكرة تعقد ايضا في الفقه باعتبار الحديث النبوي الشريف من اصول علم الفقه[١]. وقد كان لابي عمر احمد بن عبد الله في اشبيلية مجالس مذاكرة خاصــة بالحــديث النبــوي الــشريف واخرى خاصة بالفقه[٢] . والفرق بين مجالس المذاكرة في الحديث ومجالس المذاكرة في الفقه ان الاولى مقتصرة على مذاكرة الحديث النبوي الشريف اما الثانية فتذاكر فيها المسائل الفقهية ومن الطبيعي ان يتم خلال ذلك الاستشهاد بالاحاديث النبوية الــشريفة ولكــن يــتم التــساهل والتخفيف فيها بذكرها مرسلة أي الاكتفاء بذكر متن الحديث دون سنده[٣] . وتقــوم المــذاكرة على تبادل الرأي بين اطرافها من خلال السؤال والجواب مثل المناظرة ، ولكــن الاخــتلاف بينهما ان المذاكرة حدتها ليست كحدة المناظرة ولم تعقد بعد اختلاف الرأي حــول موضـــوع معين كما في المناظرة وانما الغاية الرئيسية منها الحفظ والمراجعة . وقبل الدخول في تفاصيل مجالس المذاكرة التي تمت في الاندلس والمغرب سنوضح شيئا عن الية المذاكرة .

أ. الية المذاكرة

حدد ابن عبد البر ان يكون طرفا المذاكرة نظيرين في العلم والمكانــة ولا يجــوز ان يذاكر الشخص من هو اعلى او ادنى منه[٤] . ومن الامثلة على مذاكرات عقدت بــين فقهــاء يمكن عدهم من مرتبة واحدة ، تلك التي تمت في الاندلس. منها مذاكرة بين يــونس الــصفار

---

[١] المكي اقلانية ، النظم التعليمية عند المحدثين (قطر: وزارة الاوقاف والــشؤون الاســلامية ، ١٩٩٢) ، ص٧٥-٧٦ ؛ محمد حياني "مجلس المذاكرة عند المحدثين" ، مجلة ابحاث اليرموك (العلــوم الانــسانية) مجلد ١٠ ، العدد ٢ ، (١٩٩٤) ، ص٥٧-٥٨.

[٢] الحميدي ، المصدر السابق ، ص١٢٨.

[٣] عمر بن يوسف بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ، تحقيق مصطفى احمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري (ط٢. الرباط: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٢): ١٧/١.

[٤] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ١٨٦/٢.

ومحمد بن عبيد الله الوليد[١] ، ومذاكرة ابي الوليد بن رشد مع محمـــد بـــن أبـــي جعفــر[٢] ، ومذاكرة ابي القاسم احمد بن عمر بن ورد مع محمد بن عبد الله بن العربي[٣] .

ولابن العربي ايضا مذاكرة مع ابي بكر بن المرجى[٤]. وفي القيروان تمت مـــذاكرة بين عبد الجبار بن خالد بن عمران (ت ٢٨١هـ /٨٩٤م) وسليمان بن عمران[٥]. واخرى بين ابي محمد بن ابي زيد وعبد الخالق بن شلبون والقابسي[٦]. ومع هذا فهناك من الفقهـــاء مـــن ذاكر طلابه واصحابه منهم بقي بن مخلد في قرطبة[٧]. ومحمد بن عبد الرحيم بن محمد فـــي مرسية[٨]. وفي المغرب عبد الله بن احمد الابياني[٩] ، وابي محمد بن ابي زيد[١٠] ، وابي بكر احمد بن عبد الرحمن الخولاني[١١] ، وعبد الواحد عمر التونسي[١٢].

اما موعد عقد المذاكرات ومكانها فيحدده المشاركون في المـــذاكرة حـــسب مـــايلائم ظروفهم . فقد كان الابياني يعقد مجالس المذاكرة عصرا بعد ان ينتهي من مجالس السماع[١٣]. وكان لمجلس مذاكرة الخولاني موعد محدد[١٤]. وبعض المذاكرات عُقِـــدت مـــن دون تحديـــد موعد سابق لها مثل مذاكرة ابن العربي وابن ورد فقد تمت ليلا عند زيارة احدهما للآخر[١٥]. وكذلك مذاكرة محمد المعيطي ويونس الصفار حيث تمت في الجـــامع بعـــد زيـــارة الـــصفار للمعيطي فيه[١٦]. واذا عُقِدت تلك في الجامع فان ابا عمران الفاسي عقد مجالس المذاكرة فـــي

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٠/٧.

[٢] البلفيقي ، المصدر السابق ، ص٣٤.

[٣] ابن الخطيب ، المصدر السابق: ١٧٠/١.

[٤] الذهبي ، المصدر السابق:١٢٩٢/٤/٢.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٨٧/٤.

[٦] ابن فرحون ، الديباج ، ص٨٥.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٥.

[٨] المراكشي ، المصدر السابق: ٣٧٥/٦.

[٩] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٥/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٣٦.

[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٨١/٦ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢٨٤/٢ ؛ ابـــن فرحـــون ، الديباج ، ص٣٨.

[١١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤١/٧.

[١٢] ابن القطان ، المصدر السابق ، ص٢٢.

[١٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٥/٧.

[١٤] المصدر نفسه: ٢٤٠/٧.

[١٥] ابن الخطيب ، الاحاطة: ٧٠/١ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٤١.

[١٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٠/٧.

منزله في القيروان[١]. وكذلك محمد بن احمد اللؤلؤي (ت٣٥٠هـ / ٩٦١م) حيث استدعى محمد بن مسرة للمذاكرة في منزله ومن الطريف انه دعاه اليها بابيات شعرية وعلل استدعاءه له لكبر سنه وصعوبة خروجه في جو شتائي مطير حيث قال له :

هَلُمَّ ان اليومَ يومَ دَجْنِ إلى محل كالضمير المَكْنِي
ساكنة كطائر في وكنِ لعلنا نُحْكِم أدنى فن
في مجلسٍ مرفرفٍ ذي كُنٍّ فأنت عند الظن أمشى مني[٢]

وفي الاندلس عُقِدت بعض المذاكرات في قصور الحكام . فقد ذاكر الامير عبد الله[٣] الفقيه بقي بن مخلد وكان يستدعيه دائما الى قصره لذلك[٤]. كما انه اقام مجالس مذاكرة جماعية حضرها عدد من الفقهاء[٥]. كما ذاكر الخليفة الحكم المستنصر في قصره اسحاق بن ابراهيم بن مسرة (ت٣٥٢هـ/٩٦٣م)[٦]. وكان ايضا للمعتصم بالله محمد بن معن الصمادحي مجالس مذاكرة في قصره[٧].

ب . المذاكرة في علم الحديث

عُقِدت في الاندلس مجالس مذاكرة في الحديث النبوي الشريف ، وفي علم الجرح والتعديل منه على وجه الخصوص. فقد تعرض محمد بن وضاح لطعن في صحة روايته **لمسند ابن ابي شيبة**[٨] ، الذي سمعه في الكوفة عن مؤلفه ، وذلك لأنه بَقِيَ في الكوفة ثمانية عشر يوما وعند عودته الى بلاده انكر بقي بن مخلد ان يكون سماعه صحيحا **لمسند ابن ابي**

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٥/٧.

[٢] المصدر نفسه: ١١٣/٦.

[٣] هو عبد الله بن محمد تولى امارة الاندلس بعد اخيه المنذر سنة (٢٧٥هـ / ٨٨٨م) وبقي في الحكم الى وفاته سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م) ، اهتم بعلوم اللغة العربية وادابها. محمد بن عبد الله بن الأبار ، كتاب الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣): ١٢٠/١.

[٤] ابن حيان ، المصدر السابق: ٣٨/٣.

[٥] المصدر نفسه: ٣٤/٣.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٨/٦.

[٧] ابن الابار ، الحلة السيراء: ٨٢/٢.المعتصم بالله من امراء الطوائف بالاندلس ، من مدينة المرية ولّي حكمها سنة (٤٤٣هـ / ١٠٥١م) وبقي في الحكم الى ان مات سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩١م) كان حسن السيرة واستقرت احوال المرية في عهده. ابن الابار ، الحلة السيراء: ٨٠/١.

[٨] ابن ابي شيبة من حفاظ الحديث ، كوفي اشتهر بتاليفه للمسند الذي عُرف باسمه (ت٢٣٥هـ/٨٤٩ م). الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد: ٦٦/١٠ ؛ ابن حجر ، التهذيب: ٦/٢.

شيبة ، وسبق وان سمع بقي بن مخلد المسند عن مؤلفه وهو يرى ان المسند لايتم سماعه الا في عام كامل ، فاهتم بمعرفة الصحيح من ذلك احد رواة الحديث فتذاكر ذلك مع محمد بن قاسم ، فاخبره بصدق الاثنين في سماعهما ، واختلاف المدة التي استغرقها كل منهما في سماع **المسند** ناتج من اختلاف طريقة حصولهما على ذلك السماع[١]. وقد كان بقي بن مخلد اول من ادخل **مسند ابن ابي شيبة** الى الاندلس[٢]. ويبدو انه خشي من منافسة محمد بن وضاح في روايته له في الاندلس .

ويلاحظ ان بعض الفقهاء رفض المذاكرة بعلم الجرح والتعديل ، منهم اسحاق بن ابراهيم بن مسرة الذي ضمه مجلس مذاكرة مع الخليفة الحكم المستنصر ، تذاكرا فيه اخبار السلف وتطرق الخليفة الحكم المستنصر الى ذكر رجل من القرطبيين وطعن فيه ، فسكت اسحاق بن ابراهيم ولم يعلق على ما طرحه الخليفة الحكم ، فعاد الخليفة الى ما بدءا به مذاكرتهما باخبار السلف الصالح ، ثم عاد مرة اخرى الى ذكر نفس الرجل القرطبي وطعنه ايضا واتخذ اسحاق بن ابراهيم نفس الموقف ولم يعلق وانما اوجم واطرق فكف الخليفة الحكم عن ذكر ذلك الرجل[٣].

وقد تمت احيانا مذاكرة احاديث مفردة معينة بتتبعها ومعرفة رواتها . فقد تذاكر يونس الصفار مع ابي بكر المعيطي بحديث رواه ابن ابي الدنيا فيه: ((ان الشاب اذا صدقت توبته عجلت منيته)) ولم يكن المعيطي يعرف به سابقا فسر به[٤]. اما محمد بن عبد الله بن العربي فقد تذاكر مع عدد من فقهاء اشبيلية ، فيهم ابو بكر بن المرجيء وتذاكروا حديث المغفر وتتبعوا رواته ، فقال ابن المرجيء انه يُروى بسند واحد عن الامام مالك ، وعارضه ابن العربي بانه رواه بثلاثة عشر سند اخر غير سند الامام مالك ، فطلب الفقهاء من ابن العربي ان يسمعهم تلك الاحاديث فوعدهم باسماعهم اياها بوقت لاحق ، ومع هذا لم ينفذ وعده مما دفع خلف بن حبر الى تكذيب ابن العربي بشعر هو :

يا اهلَ حمصَ ومن بها أُوصيكُم	بالبر والتقوى وصيةَ مشفق
فخذوا عن العربيَّ أسمارَ الدجى	وخذوا الرواية عن إمامٍ مُتقي
ان الفتى حلو الكلام مهذب	إن لم يجد خبرا صحيحا يُخلق[٥]

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٢٩-١٣٠.
[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٨.
[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٨/٦.
[٤] المصدر نفسه: ١٢٠/٧.
[٥] الذهبي ، المصدر السابق: ١٢٩٦/٤/٢.

جـ. المذاكرة في الفقه

عُقدت في الاندلس والمغرب مجالس للمذاكرة بعلم الفقه واقتصر بعضها على مذاكرة كتب معينة . وطبعا يأتي في مقدمتها امات كتب المذهب المالكي ومنها **المدونة**[١] و**المستخرجة** و**الواضحة**[٢] و**كتاب ابن المواز**[٣] بالاضافة الى شرح **للمدونة** لابي بكر محمد بن عبد الله بن يونس[٤]. وتحقق المذاكرة في تلك الكتب اغراضاً مختلفة ، منها قياس درجة حفظ الفقيه المُذاكِر ، ومن ذلك مذاكرة ابي بكر احمد بن عبد الرحمن الخولاني في القيروان مع اصحابه ، الذين تعجبوا من قوة حفظ شيخهم خصوصا وانه كبير السن ، فقرروا اختباره ليعرفوا ان كان ما يلقيه عليهم في مجلس المذاكرة معتمداً فيه على حفظه وقوة ذاكرته ام انه يستعد مسبقا لمجلس المذاكرة فيراجع المادة التي سيلقيها عليهم في كتبه قبل عقد المجلس ، وفي احد المجالس كان مقررا مذاكرة **كتاب محمد بن المواز** لكنهم احضروا في المجلس كتابا غيره للمذاكرة به ، وعندما نبههم الخولاني على ذلك وان مذاكرتهم ليست فيه رفضوا واصروا على ان تكون المذاكرة به ، فادرك الشيخ مرادهم في اختباره بمفاجأته بمذاكرة كتاب اخر من دون علمه المسبق بذلك ساعة عقد المجلس ، فألقى عليهم مسائل من الكتاب الذي احضروه غيبا من حفظه واخبرهم انه ادرك مرادهم وان بامكانه املاء الكتاب بكامله عليهم من حفظه[٥].

وعُقِد في القيروان مجلس لمذاكرة ابي ميمونة دراس بن اسماعيل ، عند قدومه اليها من فاس وقد تعجب اهل القيروان من قدرته على الحفظ ، مما دفعه الى ان يتهم فقهاء القيروان بقلة حفظهم ، فبلغ هذا القول ابو سعيد خلف بن عمر فطلب من اصحابه ان يعملوا لعقد مجلس مذاكرة بينهما لتفنيد رأيه ذلك ، فعُقدت المذاكرة في مسجد خلف بن عمر وبدأ دراس بن اسماعيل المذاكرة وسأل خلف بن عمر عن نحو اربعين مسألة من **المستخرجة** و**الواضحة** فاجابه عنها جميعها ، ثم بادر خلف بن عمر وسأله عن عشر مسائل من كتاب لاحمد بن سحنون فأخطأ ابو ميمونة في جميعها[٦].

---

[١] ابن رشد ، المقدمات: ٩/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢٩/٣ ؛ الونشريسي ، المصدر السابق: ٢٢٠/١١.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٢/٦.

[٣] المصدر نفسه: ٢٤١/٧.

[٤] المصدر نفسه: ١١٤/٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٧٤.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٠/٧-٢٤١.

[٦] المصدر نفسه: ٢١٢/٦.

وفي الاندلس تذاكر بقي بن مخلد مع اصحابه في مسألة من مسائل النكاح ، فطرح اصحابه ما يعرفوه عنها وطبعا حسب المذهب المالكي ، اما بقي بن مخلد فقد خالفهم بطرحه آراءاً لم يذكروها ، فاستغربوها وظنوا انها ليست من المذهب المالكي واعتقدوا بانها من اجتهادات بقي بن مخلد بتوسعه في علم الخلاف ، فأجابهم بقي بن مخلد بانها ليست من المذهب المالكي فحسب وانما هي موجودة ايضا في **المدونة** ، وطلب بقي بن مخلد احضار القسم الخاص بالنكاح من نسخته **للمدونة** واخبر الحاضرين من دون ان يطلع على نسخته بمكان المسألة المطروحة فيها ، وتم التأكد فعليا بوجودها كما ذكرها بقي بن مخلد وفي المكان الذي حدده ، وقد علق على ذلك بقوله: ((واعجب من هذا انها والله رزمة ما حللتها بعد ان ربطتها بالمشرق وهذا من حفظي القديم))[١].

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٥.

ثانيا : المناظرة

تزامنت نشأة المناظرة في مرحلة مترادفة مع نشوء علم الكلام وكانت اداته الرئيسية للنقاش ، ثم ظهرت فئة من العلماء لم تؤيد المناظرات الكلامية لما تولده من التعصبات وفتح باب النقاش في مسائل لا طائل منها ، ولكنهم وجدوها وسيلة ملائمة للنقاش في علم الفقه[١]. لاسيما في مسائل الخلاف بين المذاهب الفقهية[٢]. حتى عدها البعض ضرورة لازمة لعلم الفقه فبواسطتها يتم التوصل الى الكثير من الاحكام الفقهية[٣]. وتكون المناظرة في أصول الفقه[٤]. وهي الكتاب والسنة والاجتهاد[٥]. وهنا تبرز المناظرة أداة توفر أرضية ملائمة للفقهاء لاثبات قدراتهم الفقهية و فسح مجال الاجتهاد أمامهم.

ويُقصد بالاجتهاد اعتماد الفقيه على الكتاب والسنة واجماع الصحابة فقط ولا يقلد فيه احداً معينا بشخصه[٦]. مع الاخذ بالاعتبار ان مرحلة الاجتهاد يصل اليها قلة من الفقهاء ممن استطاع ان يلم بادوات الاجتهاد[٧]. لانه عليه ان يجمع خمسة علوم هي علوم القرآن الكريم وعلوم الحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة العربية وعلم القياس ومعرفة اجماع الصحابة واختلافهم[٨]. ومن هنا نرى ان التقليد هو عكس الاجتهاد ففيه يُتّبع رأي شخص معين لمجرد قوله به[٩]. ويجوز التقليد للشخص من العامة ممن لا يعرف طرق الاحكام الشرعية[١٠]. ومن هنا عدّت المناظرة دائما معاكسة للتقليد واكثر من عُرف من الفقهاء باهتمامه بالمناظرة وممارستها عُرِف ايضا بالمقابل بتركه للتقليد ، مثل قاسم بن محمد بن قاسم[١١] وحسن بن سعد بن ادريس (ت٣٣٢هـ /٩٤٣م)[١٢].

---

[١] محمد بن محمد الغزالي ، احياء علوم الدين (دمشق: مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، (بلا ، ت)): ٣٧/١.

[٢] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ١١٩/٢ ؛ الغزالي ، المصدر السابق: ٣٧/١.

[٣] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ١١٣/٢.

[٤] الغزالي ، المصدر السابق: ٣٨/١.

[٥] الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه: ٥٤/١.

[٦] محمد ابو زهرة ، ابن حزم ، ص٢٧٥.

[٧] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ٧١/٢.

[٨] المصدر نفسه: ٨٦/٢.

[٩] المصدر نفسه: ١٤٣/٢.

[١٠] الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه: ٦٨/٢.

[١١] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٩٨/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٤٦/٤.

[١٢] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٢٩/١.

ومع هذا فقد أُتّهِم فقهاء المالكية بالتقليد ، مما يثير سؤالا مهما وهو هل وُجِد في الاندلس والمغرب مناظرة في اصول الفقه ؟ . وقد اجاب ابن عبد البر عن ذلك بنفيه لوجودها، وعدّ فقهاء المالكية في الاندلس والمغرب ليس لهم أي اهتمام بعلم اصول الفقه ويقومون فقط بتقليد ائمة المالكية واعلامها بترديدهم لأرائهم ، ويقتصر دورهم على تحديد الجواب المناسب على المسألة المطروحة من ضمن كتب المالكية ، ولا يعرفون اصلا كيف تم التوصل الى ذلك الحكم الفقهي ويسلمون به تماما ، بحيث اذا حصلت مناظرة بين فقيه مالكي وفقيه يتبع مذهبا فقهيا اخر يعجز المالكي امامه في الجدال ويعلل تسليمه برأي امامه لمنزلة الامام مالك وفضله ، وقد عبر عن ذلك منذر بن سعيد البلوطي بابيات شعرية يقول فيها:

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا هكذا قال مالك

فإن عدت قالوا هكذا قال اشهب ... وقد كان لاتخفي عليه المسالك

فإن زدت قالوا قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك

فإن قلت قال الله ضجوا واكثروا ... وقالوا جميعا انت قرنٌ مماحك

وإن قلت قال الرسول فقولهم ... اتت مالكا في ترك ذلك المسالك[1]

وفي مرحلة لاحقة قدم ابن رشد الحفيد نفس الرأي وذلك بنفي وجود مناظرة في الاندلس والمغرب بعلم اصول الفقه[2].

ومع هذه الاراء فهذا لا ينفي قطعاً وجود المناظرة في اصول الفقه في الاندلس والمغرب. وربما بالغ ابن عبد البر وابن رشد في رايهما ذلك . فالمناظرة في اصول الفقه كانت موجودة وفي مجالسها مجالس ابي بكر عتيق بن اسد وابي محمد بن عاشر[3] وفي سبتة مجالس عبد الله بن محمد بن ابراهيم[4].

---

[1] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ٢١٠/٢.

[2] محمد بن احمد بن رشد ، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، تحقيق محمد عبد الواحد العسري (ط٢ ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩) ، ص٣٢-٣٣.

[3] ابن الابار ، التكملة: ٤٨٩/٢ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٩١/٦.

[4] ابن الابار ، المعجم ، ص٢١٤ ؛ القاضي عياض ، الغنية ، ص١٥٦.

وقد كان للعديد من فقهاء المالكية خبرة ودراية بالمناظرة ، فبعضهم ناظر في رحلته الى المشرق مثل قاسم بن محمد بن قاسم الذي ناظر محمد بن عبد الحكم[١] والمزني[٢] في مصر[٣] ، واحمد بن ملول (ت٢٦٢هـ / ٨٧٥م) الذي ناظر محمد بن عبد الحكم ايضاً[٤]. وبالرغم من ذلك هناك مداخلة لابد من توضيحها ، وهي انه منذ القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد شاع التقليد كثيرا بين الفقهاء بصورة عامة[٥]. بحيث اصبح ذلك في القرون التالية صفة ثابتة لغالبية الفقهاء من مختلف المذاهب الفقهية ، والقلة القليلة منهم من كان يُعد مجتهداً[٦]. وفيما يلي من تفاصيل الموضوع سيدلل على وجود المناظرة في الاندلس والمغرب.

أ. آلية المناظرة:

بدءاً يمكننا تقديم نبذة عن الية المناظرة والقواعد النظرية لعملها لا سيما ان هذا الموضوع لاقى اهتماما من فقهاء الاندلس والمغرب حيث كتبوا فيه . فقد كان لمحمد بن سحنون كتاب **اداب المتناظرين**[٧] والف ابن عبد البر **جامع بيان العلم وفضله**[٨]. ولابي الوليد الباجي كتاب **المنهاج في اصول الحجاج**[٩]. ولتكون المناظرة موضوعية وتحقق النتيجة المرجوة منها وهي اظهار الحق يجب ان يكون طرفيها متساويين او متقاربين في الدين والعقل

---

[١] من فقهاء الشافعية المصريين ، كان مفتي مصر في وقته توفي سنة (٢٦٨هـ / ٨٨١م). عبد الرحمن بن يونس ، تاريخ ابن يونس المصري ، جمع وتحقيق عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح (بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠): ٤٥١/١.

[٢] اسماعيل بن يحيى ، من فقهاء الشافعية المصريين عُدّ من لبرز اصحاب الامام الشافعي توفي سنة (٢٦٤هـ / ٨٧٧م). ابن يونس ، المصدر السابق: ٤٤/١.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٠٤ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٢١.

[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٣٥/٤ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٣٦.

[٥] علي بن سعيد بن حزم ، ملخص ابطال القياس والراي والاستحسان والتقليد والتحليل والتعليل ، تحقيق سعيد الأفغاني (بيروت: دار الفكر ، ١٩٦٩) ، ص٦.

[٦] محمد بن الحسن الحجوي ، الفكر السامي في تاريخ الفكر الاسلامي (تونس: مطبعة النهضة ، بلا ت): ٢/٣ ، ١٤٨.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٠٧/٥.

[٨] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ١/١-٢.

[٩] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٥/٨.

والمعرفة[١]. وعمود المناظرة الرئيسي هو طرح الاسئلة وتلقي الاجابة عنها ، بل ان هناك من اسماها علم المسألة والجواب بناء على ذلك[٢]. وعند بدء المناظرة يتفق الطرفان على اختيار احدهما لطرح الاسئلة أي تحديد من يكون السائل ومن يكون المسؤول[٣]. ولهذا فان صياغة الاسئلة وكيفية طرحها عملية مهمة جدا ، حيث يتحدد الجواب من صيغة السؤال ويُكتفى احيانا بكلمة نعم اولا اجابة على بعض الاسئلة ، واحيانا اخرى تقتصر المناظرة على سؤال واحد فقط[٤].

اما مضمون السؤال فيمكن تحديده باربعة نقاط رئيسية . الاولى توجيه سؤال مباشر وعام عن موضوع المناظرة كان يقول فيه السائل: ((ما تقول في كذا؟)) . والثانية السؤال عن دليل الطرف الثاني (المسؤول) بخصوص المسألة موضوع المناظرة فيحدده المسؤول باجابته . والثالثة السؤال عن وجه الدليل فيبينه المسؤول وذلك اذا كان الدليل غامضا ويحتاج الى توضيح . واخيرا يكون السؤال لغاية الاعتراض على المسؤول وابطال ما جاء به . فعليه ان يبين في جوابه بطلان اعتراض السائل[٥] ، وذلك بكثرة تقديم الادلة مما يعزز موقفه ويقويه[٦]. وخلال عملية السؤال والجواب على الطرفين الاختصار في الكلام وتجنب الاطالة والالتزام بالدور وعدم المقاطعة[٧]. ولا يتم الانتقال من مسألة الى اخرى قبل اتمام الاولى والانتهاء منها ، ولايتم ايضا تدخل طرف ثالث في المناظرة الا اذا سمح له بذلك اطرافها[٨].

وتنتهي المناظرة عند تلمس مؤشرات محددة . منها السكوت عن الاجابة او طرح الاسئلة . او ان يقدم الطرف الاول تعليلا ولا يجدي تعليله ولا يقنع الطرف الثاني ، واذا نقض كلام احد الطرفين بعضه البعض . او اذا ادى كلامه الى نتيجة غير مقبولة واقعيا ، وايضا اذا غير ادلته وانتقل من دليل الى اخر ، واخيرا اذا سُئل عن شيء فاجاب على غيره[٩].

---

[١] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم: ١٣٢/٢.

[٢] المقري ، نفح الطيب: ٤/٣.

[٣] علي بن حزم ، التقريب لحد المنطق والمدخل اليه ، تحقيق احسان عباس (بيروت: دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩) ، ص١٨٧.

[٤] المصدر نفسه ، ص١٨٧.

[٥] الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه: ٤٠/٢.

[٦] ابن حزم ، التقريب ، ص١٩٢.

[٧] المصدر نفسه ، ص١٨٦.

[٨] المصدر نفسه ، ص١٩٦.

[٩] الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه: ٥٧/٢.

ب. المناظرة للتدريب على الفقه

ويمكن تمييز نوع من المناظرات . وهي المناظرة التعليمية والغاية من التناظر فيها التدريب على الفتوى والحصول على المهارة في استنباط الاحكام الفقهية[١]. لهذا نرى انها تنحصر غالبا بالتناظر في كتب المالكية الرئيسية وفي مقدمتها **الموطأ** و**المدونة** و**المستخرجة** وذلك في الاندلس والمغرب ومن بين مجالس التناظر في **المدونة** مجالس الفقهاء:

١.مجلس البطروجي ، من قرطبة[٢].

٢.مجلس ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد من جيان[٣].

٣.مجلس ابي مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي[٤].

٤.مجلس ابي محمد ابن عبد الله (ت٥٢٦هـ/١١٣١م) من مرسية[٥].

٥.مجلس ابن العواد من غرناطة[٦].

٦.مجلس ابي القاسم اصبغ بن محمد بن المناصف[٧].

٧.مجلس محمد بن احمد بن خلف (ت٥٢٩هـ/١١٣٤م) من قرطبة[٨].

٨.مجلس محمد بن عبد الله بن محمد (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م) من مرسية[٩].

٩.مجلس ابي اسحاق ابراهيم بن احمد (ت٥١٣هـ/١١١٩م) من سبته[١٠].

١٠.مجلس ابي عبد الله محمد بن عيسى بن حسين من سبته[١١].

١١.مجلس عبد الله بن محمد بن ابراهيم (ت٥١٣هـ/١١١٩م)[١٢].

١٢.مجلس ابي عمر احمد بن عبد الملك بن المكوي من قرطبة[١٣].

---

[١] ابو الوليد الباجي ، "وصية القاضي ابي الوليد الباجي لولديه" ، تحقيق جودة عبد الرحمن هلال ، صحيفة المعهد المصري ، (١٩٥٥) ، ص٣٥.

[٢] ابن الابار ، التكملة: ٨٣٣/٢.

[٣] المصدر نفسه: ٤٤٣/١.

[٤] ابن خير ، المصدر السابق ، ص٢٤٠.

[٥] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٥٣.

[٦] ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص١٥٥.

[٧] ابن الابار ، المعجم ، ص١٣٢.

[٨] المصدر نفسه ، ص١١٩.

[٩] ابن الابار ، التكملة: ٤٤٧/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٠٧/٦.

[١٠] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٢٤.

[١١] المصدر نفسه ، ص٢٨ ، ٤١.

[١٢] ابن الابار ، المعجم ، ص٢١٤.

[١٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٩/٧.

١٣.مجلس عبد الله بن ابراهيم من القيروان[١].
١٤.مجلس ابي محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم (ت٥١٣هـ/١١١٩م) من سبته[٢].
١٥.مجلس محمد بن عبد الله ابو عبد الله الاموي من سبته[٣].
١٦.مجلس ابي محمد عبد الله بن ابي عبد الله بن عيسى[٤].

اما مجالس التناظر في **الموطأ** فمنها :

١. مجلس ابي عمر احمد بن عبد الملك بن المكوي في قرطبة[٥].
٢. مجلس ابي عبد الله محمد بن عيسى بن حسين في سبته[٦].
٣. مجلس عبد الله بن محمد بن ابراهيم في سبته[٧].

اما عن **المستخرجة** فقد ناظر بها ابي عمر احمد بن عبد الملك بن المكوي[٨].

وكما واضح كانت **المدونة** الركن الرئيسي في مجلس المناظرة والذي تمخض عنه تاليف كتب لشرح **المدونة** ، والتي اصبحت بالتالي من الكتب المعتمدة ايضا في مجلس المناظرة ، ومن ابرزها كتاب **التقريب في شرح المدونة واختصارها** تاليف الفقيه البلنسي ابو القاسم خلف البرالي (ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م)[٩]. بالاضافة الى الشروح والمختصرات الاخرى **للمدونة** مثل **المختصر** و**النوادر** و**الزيادات** لابن ابي زيد وكتاب **التهذيب** لسليمان بن خلف البراذعي[١٠].

وقد ناظر بعض الفقهاء في اكثر من كتاب من تلك مثل ابي عبد الله محمد بن عيسى ابن حسين الذي ناظر في المدونة والموطأ[١١]. وعبد الله بن محمد بن ابراهيم الذي ناظر ايضا

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨/ ١٦٩.
[٢] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٥٦.
[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٨/٨.
[٤] المصدر نفسه: ٢٠٨/٨.
[٥] المصدر نفسه: ١٢٩/٧.
[٦] القاضي عياض ، الغنية ، ص٢٨.
[٧] المصدر نفسه ، ص١٥٦ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص٢١٤.
[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٩/٧.
[٩] المصدر نفسه: ١٦٤/٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١١٣.
[١٠] الحسيسن ، المرجع السابق: ١٢٨/١-١٢٩.
[١١] القاضي عياض ، الغنية ، ص ٢٨.

في **المدونة** و**الموطأ** وغيرهما[١]. وكذلك ابو عمر احمد بن عبد الملك ابن المكوي الذي ناظر في **المدونة** و**الموطأ** و**المستخرجة**[٢].

ولا بد من توضيح انه يجب ان تكون كتب واصول الفقيه صاحب مجلس المناظرة المعتمدة في مجلسه موثقة السماع ومصححة على الشيوخ الذين اخذها عنهم والا لا يحق له المناظرة بها[٣]. ولهذا كان البعض يمسك كتابه عند المناظرة ويلقي المسائل منه مباشرة ، مثل ابي بكر محمد بن احمد اللؤلؤي من قرطبة وعندما ضعف بصره واصبح لا يستطيع القراءة بوضوح كلف محمد ابن زرب ان يمسك الكتاب عنه بالمناظرة ويلقي منه[٤]. بينما القى ابو جعفر محمد بن عبد الله المرسي (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م) من حفظه[٥] ، وذلك مع وجود اصله معه في المجلس[٦] ، وكذلك ابي عبد الله محمد بن عبد الله السبتي[٧]. بينما القى عبد الله بن ابراهيم بن جماح السبتي من حفظه فقط وقد عُرِفَ بذكائه الحاد وشدة حفظه[٨].

وعند محاولة رسم ملامح اولية لمجلس المناظرة ، نرى ان عدد الحاضرين فيه غير محدد واحيانا يحضره عدد كبير من الفقهاء والطلاب ، وله وقت معلوم يعرفه المهتمون بحضور المجلس ، فقد كان مجلس مناظرة ابي بكر احمد بن عبد الرحمن الخولاني في القيروان سنة (ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) ايام الاثنين والاربعاء والجمعة من كل اسبوع[٩]. وفي قرطبة كانت مجالس ابي عمر احمد بن عبد الملك يومي الاثنين والثلاثاء[١٠]. اما مكان عقدها فقد كان بعضها في المسجد مثل مجالس عبد الله بن احمد بن خلوف في جامع سبته[١١]. وكان مجلس ابي يوسف الزناتي في مسجد رحبه الباجي في اشبيلية[١٢].

---

[١] ابن الابار ، المعجم ، ص٢١٤.
[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٩/٧.
[٣] الونشريسي ، المصدر السابق: ٣٥٩/١٢.
[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١٢/٦ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٥٢.
[٥] ابن الابار ، التكملة: ٤٤٧/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٠٧/٦.
[٦] المصدر والمكان نفساهما.
[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٨/٨ ؛ ابن عياض ، المصدر السابق ، ص١٢٣.
[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٦٩/٨.
[٩] القاضي عياض ، الغنية ، ص١٥٦.
[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٩/٧.
[١١] ابن الابار ، المعجم ، ص٢٢٤.
[١٢] ابن الابار ، التكملة ، تحقيق بالنسية ، ص٣٩٠.

وعقد بعض الفقهاء مجالسهم في عدد من مساجد قرطبة ومنهم عبد الرحمن بن سعيد المرواني (ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م)[١] ، ومحمد بن سعيد العصفري (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)[٢]. بينما كانت مجالس فقهاء اخرين في منازلهم تبعا لظروفهم الخاصة مثل مجلس ابي عبد الله محمد بن احمد الجبلي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) في قرطبة[٣]. ومجلس ابي عيسى يحيى بن عبد الله (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) في قرطبة ايضا[٤].

وهناك تقاليد معينة اتبعها بعض الفقهاء عند بدء المناظرة فقد كان عبد الله بن احمد بن عثمان في قرطبة يبدأ المناظرة بذكر الله ﷻ والصلاة على سيدنا محمد ﷺ ويورد بعدها عددا من الاحاديث النبوية تصل الى ثلاثة ويذكر موعظة ثم يباشر بالمناظرة[٥]. بينما كان ابو عمر بن القطان عند بداية مناظرة كل قسم من اقسام المدونة يقدم له بذكر مقدمات ابن ابي زيد لاقسام كتابه **المختصر** في حين اهتم ابو جعفر ابن ابي رزق بتلك المقدمات ، وجاء بمنهج جديد في المناظرة بقيامه بذكر مقدمة شاملة لكل قسم جديد من **المدونة** يبدأ المناظرة به ، حيث يبين معنى اسم ذلك القسم ولفظه ويبين اصله في القرآن الكريم والسنة النبوية واختلاف العلماء بذلك ، وقد سار ابن رشد على نهج شيخه في مقدماته تلك الا انه اولى قسم الوضوء اهتماما اكثر[٦]. وبعد المقدمات يتم طرح المسائل على الحاضرين بسؤالهم عنها وتلقي الاجابة من احدهم ، واحيانا لا يقدم ذلك الجواب الصحيح فيدور السؤال عليهم واحداً بعد الاخر لمعرفة ما لديهم عنه[٧]. ولا يعني هذا ان يقتصر النقاش داخل المجلس على طرح الاسئلة والاجابة عنها ، فاحيانا تثار نقاشات فيه ويتم التعمق ببحث بعض المسائل بين الفقيه صاحب المجلس والموجودين لاختيار الجواب الامثل على المسألة ، فيتم مناقشة الخلاف في المسألة الواحدة ، وقد عُرِف ابو محمد عبد الله بن ابي عبد الله ببراعته في تتبع مسائل **المدونة** والفاظها واستخراج الخلاف في مسائلها في مجلس مناظرته[٨]. وكذلك ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد السبتي الذي عرف بحسن حجته ودقته وحرصه على توجيه الحاضرين[٩].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٤/٨.

[٢] المصدر نفسه: ٨/٧.

[٣] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٥/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٨٤/٥.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٩/٦.

[٥] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢٦٢/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٠٧/٦.

[٦] ابن رشد ، المقدمات: ٩/١-١٠.

[٧] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢٦٢/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٠٧/٦.

[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٠٨/٨.

[٩] المصدر نفسه: ٢٠٥/٨.

ويتطور النقاش احيانا داخل المجلس ويحصل اعتراض على بعض الاراء المطروحة، ففي احد مجالس ابي عمر احمد بن رشيق في المرية عارضه ابي محمد حجاج بن قاسم المأموني وذلك باستقصائه كلام ابن رشيق وخطأه فيه ، وحتى انه اساء ادبه مما حدا بوالد حجاج الى تقريع ابنه على موقفه ذلك بعد انتهاء المناظرة وانتشار خبر تطاول حجاج فيها على ابن رشيق[١]. اما ابو يوسف الزناتي فان معارضته وابداء رايه اثارت اعجاب الحاضرين ونالت استحسانهم[٢]. بينما نرى ان ابا هريرة عزيزا مفتي مالقه تعمد مخالفة اخطل بن رفدة الجذامي في مجلس مناظرته ليثير غضبه ، حيث كان من احسن الناس خلقا واوسعهم صدرا في المناظرة ، فاراد اثارة غضبه ليرى ردة فعله تجاه ذلك ، ومع هذا حافظ اخطل بن رفدة على هدوئه ولم يغضب[٣].

اما في مجلس مناظرة محمد بن عمر بن لبابه (ت٣١٤هـ / ٩٢٧م) فقد كان اعتراض ابن حردم صحيحا ، حيث طرح محمد بن عمر في المجلس مسألة في حجر الاب على ابنه ، باعتبار ان الابن في ولاية ابيه وان كبر حتى يقرر الاب ان يطلقه من ولايته وذكر ان ذلك مذهب ابن القاسم . فرد عليه ابن حردم الذي لم يؤيد ذلك بقوله: ﴿ فأنت الساعة مولى عليك لان اباك لم يطلقك من ولايته ﴾ فأفحمه هذا الرد وكان السبب في رجوعه عن رأيه الاول[٤]. اما عند انتهاء مجلس المناظرة فقد ختمه بعض الفقهاء بإلقاء درس وعظي ليستفيد منه عامة الحاضرين ومنهم جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م) في طليطلة[٥].

ولاهمية المناظرة وفائدتها في صقل خبرة الفقيه في دراسة **المدونة** ومسائل الفقه المالكي ، نرى ان الغالبية كرروا مناظرتهم اكثر من مرة وعلى اكثر من فقيه. فقد ناظر عبد الحق بن احمد بن عبد الرحمن في قرطبة عند ابي جعفر بن رزق وابي الحسن بن حمدين[٦]. وناظر احمد بن محمد بن عمر التميمي عند ابي الوليد رشد وابن العواد[٧]. وناظر احمد بن مسعود بن ابراهيم عند ابي بكر عتيق بن اسد وابي عبد الله بن مشاور[٨]. بينما ناظر احمد بن

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٤/٨.

[٢] ابن الابار ، التكملة ، تحقيق بالنسية ، ص٣٩٠.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٤٧.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٦/٥.

[٥] ابن بشكوال ، المصدر السابق: ١٣٢/١

[٦] المصدر نفسه: ٣٨٦/٢.

[٧] المصدر نفسه: ٨٢/١.

[٨] ابن الابار ، التكملة: ٦٦/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٥٤٠/٢/١.

محمد بن عيسى بن القطان عند ابي محمد بن الشقاق وابي محمد بن دحون[١]. وناظر عبد الرحمن بن عيسى بن محمد عند احمد بن خالد وابن ايمن وقاسم بن اصبغ وعثمان بن عبد الله[٢]. وناظر محمد بن عبد العزيز بن محمد عند ابي بكر بن اسد وابي محمد عاشر بن محمد[٣]. وفي سبته ناظر القاضي عياض عند محمد بن عيسى بن حسين[٤] وابراهيم بن احمد البصري[٥] وعبد الله بن محمد بن عبد الله[٦].

جـ . المناظرة لاثبات الرأي

يبدو ان الفقهاء لمسوا اهمية وجود مجالس متواصلة خاصة بهم للنقاش والتحاور العلمي وربما حتى لاتخاذ مواقف واراء تجاه القضايا المهمة . فقد عُقِدَ في القيروان بعض فقهائها مجالس خاصة بهم في اوقات منتظمة واماكن محددة حضرها كبار فقهاء وقتهم . منها المجلس الذي عُقِد في جامع القيروان[٧]. كل اسبوع في يوم الجمعة وشارك فيه حماس بن مروان وابن ابي فيرون احمد بن مطروح (ت٣٦٠هـ/٩٧٦م) وسرور وابن اخت جامع ولقمان بن يوسف (ت٣١٩هـ/٩٣١م) ومحمد بن بسطام[٨]. وقد حضره يحيى بن عمر عندما دخل القيروان بعد عودته من رحلته الى المشرق ، دعاه لقمان بن يوسف لحضور ذلك المجلس ، فحضره يحيى بن عمر ورحب به الفقهاء المشاركون فيه ، ودار النقاش في ذلك المجلس عن تفسيرات محمد بن عبدوس التي الفها في الشفعة والقسم واشباه ذلك ، وقد اقترح ذلك الموضوع محمد بن بسطام وكان هو من يطرح الاسئلة عن تلك التفسيرات ويجيب عليها حماس بن مروان[٩]. الذي عُد من افقه اصحاب ابن عبدوس[١٠]. وشارك باقي الفقهاء بحسب ما تهيأ لهم ، اما يحيى بن عمر فلم يعلق او يشارك في النقاش الدائر ولكن بعد ان انتهى

---

[١] ابن بشكوال ، الصلة: ٦١/١.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٧/٧-٢٨.

[٣] ابن الابار ، التكملة: ٤٨/٢ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٩١/٦.

[٤] القاضي عياض ، الغنية ، ص٤١.

[٥] المصدر نفسه ، ص٢٤.

[٦] المصدر نفسه ، ص١٥٣.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١١١/٥.

[٨] المصدر نفسه: ٤٠٣/٤ ، ٦٧/٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٠٩.

[٩] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٧/٥ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١٠٩.

[١٠] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٧/٥.

النقاش اشاد بالمجلس وما دار فيه وببراعة الفقهاء المشاركين فيه حتى انه فضلهم على فقهــاء بغداد بقوله ((ما تركت ببغداد من يتكلم بالفقه بمثل هذا الكلام))[١].

ومنها ايضا مجالس عبد الله بن طالب فقد كان له مجلس دائم للمناظرة في الفقــه فــي بيته ، حرص فيه على ان يجمع بين المختلفين في ارائهم في مسائل معينة ويدعوهم للمنــاظرة بها ، ويغري بينهم لتزداد الفائدة بحيث يطول المجلس بهم ويبيتون لديه احيانا[٢]. وحضر تلك المجالس عدد من اعلام القيروان منهم الشاعر ابراهيم الفزاري[٣]. وابو عبد الله بن محمد بــن محبوب الزناتي (ت٣٠٧هــ/٩١٩م) الذي شارك في العديد من المناظرات التي عقدها عبــد الله بن طالب[٤]. منهم ايضا عبد الرحمن بن محمد بن التوزنة ومن لطف عبد الله بــن طالــب وحرصه على عدم اغاضة ابن التوزنة او احراجه طلب من الفقهاء الذين يحــضرون مجلــس مناظرته ان لا يطرح احدهم مسألة من مسائل اللعان[٥] ، لان لابن التوزنة ابنة رفع زوجهــا ضدها قضية في مجلس قضاء عبد الله بن طالب وطلب لعانها وافترقا في النهاية[٦].

كما كان ابو محمد عبد الله بن محمد العتمي (ت٣١٠هــ/٩٢٢م) يقضي اغلب الليــل في المناظرة مع ربيع القطان ومحمد بن مسروق النجار (ت٣٢٨هــ/٩٣٩م) وابي بكر القلال وابي محمد عبد الله بن عامر الحداد وعادة ما اصيب اولئك الفقهاء بالتعب الذي يلحقه النعاس، مما يضطرهم للنوم بينما يبقى ابو محمد العتمي مستيقظاً يقضي وقته بالمطالعــة والــدرس[٧]. ومن المجالس الاخرى في القيروان مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد الــذي حــضره العديد من الفقهاء للتناظر[٨].

اما في الاندلس فقد كان للفقيه ابي عمر احمد بن عبد الملك بن المكوي في قرطبة في يوم الاثنين من كل اسبوع مجلس مناظرة في كتاب **الموطأ** وغيره من كتب الحديث وفي يــوم الثلاثاء مجلس مناظرة في **المدونة** و**المستخرجة** وغيرهما ، وممن حضر تلك المجالس ابــن الشقاق وابن دحون وغيرهم من فقهاء وقتهم ، وتطرح اثناء المجلس مسألة للنقــاش ويتــرك

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦٧/٥.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٠٩/٤.

[٣] المصدر نفسه: ٣١٣/٤.

[٤] المصدر نفسه: ١٢٩/٥.

[٥] اللعان: هو اتهام الرجل زوجته بالزنا ، ابن منظور ، المصدر السابق: ٣٧٤/٣ ؛ علي بن محمد الجرجاني ، التعريفات (تونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١) ، ص١٠٢.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢١/٤.

[٧] المصدر نفسه: ١٣٢/٥

[٨] المصدر نفسه: ٧٨/٨.

المجال للحاضرين لقول رايهم فيها ، بمحاولة كل واحد فيهم بايراد كل شاذة تتعلق بالموضوع مدار المجلس ، ويكون المكوي اخر من يتكلم وذلك بعد ان يسمع ما لدى الحاضرين ، ثم يقوم بالرد على كل واحد منهم بمناقشتهم في ارائهم وذكر مصادرها بالتفصيل ثم يبين رايه الذي توصل اليه[١].

واذا كانت الغاية الرئيسية من تلك المجالس الدرس والاستفادة العلمية فقد شهدت القيروان مجالس اخرى يمكن اعتبارها انعكاسا لظروف سياسية مرت بها ، فخلال الحكم الفاطمي تعرض فقهاء المالكية للمضايقة من قبل الفاطميين ودعوتهم لاعتناق المذهب الفاطمي[٢]. مما تطلب من فقهاء المالكية اتخاذ مواقف دفاعية لتأكيد تمسكهم بالمذهب المالكي ولايجاد الوسيلة العلمية المناسبة لمقاومة الفاطميين. وقد شهدت القيروان مجلس مناظرة بين فقهاء المالكية عقد لتلك الغاية في جامع القيروان برئاسة ربيع القطان[٣] ، وممن حضره من الفقهاء ابو سعيد خلف بن عمر وابو الازهر بن معتب ابو محمد بن أبي زيد وعبد الخالق بن شلبون وابن التبان وابو الحسن القابسي[٤] ومحمد بن احمد السدري وابن اخي هشام وعمر بن محمد العسال (ت٣٤٣ هـ/٩٥٤م) وعبد الله بن عامر بن الحداد وابن ابي الليث مولى ابن اللباد وعبد الله بن الاحدري[٥].

وتمت بين تونس والقيروان مناظرة بين البهلول بن راشد وعلي بن زياد التونسي حول رواتب الجنود ، هل هي حلال ام حرام ؟ ، فحرمها البهلول بن راشد بينما حللها علي بن زياد ، باعتبارها حق لهم من بيت المال حتى وان أُشتُرِطَ عليهم ان يفعلوا امورا محرمة ، فرواتبهم حلال والشرط المفروض عليهم باطل[٦]. ويبدو ان هذه المناظرة نشأت كرد فعل على بعض الاعمال التي قام بها الجند تنفيذاً لأوامر صادرة لهم ولم يرض عنها الفقهاء .

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٩/٧.

[٢] ابن الدباغ ، المصدر السابق: ١٩٧/٢.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٧/٥ ، ٣١٠.

[٤] المصدر نفسه: ٢١١/٦ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١١١.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٩٧/٥.

[٦] ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٧٥/١. ويذكر ان رجلا عند نهب تونس طاله ذلك النهب فذهب الى السوق ليشتري ثوبا لامرأته ، فوجد جنديا يعرض واحد فاشتراه ظنا منه انه ثوب زوجته فاخذ الجندي الثمن ووضعه مع بقية نقوده وبعدها ادرك الرجل ان الثوب ليس لامرأته فاعاده للجندي وارجع نقوده ، فبقي في حيرة من امره لاختلاط نقوده بنقود الجندي وان تلك التي اعادها له لم تكن هي ذات النقود التي دفعها له فسأل عن ذلك عدد من فقهاء القيروان فأفتوه بان يتصدق بها ما دام لم يتحقق منها. القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٠٢/٥.

لاسيما ان نزعة الزهد والتعبد غلبت على عدد من فقهاء القيروان في ذلــك الوقــت ومــنهم البهلول بن راشد ، الذي كان يتحقق من اصل كل شيء ينفقه حلال هو ام حرام[١].

اما المناظرة الاتية فقد نشأت بعد احتدام النقاش بين فقهاء القيروان حول مسألة علمية واختلافهم فيها وهي مسألة الايمان[٢]. وكان الخلاف بين ابي محمد عبد الله بن اســحاق بــن التبان وابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القابسي والسبائي وبسبب ذلك تم الاتفاق على عقــد مناظرة لبحث ذلك الموضوع ، وكانت البداية في المناظرة لابن التبان الذي القى ماعنده ومــع هذا ابى الفقهاء المناظرون الا مخالفته ، وقد اخبرهم انه درس الكتاب الذي اخذ منه المــسألة التي القاها عليهم الف مرة ومع هذا اصروا على رايهم فأخذهم الــى داره واخــرج الكتــاب المقصود وأراهم المسألة فيه ، وتمنى بعد ذلك ان لا يدخل في مناظرة معهم[٣].

وهناك بعض المناظرات طُرِحَت فيها مسائل واراء لفقهاء مالكيين ، وكــان اطــراف المناظرة من طلابهم السابقين وممن عدوا من اصحابهم ، فحاولوا في تلك المنــاظرات نــصر شيوخهم السابقين. من ذلك مناظرة بين حماس بن مروان وموسى القطان عن مسألة تكلم فيها ابن عبدوس وابن سحنون . وكان حماس بن مروان من ابرز اصحاب ابن عبدوس[٤]. بينمــا عُرِف موسى القطان انه من اصحاب ابن سحنون[٥]. وفي المناظرة التزم كــل واحــد منهمــا جانب شيخه وأيَّد رأيه ، فكان حماس يرى ان ابن عبدوس افقه مــن ابــن ســحنون ورأيــه الاصوب وكذا موسى القطان بالنسبة لرأي ابن سحنون ، وكان موضوع المناظرة عن مــسألة من مسائل البيع والشراء ، واثناء مناظرتهما حضر ابو الغصن نفيس الغرابيلي ، فطلب منــه حماس ان يحكم بينهما ويحدد الراي الاصوب[٦]. ويبدو ان حماس بن مروان طلب ذلك منــه لاعجاب حماس به وعلاقته القوية معه ، كما ان نفيس الغرابيلي كان من طلاب ابن ســحنون وابن عبدوس غير انه التزم ابن عبدوس اكثر وعُدَّ من ابرز اصحابه[٧]. وربما لهذا اعتمد في حكمه في المناظرة الرأي الذي قاله حماس بن مروان والذي هو اساسا راي ابن عبدوس[٨].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣/٨٧-٨٨ ، ٩١.

[٢] عالجت هذه المسالة موضوع ايمان الشخص في نفسه اهو معدود مؤمناً عند الله ام لا وسيتم تناولهــا فــي الفصل الخامس.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٦/٢٥٠.

[٤] المصدر نفسه: ٥/٦٧.

[٥] المصدر نفسه: ٥/٩٠.

[٦] المصدر نفسه: ٥/١١٦.

[٧] المصدر نفسه: ٥/١١٤-١١٥.

[٨] المصدر نفسه: ٥/١١٦.

وفي المناظرة الاتية نرى انها تطورت وتدخل فيها اكثر من طرف . فقد نـــاظر ابـــو محمد الاصيلي في القيروان ابن ابي زيد فـــي مـــسألة معينـــة . وربمـــا كـــان ذلـــك ســـنة (٣٥١هــ/٩٦٢م) في طريق رحلته الى المشرق حيث حضر فيها مجالس ابن ابي زيد[١]. وقد تطور النقاش بينهما الى الحد الذي خطأ فيه الاصيلي ابن ابي زيد واسرف في ذلـــك[٢]. وقـــد عُرِف عن طبع الاصيلي انه عصبي المزاج ووُصِفَ انه فيه حرج وزعارة وغير كـــيس فـــي احيان كثيرة[٣]. والذي حصل ان البراذعي الذي كان حاضراً بادر واجـــاب علـــى الاصـــيلي وناظره بنفس اسلوبه ، لاسيما وانه عُرِفَ ايضا بِعجرَفَتِه ، مما جعل الاصيلي يترك المنـــاظرة بل وانه قاطع مجلس ابن ابي زيد ، مما حدا بابن ابي زيد لاحقا بانتقاد البراذعي على حدتـــه في المناظرة وقال له: « لقد حرمتنا فوائد الشيخ باسرافك في الرد عليه »[٤]. ويبـــدو ان ابـــن ابي زيد لم يحفل باسلوب الاصيلي مقابل الفائدة التي كان يحصل عليها من مناظرته ومناقشته لا سيما انه اخذ عنه في اثناء اجتماعه به[٥] ، كما انه نصح طلابه بالاخذ عنه[٦].

د . المناظرة مع فقهاء المذاهب الاخرى

- مع الحنفية

دخل فقهاء المالكية في المغرب خاصة في مناظرات مع فقهاء الحنفيـــة . فقـــد كـــان المذهب الحنفي المنافس الرئيسي للمالكية في المغرب في القرنين (الثالث والرابـــع للهجـــرة / التاسع والعاشر للميلاد)[٧]. خاصة وانه مذهب دولة الاغالبة الرسمي[٨]. ومـــن جـــراء تلـــك المنافسة حصلت مناظرات بين عدد من فقهاء المذهبين . وبعض تلك المناظرات تم باشـــراف امراء الاغالبة منها المناظرة التي شارك فيها عبد الله بن ابي حسان ، فقد زار عبد الله بن ابي

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٣٦/٧.
[٢] المصدر نفسه: ١٤٣/٧.
[٣] المصدر نفسه: ١٤٢/٧.
[٤] المصدر نفسه: ١٤٣/٧.
[٥] المصدر نفسه: ١٣٦/٧.
[٦] المصدر نفسه: ١٤٠/٧.
[٧] هيثم بن سليمان القيسي ، ادب القاضي والقضاء ، تحقيق فرحات الدشراوي (تـــونس: الـــشركة التونـــسية للتوزيع ، (بلا ، ت)) ، ص٨-٩.
[٨] عبد الحميد ، المرجع السابق: ٤١٤/٢.

حسان الامير زيادة الله بن الاغلب فوجد عنده الفقيه الحنفي ابا محزر محمد بــن عبــد الله[١] والمالكي اسد بن الفرات يتناظران في موضوع تحريم النبيذ ، يحلله ابو محرز وابن الفــرات يحرمه[٢] وعندما دخل عبد الله ابن ابي حسان طلب منه الامير زيادة الله ان يقدم رايه ايــضا ويشارك في المناظرة ، فقدم رايه وادلته في تحريم النبيذ[٣]. وفي مجلس مناظرة اخــر عقــد ايضا باشراف الامير زيادة الله تناظر الجعفري والعنبري في موضوع خلق القــرآن العنبــري يقول بخلقه والجعفري يرفضه ، وعندما انضم ابن ابي حسان الى المجلس طلــب الجعفــري مساعدته ، فتولى عبد الله ابن ابي حسان مناظرة العنبري ، وكانت كفة ابن ابي حــسان هــي الارجح في المناظرة ولذلك اشار العنبري الى تأييد الامير زيادة الله لموضوع خلــق القــران وقال لعبد الله بن ابي حسان وللجعفري بان الامير بجانبه[٤].

ولابي العباس عبد الله بن طالب مناظرة مع الفقيه الحنفي ابن عبدون . ويمكن اعتبار تلك المناظرة مجلس تحقيق عُقِدَ لابي العباس بعد عزله من القــضاء لمراجعتــه فــي بعــض الاحكام التي قضى بها . وذلك في عام (٢٧٥هــ/٨٨٨م)[٥]. وقد عزل عبد الله بــن طالــب لعدم رضا الامير ابراهيم بن الاغلب عنه حيث انتقد ابن طالب بعض تصرفات الاميــر علنــا وامام الناس ، فاراد الامير الحد من نفوذه وتاثيره على الناس فعزله وولى القضاء ابن عبدون العدو اللدود للمالكية وامره ، ان يتتبع ابن طالب في اقضيته ويناظره بهــا ليــشهِّر بــه امــام الناس[٦]. وقد طلب من العديد من الفقهاء حضور تلك المناظرة منهم حمديس القطان وســعيد بن الحداد وسهل بن عبد الله القبرياني وعبد الجبار بن خالد ويحيى بن عمر وقاسم بــن ابــي المنهال وغيرهم من فقهاء المالكية والحنفية كما حضرها ايضا الامير ابراهيم بن الاغلب[٧].

وقد تمت تلك المناظرة خلال اسبوعين في يوم جمعة من كل اسبوع ، ففي الاســبوع الاول شارك بعض الفقهاء الحاضرين ابن عبدون مناظرة ابن طالــب وســألوه عــن بعــض الاحكام وحجته فيها ، ولكن لم يستطع ابن طالب ان يثبت حججه في تلك المناظرة مما جعلــه الطرف الاضعف في المناظرة ، وقد علل سعيد بن الحداد ذلك لصعوبة الموقف الذي وضــع

---

[١] من فقهاء الحنفية بالقيروان ولاه زيادة الله بن الاغلب قضاءها مشاركة مع اسد بن الفرات. ابو العــرب ، المصدر السابق ، ص١٦٦-١٦٧.

[٢] انظر ص من الفصل السابق.

[٣] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٧٢ ؛ المالكي ، المصدر السابق: ٢٨٨/١.

[٤] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٧٢.

[٥] ابن الدباغ ، المصدر السابق: ١٦٢/٢.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٥/٤.

[٧] المصدر نفسه: ٣٢٨/٤.

فيه ابن طالب وتعاون عدد من الحاضرين للايقاع به[١] ، لا سيما وان ابـن طالـب اشـتهر بقدرته على المناظرة وقوة حجته فيها[٢].

وانتهت المناظرة على ذلك مما شجع الامير ابراهيم بن الاغلب الى متابعة المنـاظرة في يوم اخر إمعانا في التقليل من شأن ابن طالب امام الحاضرين . ولم يرض سعيد بن الحداد عن الذي حصل وقرر مساعدة ابن طالب ، وكان لمساعدته التاثير الحاسـم علـى مجريـات المناظرة فقد قلبت نتيجتها لصالح ابن طالب في مرحلتها الثانية ، فقد كتب سعيد بـن الحـداد اجوبة الاسئلة التي وجهت الى ابن طالب وعجز عن الاجابة عليها في اوراق وارسلها بصورة سرية الى ابن طالب في سجنه مع ابنه محمد ، وطلب منه ان يعيد الاوراق بعد ان يقرأها ابن طالب ، فقرأ ابن طالب ما مكتوب وفهمه وحفظه واعاد الاوراق الى محمد بن سـعيد الـذي اعادها الى ابيه ، وعندما عقدت المناظرة في الجمعة التالية تولى هذه المرة ابن عبدون وحـده مناظرة ابن طالب وكان هذه المرة واثقا من نفسه غير هياب للموقـف ، وبـدأ ابـن عبـدون المناظرة وسأله عدة اسئلة عن الوصايا وعن تقديم الصدقة للهاشميين وغيره وغيرها ، واجاب ابن طالب عن جميعها بحجج مقنعة مما دعا الى انهاء المناظرة لصالحه ، فـادى ذلـك الـى استياء الامير ابراهيم بن الاغلب وغضب على ابن عبدون حتى انـه قـال: ((رجونـا بـابن عبدون ان يفضح ابن طالب ففضحه ابن طالب))[٣].

كما ناظر ابن عبدون القاضي عبد الله بن محمد بن البناء وعلى اثر عزله من القضاء ايضاً ، اذ كان ابن البناء قاضيا على مدينة قسطيلية ، وقد حصلت له مشاكل مع اهل المدينـة فسعوا به عند الامير ابراهيم بن الاغلب حتى عزله واحضره لديه ليجادله في احكامه القضائية ، فكلف ابن عبدون بمناظرته وقد ناظره بحضور الامير ابراهيم ولكن تَفَوَّقَ ابن البنـاء علـى ابن عبدون واثبت صحة احكامه وبطلان ما اتُّهِم به[٤].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٥/٤-٣٢٦.

[٢] ابن الدباغ ، المصدر السابق: ١٥٩/٢.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٦/٤-٣٢٨. وانظر عن سيرة ابن طالب في قـضائه وعدلـه فيـه وحرصه على تحري الحق. القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢٣/٤ ؛ ابن الدباغ ، المصدر الـسابق: ١٦٠/٢.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٨/٥.

- مع الفاطميين:

على اثر مضايقة الفاطميين لفقهاء المالكية ، برزت منهم فئة نصرت المذهب المالكي بمناظرة علماء الفاطميين ، حيث اتبع الفاطميون المناظرة كوسيلة لاقناع الناس بتغيير مذهبهم والانضمام اليهم[١]. ومن مناظراتهم في القيروان ، المناظرات التي تمت مع ابي عثمان سعيد ابن الحداد ، الذي ناظر ابرز علماء الفاطميين مع ان البعض نصحه بالتقية بتجنب المناظرة الا انه اصر عليها نصرا لمذهبه ، ولم يخف من هيبة السلطان او بطش الفاطميين بل كان رابط الجأش في المناظرة واثقا من قوة حجته وقدرته[٢].

وقد ناظر سعيد بن الحداد الداعية الفاطمي ابا عبد الله الحسين بن احمد[٣]. حيث دعاه للحضور الى قصره فذهب اليه سعيد بن الحداد ووجده بانتظاره ومعه وجوه اصحابه الى جانب عدد من فقهاء المالكية ، وقد بدأ ابو عبد الله المناظرة وكان هو السائل وسأل اولا ابا عبد الله ابراهيم بن يونس بن الخشاب بوصفه قاضيا بأي شيء كان يقضي؟ فاخبره بالكتاب والسنة ، فحاول ابو عبد الله مناظرته بمعنى السنة ومفهومها وقد عجز ابن الخشاب عن مجاراته ، لذلك وجد سعيد بن الحداد ضرورة مشاركته في المناظرة فاستأذن من ابي عبد الله للمشاركة اذ كانت المناظرة غير مقتصرة على ابن الخشاب فأذن له ابو عبد الله بالمشاركة ، فأجاب سعيد بن الحداد على سؤال ابي عبد الله عن السنة واستمرت المناظرة بينهما عنها ، وبعد ذلك وجه ابو عبد الله سؤالاً الى موسى القطان وكان احد الحاضرين وسأله عن حد الخمر في القرآن الكريم فاجابه عن ذلك وانتقل ابو عبد الله الى طرح مسألة اخرى تولى سعيد بن الحداد ايضا الاجابة عنها ، وبعد مماطلة ابي عبد الله ما كان من سعيد بن الحداد الا ان اخبره ان الحق بيّن وانه يحاول اكراههم على الدخول في مذهبه وطلب منه ان لا يجبرهم على ذلك فانتهت المناظرة بينهما مع معارضة اصحاب ابي عبد الله الحاضرين وانزعاجهم من سعيد بن الحداد[٤].

كما ناظر سعيد بن الحداد قاضي الفاطميين في القيروان عبد الله بن عمر المروذي ، حيث ارسل المروذي الى عدد من فقهاء القيروان مالكية وحنفية وطلب منهم اجراء مناظرة

---

[١] ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٩٨/٢.

[٢] الخشني ، طبقات علماء افريقية ، ص١٩٩.

[٣] ابو عبد الله الحسين بن احمد من اهم دعاة الفاطميين في المغرب ، قيل انه من اهل الكوفة ، اخذ اسرار الدعوة الفاطمية عن ابن حوشب الذي ارسله الى المغرب فدخله سنة (٢٨٠هـ /٨٩٣م) وهو الذي مهد للفاطميين الدخول فيه. ابو عبد الله محمد بن ابي دينار ، المؤنس في اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام (تونس: المكتبة العتيقة ، ١٩٦٧) ، ص٥٤.

[٤] المالكي ، المصدر السابق: ٧٦/٢-٨٦.

معه موضوعها قيام رمضان ، فاخبره سعيد بن الحداد بان نتيجة هذه المناظرة معروفة مسبقا وطلب منه عدم اجرائها فرفض المروذي فناظره سعيد بن الحداد وتغلب عليه ، وفيها رفض المروذي قيام رمضان واعتبره بدعة[١].

- مع الظاهرية

خاض فقهاء المالكية في الاندلس مناظرات عدة مع محمد بن سعيد بن حزم ، الذي كان ظاهري المذهب[٢]. ودخل في خصومة شديدة مع فقهاء المالكية في الاندلس ، حيث اتهمهم بالتقليد والجمود[٣]. وكان الجدال بينهما محتدما وقد علله بعض الباحثين لقوة حجة ابن حزم امام فقهاء المالكية ، وبالمقابل عجزوا عن مجاراته بتقديم حجج قوية في جدالهم معه ، بالاضافة الى اسلوبه اللاذع والعنيف في الرد عليهم مع تشدده في الدفاع عن ارائه والتمسك بها[٤]. وقد عُدَّ ابن حزم المناظرة وسيلة رئيسية من وسائل جداله مع المالكية بل دعاهم صراحة لمناظرته حيث خاطبهم بذلك في احد مؤلفاته بقوله: ((... فمن استطاع انكارا فليبرز صفحته وليناظر مناظرة العلماء فمن عجز عن ذلك فليسأل سؤال المتعلمين او ليسكت سكوت اهل الجهل الخبير بجهلهم))[٥].

وقد اشار ابن حزم في احد مؤلفاته الى مناظرة له مع فقيه مالكي ، وهي مناظرته للفقيه المالكي الليث بن حريش العبدي (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) الذي كان من ابرز شيوخ الفتوى في قرطبة[٦]. وقد عقدت تلك المناظرة في مجلس القاضي عبد الرحمن بن احمد بن بشر وحضرها عدد كبير من فقهاء المالكية وتناظرا بخصوص تعامل الفقيه بالحديث النبوي الشريف ، وقد قدم مثالا عن ذلك الامام مالك بحيث افحم الليث بن حريش ولم يستطع ان

---

[١] ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٣٠٠/٢-٣٠٢. وقد اصدر الفاطميون في المغرب ما يمنعون به الناس من قيام رمضان. ابن عذارى ، المصدر السابق: ١٢٧/١ ، ١٥١.

[٢] المذهب الظاهري هو مذهب ابي سليمان داؤد بن علي والذي كان ياخذ بظواهر النصوص وينفي القياس في الاحكام. محمد ابو زهرة ، ابن حزم (القاهرة: مطبعة مخيمر ، ١٩٥٤) ، ص٢٦٣.

[٣] ابن حزم ، الرد على ابن النغريلة ، ص١٠٨ ؛ حسين ، المرجع السابق ، ص٦٠.

[٤] ابو زهرة ، ابن حزم ، ص٨ ؛ زكريا ابراهيم ، ابن حزم الاندلسي (القاهرة: الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦) ، ص١٤٨.

[٥] علي بن سعيد بن حزم ، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل اخرى ، تحقيق احسان عباس (القاهرة: مكتبة دار العروبة ، ١٩٦٠) ، ص١٠٨.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٢/٨.

يجيب امامه بشيء لا هو ولا احد من الحاضرين فقد قابلوا كلام ابن حزم بالصمت ومن تكلــم منهم ايد ابن حزم في مناظرته[١].

ولكن مناظرات ابن حزم الاشهر والاكثر تاثيرا تلك التي تمت في جزيــرة ميورقــة . فقد كان ابن حزم دائم التنقل بين عدد من مدن الاندلس ومنها ميورقة[٢] ، وفيها انتشر ذكــره كثيرا فحاول نشر مذهبه الظاهري فيها وساعده على ذلك واعانه عليه انه وجــد لــه اتباعــا وتلاميذاً مخلصين[٣]. كما انه كسب تاييد حاكم ميورقة ابي العباس احمد بن رشــيق[٤]. ومــع ذلك فقد ظهر بين فقهاء ميورقة من تصدى لابن حزم وحاول الحد من نفوذه فيها ، فقد ناظره ابو الوليد بن المارية ودارت مناظرتهما حول اتِّبــاع الامــام مالــك[٥]. وذلــك بعــد ســنة (٤٣٠هــ/١٠٣٨م) في مجلس ابي العباس احمد بن رشيق وتفوق فيها ابن حزم علــى ابــي الوليد ، ويبدو ان حدة الكلام بينهما كانت قوية وبعبارات لاذعة بحيث قام على اثرها احمد بن رشيق بسجن ابي الوليد بن المارية لعدة ايام ، ثم افرج عنه وتوجه بعــد ذلــك مباشــرة لاداء فريضة الحج[٦].

وبوجود الظروف الملائمة لابن حزم والمساعدة له بقي في ميورقة ينشر فقهه ويبــدو ان فقهائها عجزوا بعد ذلك عن الحد من نفوذه . ولهذا بعد ان عاد ابو الوليد سليمان بن خلــف الباجي من رحلته الى المشرق وجدوه الشخص المناسب لمواجهة ابن حزم . فقــد بــرع ابــو الوليد الباجي في المناظرة وتدرب عليها كثيرا في المشرق[٧]. وقد ارسل اليه من ميورقة ابــو عبد الله محمد بن سعيد وطلب منه الحضور اليها لمواجهــة ابــن حــزم[٨]. ودارت بينهمــا مناظرات عدة ، في احداها في نهايتها اراد الباجي ان يفخر على ابن حزم بمعاناته بطلبه للعلم حيث قال له: ((تعذرني فان اكثر مطالعتي كانت على سُرُج الحراس قال ابن حزم: وتعــذرني ايضا فان اكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة ، اراد ان الغنى اضيع لطلب العلــم من الفقر))[٩]. وكانت تلك المناظرات في سنة (٤٤٠هــ/١٠٤٨م) السنة التي دخل فيهــا ابــو

---

[١] ابن حزم ، الاحكام: ٢٣٥/٢.

[٢] ابو زهرة ، ابن حزم ، ص٤٧ ؛ ابراهيم ، المرجع السابق ، ص٢٩.

[٣] المقري ، نفح الطيب: ٢٠٢/٣.

[٤] ابن الابار ، التكملة ، تحقيق زيدان: ٧١٨/٢.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٨/٨.

[٦] ابن الابار ، التكملة ، تحقيق زيدان: ٧١٨/٢.

[٧] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٢٢/٨.

[٨] ابن الابار ، التكملة: ٣٩١/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٢١٦/٦.

[٩] ياقوت الحموي ، المصدر السابق: ٢٣٩/١٢-٢٤٠.

الوليد الباجي ميورقة[١] والمناظرة الحاسمة مع ابن حزم تشارك فيها ابو الوليد الباجي ومحمد بن سعيد في مناظرة ابن حزم وانتهت بغلبة الباجي ومحمد بن سعيد وعلى اثرها أُخرِج ابن حزم من ميورقة[٢]. وكان هذا نصراً لفقهاء المالكية حيث استطاعوا مواجهة ابن حزم واستمروا في محاربته والبوا السلطة عليه بحيث أُجبِر على الاقامة في قرية في بادية لبلة[٣].

وكان لوفاة ابي العباس احمد بن رشيق في سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) تاثير مباشر على تفوق فقهاء المالكية على ابن حزم ، حيث فقد ابن حزم المعين والناصر له واستغل فقهاء المالكية ذلك في تاليب السلطة عليه بحيث استطاعوا التغلب عليه عن طريق النفوذ والسلطة[٤]. حيث لم يكن الجدال مع ابن حزم سهلا مع قوة حجته وحدة كلامه بحيث وُصِفَ لسانه بانه وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين[٥]. ووُصِفَ اسلوبه في طرح رايه ((... فلم يَكُ يلطَفُ صدعه بما عنده بتعريض ولا يزُفُّه بتدريج بل يصكُّ به معارضه صك الجندل وينشقهُ متلقيه انشاق الخردل))[٦]. ومع هذا فان ابن حزم اشاد بابي الوليد الباجي واعتبره من ابرز فقهاء المالكية بصورة عامة ، وحتى بعد مناظرته تلك لم يحاول التقليل من شأنه او الرد عليه وتفنيد مناظرته له[٧].

---

[١] ابو زهرة ، ابن حزم ، ص٤٧.

[٢] ابن الابار ، التكملة: ٣٩١/١ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٢١٦/٦.

[٣] ابن سعيد ، المصدر السابق: ٣٥٥/١ ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق: ٣٢٧/٣.

[٤] ابو زهرة ، ابن حزم ، ص٤٨.

[٥] ابن خلكان ، المصدر السابق: ٣٢٧/٣.

[٦] ابن بسام ، المصدر السابق: ١٦٨/١/١ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ٣٥٥/١.

[٧] ابن بسام ، المصدر السابق: ٩٦/١/٢.

ثالثا : تاليف الكتب

أ. التعليق على كتب الاخرين

انتقد بعض الفقهاء احيانا مؤلفات فقهاء غيرهم فقاموا بتاليف كتب لتأييد رايهم بحيث تكون بنفس موضوع الكتاب المُنتَقَدْ .ومن ابرز الامثلة على ذلك كتابا خلف بن ابي القاسم البراذعي **تهذيب المدونة**[١]. و**تمهيد مسائل المدونة** . وقد شرع البراذعي في تأليفهما بقصد مجارات مُؤلف ابي محمد بن ابي زيد **المختصر** وقد حدد هذا الغرض بوضوح حسن حسين عبد الوهاب حيث يقول عن ذلك: ((ان البراذعي تصدى لتقليد ابن ابي زيد تاليفه فمهما صنف ابن ابي زيد كتابا اقتفى البراذعي اثره ووضع ما يشاكله))[٢]. وقد بين القاضي عياض محاولات بعض الفقهاء معارضة كتب ابن ابي زيد[٣] ، لكنه لم يحدد بصراحة ان كان البراذعي احد المقصودين . وقد تظافر العامل الشخصي مع العلمي في موقف البراذعي ذلك . فقد كان هو وابن ابي زيد متقاربين في السن الا ان ابن ابي زيد سبق البراذعي في التقدم العلمي[٤]. بحيث ان البراذعي تتلمذ عليه ولم تكن المودة مستحكمة بينهما حيث تتبع البراذعي هنات ابن أبي زيد العلمية وجادله بها وربما تجاوز في جداله على مكانة ابن ابي زيد وتعمد اظهار خطئه امام الحاضرين ، مما ادى الى نشوء وحشة بين البراذعي وابن ابي زيد والتي انعكست بالتالي سلبيا على علاقة البراذعي باهل القيروان وفقهائها لتقديرهم العالي لابن ابي زيد[٥].

فترك القيروان الى صقلية واستقر بها وفيها الف كتابه **التهذيب**[٦]. وفيه اتبع البراذعي طريقة ابن ابي زيد في مختصره الا انه حذف ما زاده ابن ابي زيد في **المختصر** على **المدونة**[٧]. وكتابه الاخر **التمهيد** كان ايضا على غرار **المختصر** لإبن ابي زيد وربما كان مثيله بحيث عندما بدأ بقراءته على الطلاب رفض بعضهم اكمال سماعه لكونه لم يخرج عن **المختصر**[٨]. ولم تبين لنا المصادر أي التأليفين اسبق زمنيا **التهذيب** ام **التمهيد**. ويبدو ان **التمهيد** اسبق في التاليف وعلى الارجح الفه البراذعي في القيروان قبل ان يخرج الى صقلية،

---

[١] عن مخطوطات التهذيب الموجودة الان ، انظر عبد الوهاب ، المرجع السابق: ٦٥٢/١.

[٢] المرجع نفسه: ٦٥٠/١.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٦/٦.

[٤] عبد الوهاب ، المرجع السابق: ٦٥٠/١.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٨/٧.

[٦] المصدر والمكان نفساهما.

[٧] المصدر نفسه: ٢٥٦/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١١٢.

[٨] المصدر والمكان نفساهما.

ولهذا السبب لم ينتشر بين الناس اما **التهذيب** فقد لاقى استحسانا وانتشر واصبح من امات كتب الفقه المالكي المعتمدة من قبل طلاب الفقه[١]. ومع ان فقهاء القيروان افتوا بعدم جواز الاعتماد على كتب البراذعي الا انهم استثنوا **التهذيب** من تلك الفتوى وذلك لشهرة مسائله[٢].

ويبدو ان هذا الجدال بين البراذعي وابن ابي زيد تطور واتخذ ابعادا اخرى وذلك بمشاركة فقهاء اخرين فيه ، حيث انتقد عبد الحق بن محمد بن هارون (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) البراذعي في **تهذيبه**[٣]. وألف استدراكا على احد كتب البراذعي[٤]. وعبر القاضي عياض عن رايه في ذلك برفضه لنقد عبد الحق بن محمد للبراذعي وتاييده لاراء البراذعي بارجاعه الخلل اصلا الى ابي محمد بن ابي زيد بقوله: « وانا اقول ان البراذعي بنجوة عن انتقاد عبد الحق فان جميع ما انتقده عليه لفظ ابي محمد رحمه الله »[٥].

ب. المناقشات بين الفقهاء

جرت مناقشات بين الفقهاء منها مناقشات قاسم بن محمد بن يسار مع عدد من اعلام فقهاء المالكية في قرطبة ، وهم عبد الله بن محمد بن خالد (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) ومحمد بن احمد العتبي ويحيى بن ابراهيم بن مزين[٦]. وقد عُدَّ اولئك الفقهاء من الاعلام المتميزين في قرطبة في ذلك الوقت ، حيث قال عنهم محمد بن عمر بن لبابة: « افقه من رايت في علم مالك واصحابه يحيى بن مزين واما العتبي فاحفظهم لمسألة كتاب واما قاسم بن محمد فأقومهم بحجة واثبتهم في مناظرة واعلمهم باختلاف الناس »[٧]. وتاتي قيمة هذا الراي من كون ابن لبابة تتلمذ عليهم جميعا[٨]. كما كان له دور مهم في بعض تلك المناقشات على ما سنرى ويبين هذا الراي ايضا براعة قاسم بن محمد بالمناظرة والجدال وثباته فيهما[٩].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٦/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١١٢.

[٢] المصدر والمكان نفساهما.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٦/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص١١٢.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٧٢/٨.

[٥] المصدر نفسه: ٢٥٦/٧.

[٦] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٣٩/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٤٨/٤.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٤٧٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٤٨/٤.

[٨] المصدر نفسه: ١٥٣/٥.

[٩] انظر حول ذلك: الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٠٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤٤٦/٤.

ويبدو ان قاسم بن محمد دخل في جدال ومناقشات مع اولئك الفقهاء لميوله الى المذهب الشافعي[١]. ويؤكد ذلك ان احد كتبه التي ألفها في الرد عليهم وصفه الخشني[٢] بانه على غرار رد الشافعي على اصحاب الامام مالك[٣]. وقد ذكر القاضي عياض[٤] اسم ذلك الكتاب **الرد على المقلدة**. ويتضح من العنوان ان القاعدة الرئيسية التي اخذها على اولئك الفقهاء هي التقليد. ويظهر ان هذا الكتاب اثار الاهتمام لموضوعه وظروف تاليفه بحيث وصفه ابن الفرضي[٥] بانه: ((كتابا نبيلا يدل على علم)) . كما انه وصل الى القيروان حيث قرأه محمد بن حارث الخشني فيها قبل رحلته الى الاندلس ونال استحسانه ايضا[٦]. وغير ان الخشني ذكر انه قرأ لقاسم بن محمد ((كتبا)) مما يدل على انه أَلَّفَ تباعا ما يمكن ان يسمى رسائل او كتباً صغيرة في الرد على خصومه ، كل واحدة لها موضوع مستقل تبعا للمسألة مدار النقاش ويبدو انها جُمِعَت فيما بعد في كتاب واحد .

كما الف قاسم بن محمد كتابا اخر نقض به احد كتب يحيى بن مزين وهو **المستقصية**[٧]. ويبدو انه الف هذا الكتاب بعد عودته من رحلته الثانية من المشرق ، حيث رحل اليه رحلتين الاولى بقي فيها اثني عشر عاما والثانية ستة اعوام[٨]. وعندما انتشر خبر عودته توجه اليه العتبي لزيارته والترحيب بعودته في المسجد ، وضمهما مجلس سأل فيه العتبي قاسم بن محمد عن عدة مسائل فقهية ، وقد حضر ذلك تلميذ العتبي محمد بن عمر بن لبابة الذي عظم قدر قاسم بن محمد لتعظيم وتقدير العتبي له ، بحيث كان العتبي يسأل قاسم بن محمد سؤال التلميذ للعالم . ثم غادر العتبي ، غير ان محمد بن عمر بن لبابة بقي مع قاسم بن محمد ورافقه الى داره ، فدار بينهما في الطريق حديث سأله فيه قاسم بن محمد عن طلبه للعلم وعن شيوخه ، فاخبره ابن لبابة انه يدرس لدى العتبي وابن مزين ، فاستحسن منه قاسم بن محمد ذلك ثم سأله عن احدث المؤلفات في الفقه فاخبره بكتاب **المستقصية** لابن مزين فتعجب قاسم بن محمد من الاسم ولم يعجبه وطلب من ابن لبابة ان يريه الكتاب ، وكان معه قسمين منه فاعطاهما له ووعده بان يحضر له تتمة الكتاب فيما بعد ، وعندما كمل الكتاب لدى قاسم

---

[١] انظر ص من الفصل الثالث.

[٢] اخبار الفقهاء ، ص١٠٣.

[٣] انظر عن ذلك: القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧٩/٣-١٨٠.

[٤] المصدر نفسه: ٤٤٨/٤.

[٥] المصدر السابق: ٣٣٩/١.

[٦] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٠١.

[٧] المصدر نفسه ، ص٣٠٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٣٩/٤.

[٨] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٠١.

بن محمد الف كتابا ناقض فيه كتاب ابن مزين وانتقد عليه فيه جهله بالحديث النبوي الشريف وضعف حجته ، وعمل على ان يصل الكتاب الى ابن مزين من دون ان يعرف مؤلفه ومرسله[١].

حيث بعثه مع رجل عائد حديثا من رحلة الى مصر ، وطلب منه ان يخبره ان الكتاب مُرسَل اليه من فقهاء مصر وانهم اوصوه ان يوصله اليه حالما يصل الى قرطبة ، فاخذ ابن مزين الكتاب واطلع عليه وعرف المقصود منه ، فاخذ وقته في دراسته ويبدو انه اقتنع بما فيه حيث طلب من طلابه الذين كتبوا **المستقصية** عنه ان يحضروها اليه ، فالغى منها ما ورد في الكتاب الذي وصله من انتقادات وهو لا يعرف انه من تاليف قاسم بن يسار ، وقد عرف فيما بعد حقيقة الموقف ودور محمد بن عمر بن لبابة به ، مما اثر على علاقته بابن لبابة حيث شعر ابن لبابة بكره ابن مزين له ورغبته بانقطاعه عن الدراسة لديه فتركه وانتقل للاخذ عن قاسم بن محمد[٢].

اما في المثال الاتي فقد طلب الفقيه القرطبي ابو سلمة فضل بن سلمة الجهني (ت٣١٩هـ/٩٣١م) من يحيى بن عمر ان يرد على احد كتب عبد الملك بن حبيب ، وهو **الشعراء والابرار** ، حيث اعطى ذلك الكتاب ليحيى بن عمر وطلب منه ان يتفحصه ويؤشر على ما ينكره فيه ويكتب انتقاده عنه في حواشي الكتاب ، وبقي الكتاب عند يحيى بن عمر اياما ، وعندما عاد اليه الجهني بعد ذلك اعاد اليه ابن عمر الكتاب واخبره: ((ليس مثلي يحسن على عبد الملك بن حبيب فيرد عليه))[٣]. ويظهر ان هذا النقاش بين فضل بن سلمة ويحيى بن عمر كان في القيروان ، عندما التقى فضل بن سلمة بيحيى بن عمر فيها وقت رحلته في طلب العلم[٤].

وهنا لابد من معرفة سبب عدم محاولة فضل بن سلمة القيام بالرد على عبد الملك بن حبيب بنفسه واختياره يحيى بن عمر للقيام بذلك . فقد برع فضل بن سلمة في علم الفقه ودراسة كتبه[٥] ، ومنها كتاب **الواضحة** لابن حبيب ، حيث اختصره وتعقب كثيرا على ابن حبيب في اختصاره ذلك واضاف رايه احيانا[٦]. ويظهر انه وجد في **الشعراء والابرار** لابن حبيب ما يجب ان يُنقَد ايضا ، وذلك وقت طلبه للعلم مما لم يجعله مهيئا للرد على عبد الملك

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٠٢.

[٢] المصدر والمكان نفساهما.

[٣] المصدر نفسه ، ٢٤٦.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢١/٥.

[٥] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٩٧.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٢٢/٥.

بن حبيب ، كما كان موضوع الكتاب بعيدا عن الفقه الذي درسه فضل بن سلمة حسب ما يدل على ذلك عنوان الكتاب ، لهذا عرض رايه في الرد على ذلك الكتاب على شيخه يحيى بن عمر وطلب منه ان يرد على عبد الملك بن حبيب .

ومع ان كتب التراجم لم تذكر لعبد الملك بن حبيب كتابا باسم **الشعراء والابرار** ، الا ان ابن حبيب قد برع ايضا في علوم اللغة العربية وادابها[١]. ويقول ابن الفرضي[٢] عن ذلك: ((كان نحويا عروضيا شاعرا حافظا للاخبار والانساب والاشعار طويل اللسان)) . وربما كان في ذلك الكتاب شيئا مما وصفه ابن الفرضي بطول اللسان ، ومع ذلك رفض يحيى بن عمر الرد على عبد الملك بن حبيب ووجد نفسه غير كفء لذلك ، لا سيما ان عبد الملك بن حبيب احد شيوخ يحيى بن عمر الاندلسيين[٣].

اما في مرسية فقد بعث عدد من اهلها الى عبد الرحمن بن احمد بن المشاط الطليطلي يستفتونه في مسائل طرحها عليهم رجل مشرقي دخل الى مرسية ، تعلقت بموضوع خلق القران وغيرها من المسائل التي جاء بها المعتزلة ، فالف ابن المشاط كتاب **كشف جمل من التعطيل بحجج من الاثر والنظر والتنزيل** تناول فيه ما بعث اليه به اهل مرسية ، وقد انتشر كتابه هذا وقام بتسميعه وممن سمعه عنه علي بن عبد الله بن محمد[٤].

وفي القيروان طرحت على فقهائها مسألة تعلقت بموضوع اللعان ، واختلف الفقهاء حولها واصبحوا فريقين فريق ضم ابا علي بن خلدون (ت٤٠٧هـ/١٠١٦م) وابا بكر بن عبد الرحمن وغيرهم ، وفريق ضم ابا عمران بن الفاسي وابا القاسم بن الكاتب ، ويظهر ان الجدال احتدم حول تلك المسألة بين الطرفين حيث قام ابن الكاتب بتاليف كتاب خاص عن تلك المسألة ، نصر فيه رايه ومن معه وبين حججه وبراهينه[٥]. ولابد ايضا انه بالمقابل بين راي الطرف الثاني وحججه ايضا . ومن المحتمل ان هذه المسألة هي التي دفعت ايضا الاديب الاندلسي ابو العباس احمد بن رشيق بتأليف رسالة وجهها الى ابي عمران موسى الفاسي وابي بكر بن عبد الرحمن للاصلاح بينهما[٦]. ومع ان ابن رشيق عرف بصفته اديبا وليس فقيها[٧].

---

[١] القفطي ، المصدر السابق: ٢٠٦/٢.

[٢] المصدر السابق: ٣١٥/١.

[٣] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٥٧/٤.

[٤] ابن الابار ، المعجم ، ص٢٨٩.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٥/٧.

[٦] الحميدي ، المصدر السابق ، ص١٢٣ ؛ ياقوت الحموي ، المصدر السابق: ٤٣/٣.

[٧] المصدر نفسه: ٣٤/٣

الا ان رسالته تلك كانت متداولة بين المختصين . ولا بد انه عالج فيها اسباب الخـــلاف بـــين الفقيهين وسبل الاصلاح بينهما.

الفصل الخامس

الخصومات بين الفقهاء

اولاً: الاختلاف في الرأي العلمي

مسالة الايمان (انموذجاً)

أ المرحلة الاولى

ب المرحلة الثانية

ثانياً: الاستياء من ادخال علوم جديدة

قضية بقي بن مخلد (انموذجاً)

أ الاطراف المشاركة

ب حيثيات القضية

ثالثاً: الطعن في صحة الرواية والسماع

رابعاً: المنافسة العلمية

قضية ابن العطار (انموذجاً)

خامساً: المحاسبة بعد العزل عن القضاء

سادساً: المنافسة بين ارباب الوظائف الادارية

خصومة القاضي احمد احمد بن زياد مع فقهاء المشاورة (انموذجاً)

قامت بين الفقهاء علاقة خصومة ادت الى تنافرهم وتقاطعهم. واسباب تلك الخصومات لم تخرج عن علاقاتهم العلمية. فغالبيتها اسباب ولدها الاحتكاك العلمي بينهم وتخرج جميعها عن دائرة المنافسة العلمية. ومع هذا فالعامل الشخصي لا يمكن اغفال دوره في تلك الخصومات لا سيما تأثير الحسد بين العلماء[١]. ولكن حتى الحسد ولده التفوق العلمي للخصم لهذا اضطر الطرف الثاني لحسده. وفيما يلي من تفاصيل الفصل سنتناول تلك الاسباب التي ادت الى خصومات بين الفقهاء مع ايراد نماذج على بعض الخصومات.

اولاً: الاختلاف في الرأي العلمي

من احد اسباب الخصومة بين الفقهاء الاختلاف في الرأي تجاه بعض المسائل ، ومع ان هذا شيء طبيعي وله جانب ايجابي في الحث على الدراسة والتفكير للتوصل الى الرأي الصحيح ، وذلك اذا كانت غاية الطرفين التوصل الى نتيجة علمية. الا ان لها جانب سلبي بتحول الاختلاف في الرأي احياناً الى خصومة بين الاطراف المختلفة ، تنتج من تزمت كل طرف على رأيه في حالة ثبات خطأ رأيه. فقد خاصم فقهاء قرطبة محمد بن موهب القبري (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) الذي جاء باراء وافكار غريبة عن نبوة النساء وغيرها وحاول بثها بين الناس مما رفضه فقهاء المرية وساءت علاقته معهم بسبب ذلك[٢].

ومن المسائل المهمة التي اختلف الفقهاء فيها ، مسالة حرق كتاب **احياء علوم الدين** للغزالي[٣]. حيث امر قاضي قرطبة ابو عبد الله بن حمدين باحراقه ، وذلك بعد صدور فتوى من بعض فقهاء قرطبة بذلك[٤]. وذلك لما تضمنه من علم الكلام واراء صوفية[٥]. وقد اعترض علي بن محمد البرجي (ت ٥١٩هـ/١١٢٥م) احد فقهاء المرية على تلك الفتوى ،

---

[١] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٤٥ ؛ ابن حزم ، فضائل الاندلس ، ص١١ ؛ الونشريسي ، المصدر السابق: ٧٨/١.

[٢] الحميدي ، المصدر السابق ، ص٩٢ ؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٤٩٨/٢.

[٣] للتفاصيل عن حرق كتب الغزالي في الاندلس انظر: عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ؛ ابن الاحمر ، المصدر السابق ، ص٣٣ ؛ ابو العباس احمد بن قنفذ ، انس الفقير وعز الحقير ، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وادولف فور (الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، ١٩٦٥) ص١٠٨ ؛ عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي (مصر: دار المعارف ، ١٩٦٨) ، ص٣٠٨.

[٤] ابن عذارى ، المصدر السابق: ٥٩/٤-٦٠.

[٥] عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الادب العربي (ط٢ ، بيروت: مكتبة المدرس ودار الكتاب ، ١٩٦١) ٦٩/١ ؛ عباس الجراري ، " قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين" ، ندوة المغرب في الدراسات الاستشراقية (الرباط: اكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٩٣) ، ص١٠٠.

ولم يرَ أنها واجبة ، واصدر فتوى مضادة طلب فيها تاديب حارق الاحياء وتغريمه ثمن الكتب التي احرقت لانها مال مسلم ، وكتب ذلك بخط يده ، ودارت تلك الفتوى على فقهاء المرية والذي ايدها كتب على نفس الورقة وبخط يده ((وبه يقول فلان)) – يكتب اسمه- ومنهم ابو القاسم بن ورد وابو بكر عمر بن احمد الفصيح وغيرهم[١]. فاغضب ذلك ابن حمدين الذي ارسل الى قاضيه في المرية ابو عبد الله مروان بن عبد الملك (ت ٥١٢هـ /١١١٨م) وامره بعزل البرجي عن خطة كان يتولاها[٢].

وفي المرية ايضاً دخل احمد بن محمد بن العريف في خصومة مع فقهاءها ، حيث ذاع صيته في الزهد والعبادة ، وكَثُرَ اتباعه على طريقة التصوف ، مما لم يقبله فقهاء المرية واختلفوا معه في كثير من ارائه الصوفية وخشوا من تفاقم تاثيره وازدياد امره ، فنشبت خصومة واسعة بين الطرفين[٣].

وفي القيروان حصلت خصومة بين حمديس القطان وعبد الجبار بن خالد (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) بسبب قراءة الثاني لكتب محمد بن مهدي البكري على الناس[٤]. وكان رأي حمديس القطان ان تلك الكتب لا تقرأ على الناس ، حيث قال سحنون عن محمد بن مهدي: ((ابن مهدي هذا ضال مضل)) وطلب من عبد الجبار بن خالد الكف عن قراءتها للناس، فرفض عبد الجبار ذلك[٥]. ولهذا قاطع حمديس القطان عبد الجبار وكان لا يسلم عليه ولا يرد عليه سلامه اذا بدأه به[٦]. ودامت المقاطعة بينهما اربعة وعشرين سنة ، ونهى حمديس القطان الناس عن الاخذ عن عبد الجبار[٧]. وقد حصلت تلك الخصومة والمقاطعة بعد صداقة حميمة ربطت الاثنين ، بالاضافة الى شراكة في تجارة القطن[٨]. فانقلبت تلك الصداقة الى عداوة لاصرار الاثنين على رأيهما.

وسنقدم فيما يلي انموذجاً لخصومة واسعة نشأت في القيروان ايضاً بسبب اختلاف الرأي بين اطرافها حول مسالة الايمان.

---

[١] ابن الابار ، المعجم ، ص٢٨٣-٢٨٤ ؛ ابن الابار ، التكملة ، تحقيق زيدان: ٦٦٢/٢-٦٦٣ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٣٠٨/١/٥.

[٢] ابن الابار ، المعجم ، ص٢٨٤.

[٣] المصدر نفسه ، ص١٦.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٧٩/٤. لم استطع العثور على ترجمة لمحمد بن مهدي البكري.

[٥] المصدر نفسه: ٣٨٥/٤.

[٦] المصدر نفسه: ٣٧٩/٤.

[٧] المصدر نفسه: ٣٨٦/٤.

[٨] المصدر نفسه: ٢٨٥/٤.

مسألة الايمان (انموذجاً):

اثيرت هذه المسالة في القيروان بين فقيهين من ابرز فقهاءها ، هما محمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس. ومسالة الايمان في حقيقتها من افكار المرجئة[١]. والمرجئة هي احدى الفرق التي ظهرت في العصر الاموي[٢]. ومحتوى مسالة الايمان حسب اراء المرجئة هو: ((ان الارجاء هو فك الارتباط ما بين العمل والايمان حتى لا تتوقف صحة الايمان على الاعمال التي تعرب عنه وتدل عليه فلا تنفع مع الكفر طاعة ولا تضر مع الايمان معصية))[٣]. وان كان الخلاف الذي أُثيرَ حول مسالة الايمان بين فقهاء القيروان قد اخذ معنى اخر حسب ما سيظهر عند معالجة الموضوع. ولكن من الواضح ان تلك المسالة عندما اثيرت في القيروان كانت من ايحاءات فرق الخوارج التي كانت موجودة في المغرب[٤]. ومن هنا عدّ اصحاب محمد بن عبدوس رأي محمد بن سحنون في الايمان انه من مسائل الارجاء[٥]. وقد اثار طرح المسالة خصومة واسعة بين محمد بن عبدوس ومحمد بن سحنون ، انعكست على اصحابها وقسمت العديد من فقهاء القيروان الى طرفين ، طرف مؤيد لابن سحنون واخر لابن عبدوس[٦]. وذلك في مرحلتها الاولى اما في مرحلتها الثانية فقد اثيرت ايضاً بين فقيهين اخرين من ابرز فقهاء القيروان هما ابو محمد بن ابي زيد وعبد الله بن اسحاق ابن التبان[٧].

أ. المرحلة الاولى:

كان رأي محمد بن سحنون في مسالة الايمان ، ان المرء يعرف اعتقاده في نفسه ان كان مؤمناً ام لا. وما دام هو يعرف ذلك فهذا يعني انه لا يشك بنفسه وانه مؤمن عند الله ﷻ ، ويشك بنفسه أي لا يعرف ان كان عند الله مؤمناً ام لا[٨]. اما رأي محمد بن عبدوس فهو ان المرء اذا عرف نفسه انه مؤمن فهذا غير كافٍ ليدرك ان كان مؤمناً عند الله ام لا! أي ان

---

[١] محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٥) ، ص٤٥ – ٤٨.

[٢] انظر عنها ، الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص١٣٩ - ١٤٦ ؛ محمد عمارة ، الخلافة ونشأة الاحزاب السياسية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بلا ، ت)) ، ص٦٣-١٧٥.

[٣] المرجع نفسه ، ص٦٣.

[٤] عن الخوارج في المغرب انظر محمود اسماعيل ، الخوارج في المغرب الاسلامي (بيروت: دار العودة ، ١٩٧٦) ؛ موسى ، المرجع السابق ، ص٢٠٧ – ٢٣١.

[٥] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٨/٤.

[٦] المصدر والمكان نفساهما.

[٧] المصدر نفسه: ٢٧٣/٦.

[٨] المصدر نفسه: ٢١٨/٤.

ايمانه مشكوك فيه[١]. وذلك لانه لا يعرف خاتمته ، فهو في وقته وساعة سـؤاله يـدرك انـه مؤمن لكنه لا يعرف مستقبله ليحدد ان كان مؤمناً عند الله ام لا ، ولهذا السبب سُمِّيَ مؤيـدي محمد بن عبدوس بالشكوكية[٢].

وقد انقسم عدد من فقهاء المغرب الى قسمين بينهما: من انحاز الى محمد بن سـحنون سموا بالسحنونية ومن انحاز الى محمد بن عبدوس سموا بالعبدوسـية وكـل قـسم تعـصب لصاحبه[٣]. وممن كان مع محمد بن سحنون اسحاق بن ابراهيم بـن بطريقـة (٣٠٣هـ / ٩١٥م)[٤] وابو ميسرة احمد بـن نـزار (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م)[٥] وابـراهيم بـن عتـاب (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)[٦] وحمديس القطان[٧]. اما من كان مع محمد بن عبدوس فمنهم حماس بن مروان[٨] وابي الفضل عباس الممسي[٩] وابي عبد الله محمد بن بسطام[١٠] وعبـد الله بـن طالب[١١]. وهناك قسم ثالث يبدو انه بقي على الحياد ولم ينحز الـى احـد ، الا انـه حـاول الاطلاع على ما يدور رغبة في تفهم القضية ، منهم احمد بن ابي سليمان حيث دار حوار بينه وبين محمد بن عبدوس حول الموضوع ، قال فيه احمد بن ابي سليمان لمحمد بـن عبـدوس: ((الناس يتكلمون فيك وزعموا انك تشك في نفسك وتقول: لا ادري وارجو ان اكون مؤمنـاً ان شاء الله ، فقال: والله ما قلته قط فلا جزى الله من حكى هذا عني خيراً ما شـككت قـط انـي مؤمن عند الله ولقد قرئت علينا رسالة محمد بن سحنون فما عدا الحق عندي منها حرفاً اكثـر من ان قلت: لا تتكلموا في هذا ، فقلت له: ان ابن سحنون يقول: ان ذلك بدعة فقال: والله اني لاخاف ان يكون كفراً))[١٢].

وحصلت مجادلات بين الطرفين بسببها ، ومع ان الاختلاف بينهم كان بمسألة الايمان حصراً الا ان ذلك انعكس على علاقتهم بصورة عامة ، ونشات خصومة بينهم وصلت الى حد

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٩٧/٤.
[٢] المصدر نفسه: ٢١٨/٤.
[٣] المصدر نفسه: ٢٢٧/٤ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ١٢٣/٢.
[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٢/٥.
[٥] المصدر نفسه: ٣٢/٦.
[٦] المصدر نفسه: ٢٩٧/٤.
[٧] المصدر نفسه:٣٧٩/٤.
[٨] المصدر نفسه: ٧٧/٥.
[٩] المصدر نفسه: ٣٠٢/٥.
[١٠] المصدر نفسه: ١١٢/٥.
[١١] المصدر نفسه: ٣٩٧/٤.
[١٢] المصدر نفسه: ٢٢٨/٤.

المقاطعة. فقد كان حمديس القطان بسبب تلك الخصومة لا يسلم على حماس بن مروان ولا يرد عليه سلامه اذا بدأه به وحتى انه لا يصلي خلفه اذا امّ الصلاة[١]. وليس هذا حسب وانما طلب ذلك ايضاً من ابي ميسرة احمد بن نزار والذي اقتدى بدوره بحمديس فقاطع حماساً وكان لا يسلم عليه ولا يرد على سلامه مع اعترافه بفضل حماس وتقديره لمكانته العلمية[٢]. ونادى غالبية المؤيدين لمحمد بن سحنون بعدم الصلاة خلف امام يتبع رأي محمد بن عبدوس في مسالة الايمان ، وممن دعى الى ذلك ابو العباس بن بطريقة[٣] وابراهيم بن عتاب الخولاني[٤]. مما اوجب تدخل عبد الله بن طالب بصفته قاضياً في ذلك الوقت مع الاخذ بالاعتبار انه كان مؤيداً لمحمد بن عبدوس ، فنهر ابن بطريقة على موقفه ذلك[٥] ، ونهر ايضاً ابراهيم بن عتاب الخولاني الذي انحاز بشدة لرأي محمد بن سحنون ، ويبدو ان موقفه ازداد تعصباً بحيث استوجب من القاضي عبد الله بن طالب ان يحبسه وفعلاً امر بحبسه[٦].

وبقيت هذه الخصومة حتى بعد وفاة محمد بن سحنون ، فقد اراد احمد بن نصر احد طلاب محمد بن سحنون ان يتوجه الى محمد بن عبدوس لياخذ عنه بعد وفاة ابن سحنون ، فاعاقه عن ذلك اصحاب ابن سحنون حيث ذهبوا الى والد احمد بن نصر وقالوا له: ((ان ابنك اراد ان يمضي الى عدو معلمه ، فحلف ابوه بالطلاق عليه الا يفعل))[٧]. كما بقي ابو ميسرة احمد بن نزار يدعو الفقهاء الى اتباع رأي محمد بن سحنون في الايمان واتُّهِم بالكفر من لم يوافقه ومنهم ابو الفضل الممسي ، حتى ان ابا ميسرة كتب محضراً عليه في ذلك ، وقد سمع ابو اسحاق السبائي بما يجري بين الممسي وابو ميسرة فغضب من ذلك وعدّ ذلك من وسوسة الشيطان لبث الفرقة والعداوة بين المؤمنين ، ولام ابا ميسرة على تصرفه وعنفه وذكره بما شُهر عن الممسي من عبادة ودراسة للفقه ، ثم ترك ابو ميسرة وخرج من عنده فبهت ابو ميسرة لذلك ولامه الحاضرون عنده ممن شهد تعنيف السبائي له ، فقام ابو ميسرة بتقطيع المحضر الذي كتبه على الممسي وتوجه إليه في داره لمصالحته ، وانتهى بعد ذلك ما بينهما[٨].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٣٧٩/٤.

[٢] المصدر نفسه: ٣٢/٦.

[٣] المصدر نفسه: ١٠٢/٥.

[٤] المصدر نفسه: ٣٩٧/٤.

[٥] المصدر نفسه: ١٠٢/٥.

[٦] المصدر نفسه: ٣٩٧/٤.

[٧] المصدر نفسه: ٩٥/٥.

[٨] المصدر نفسه:٣٠٢/٥-٣٠٣.

وقد انتقل صدى هذا الخلاف والخصومة الى مصر ، حيث طُرِحَت مسالة الايمان بمصر في حلقة الفقيه ابي الذكر محمد بن يحيى[١] ، فانكر الحاضرون عليه طرحه تلك المسالة او ما جاء فيها ، فاخبرهم عن وجود فرقة في المغرب تسمى السحنونية تقول بتلك المسالة[٢]. كما سال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عنها عبد الله بن غافق (ت ٢٧٧هـ / ٩٨٠م) عندما التقى به في مصر ، فبعد التعارف بينهما طلب محمد بن عبد الحكم من عبد الله بن غافق ان يوضح له الاختلاف الذي وقع بين فقهاء القيروان بسببها ، وبعد ذلك رجح عبد الله بن غافق رأي محمد بن سحنون ، وعندما عاد عبد الله بن غافق الى القيروان كتب رسالة عن مسالة الايمان وابدى رأيه فيها – ولا بد انه ضمنها رأي ابن عبد الحكم ايضاً بعد نقاشهما حولها – ولكنه لم ينسبها لنفسه وتداولها الناس المهتمون بالمسالة من دون ان يعرفوا كاتبها ، ولكونها نالت استحسانهم ولاقت رواجاً ادعى كتابتها رجل نحوي ، وعندما علم ابن غافق بذلك اعلن عن نفسه كاتباً لها ، وقال انه لم يصرح بذلك لخشيته من انحياز الناس إليها لانحيازهم لرأي شخص معين ، فيتوسع الخلاف حولها ، ورغب ان ياخذوا بها بعد قناعتهم بما جاءت به[٣].

وقد حاول القاضي عياض فيما بعد ان يقدم رأياً عن مسالة الايمان وَفَّقَ بين رأي الطرفين يقول فيه: ((والمسالة قد كثر الخوض وكلام الائمة عليها ، والحقيقة فيها انه خلاف في الفاظ لا في حقيقة ، فمن التفت الى مغيب الحال والخاتمة وما سبق به القدر ، قال بالاستثناء ، ومن التفت الى حال نفسه وصحة معتقده في وقته لم يقل به))[٤].

ب. المرحلة الثانية

تم الخوض في مسالة الايمان مرة اخرى في جيل جديد من الفقهاء. واثارها هذه المرة ابو الحكم محمد بن حكمون بعد عودته من رحلة الى المشرق[٥]. وحصل من جرائها خصومة وخلاف واسع بين ابو محمد بن ابي زيد وعبد الله بن اسحاق بن التبان[٦]. وكان ابن التبان اذا

---

[١] فقيه مصري تولى قضاء مصر سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) كان من ابرز فقهاء مصر في وقته وكانت مجالسه مقصد طلاب الفقه المالكي ، وتوفي سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م). القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٧٩/٥.

[٢] المصدر نفسه: ٢١٨/٤.

[٣] المصدر نفسه: ٣٩٩/٤-٤٠٠.

[٤] المصدر نفسه: ٢١٩/٤.

[٥] المصدر نفسه: ٢٦١/٦ ، ٢٧٣.

[٦] المصدر نفسه: ٢٧٣/٦.

سُئل عن احد هل هو مؤمن عند الله؟ يجيب هو مؤمن عند الله حسب قناعته ، ولم يكن يمتنـــع عن الاجابة ، اما ابو محمد بن ابي زيد فرفض رأي ابن التبان وكان رأيه ان الاجابـــة علـــى ذلك السؤال تكون ، اذا كانت سريرة الشخص مثل علانيته فهو مؤمن عند الله ، وكلا الطرفين وجد من يناصره من فقهاء القيروان[١].

الا ان طرف ابو محمد بن ابي زيد كان الاقوى على ما يبدو ، حيث وقف الى جانبـــه كبار فقهاء القيروان ومنهم ابو الحسن علي القابسي والسبائي[٢] ، وابو جعفر الـــداؤدي الـــذي ناقش ابن التبان في رأيه في مسالة الايمان ، ودار بينهما حوار تعجب فيه ابو جعفر الـــداؤدي من ابن التبان كيف يستطيع ان يقطع ان الشخص مؤمن عنـــد الله ، فاجابـــه ابـــن التبـــان ، باستنكاره كيف ان ابا محمد بن ابي زيد يستطيع ان يقطع ان يعرف سريرة وعلانية الـــشخص فيقطع منها انه مؤمن عند الله ، ولم يصل الاثنان الى نتيجة من حوارهما بل ان ابـــن التبـــان تجاوز على ابن محمد بن ابي زيد بكلمات غير مستحبة[٣].

اما ابو الحسن علي بن محمد بن الدباغ فقد كان له في مسالة الايمـــان رأي مغـــاير ، فهو يقول بانه لا يمكن ان يقطع ان كان الشخص مؤمن ام لا وانما يقول له: ((ان كان ظاهرك وباطنك واحداً فانت مؤمن)) وقد اراد منه البعض ان ينشر رأيه ذلك بين الناس ليُتَّبَع فيه ، مما يشكل طرفاً ثالثاً في القضية ، فرفض الدخول في ذلك وقال: ((انا اذا وقفنا بين يـــدي الله لـــم يسالنا عن هذه المسالة ، ايش انتم مؤمنون عندي ولا عندكم ان كنتم عقلاء فاسكتوا عنهـــا)) ، ولهذا رفض دائماً الكلام في تلك المسالة وقال: ((مالنا في الكلام من شيء ان اصبنا فيـــه لـــو نؤجر وان اخطانا فيه اثمنا)) حتى انه كان دائم اللوم لمحمد بن حكمون لطرحه تلـــك المـــسالة بين فقهاء القيروان[٤].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٥/٦.

[٢]المصدر نفسه: ٢٥٠/٦.

[٣]المصدر نفسه:٢٥٥/٦.

[٤] المصدر نفسه:٢٦١/٦.

ثانيا: الاستياء من ادخال علوم جديدة:

تفرد في الاندلس عدد من فقهائها بادخالهم إليها علوماً جديدة لم تكن تنال الاهتمام فيها سابقاً ، وبعضهم ادخل إليها طرقاً تدريسية جديدة. مما اثار خصومة بينهم وبين من لم يعجبهم ذلك وقاوموه. مثل عيسى بن دينار الذي عُدَّ من اوائل فقهاء الاندلس الذين اهتموا بدراسة الفقه[١]. ولهذا قال عنه احد فقهاء الاندلس: ((كان عيسى بن دينار عالماً متفنناً مفتقاً وهو الذي علم المسائل أهل مصرنا وفتقها))[٢]. ويبدو ان الفقهاء قبله كانوا مجرد ناقلين ، بينما اهتم هو بتدريس المسائل الفقهية للوصول الى كيفية التعامل معها والفتوى بموجبها. ولقد ظهرت براعته الفقهية منذ كان في المشرق ودل على ذلك موقف الامام ابن القاسم منه[٣]. ولهذا على الاكثر خاصمه فقهاء مدينته طليطلة. فبعد وصوله إليها عائداً من رحلته الى المشرق ، اقبل الطلاب للاخذ عنه ، فازعج ذلك قاضي طليطلة فكتب هو والوالي كتاباً لامير قرطبة ضد عيسى بن دينار ، ومن نتيجة ذلك أَمَرَ الامير باستقدامه الى قرطبة وحبسِه ، وفعلاً سُجن بقرطبة ، ولكن قام طلاب وعلماء قرطبة بالتوجه الى السجن والاخذ عنه فيه ، وعندما تحقق الامير من سبب ذلك علم مكانة عيسى بن دينار فاطلقه من حبسه وقربه إليه[٤].

اما بقي بن مخلد فكانت خصومته مع فقهاء قرطبة اعنف واوسع وفيما يلي تفاصيلها:

قضية بقي بن مخلد (انموذجاً):

كان لبقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام خصومة كبيرة مع فقهاء قرطبة. وقد تزامن الاثنان في مشكلتهما وطرحت قضيتهما على نفس الجهة التحقيقية ، ويبدو ان الخشني أُخِذ بتاثير قضية بقي بن مخلد التي كانت اعنف وابعادها اوسع. ويعبر عن ذلك خير تعبير وصف محمد بن حارث الخشني لها بقوله: ((كانت لبقي بن مخلد مع من كان في وقته من أهل العلم بقرطبة حادثة غراء ونازلة شنعاء طار ذكرها في الافاق وتحدث بها في الامصار))[٥].

واساس المشكلة بين بقي بن مخلد وفقهاء قرطبة ادخاله الى الاندلس لاول مرة علوماً لم يكن فقهاء الاندلس يعرفونها وهي علم الحديث وعلم الاختلاف[٦]. بحيث عُدّ فيما بعد بقي

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٦/٤.

[٢] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٧٤/١.

[٣] انظر ص من الفصل الاول.

[٤] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٠٧/٤.

[٥] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٧.

[٦] المصدر والمكان نفساهما ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٤٨ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق: ١٠٩/٢.

بن مخلد مؤسس علم الحديث في الاندلس[١]. والخشني ايضاً كان من اوائل من ادخل عدداً من كتب الحديث الى الاندلس وتفرد بروايتها[٢].

وفي هذا الوقت كان فقهاء قرطبة قد احكموا علاقتهم بالسلطة ووطدوها خصوصاً انها كانت بحاجة لتاييدهم ، ومع ان الحديث النبوي الشريف من اصول الفقه فقد كانت معرفة فقهاء الاندلس به في ذلك الوقت في اضيق الحدود لا تتعدى غالباً **موطأ** الامام مالك[٣]. لهذا خاف فقهاء قرطبة من منافسة بقي بن مخلد العلمية القوية لهم ، مما ينعكس بالتالي على قوة نفوذهم في قرطبة ورأيهم المؤثر في السلطة والناس ، في مقابل تقوية مكانة بقي بن مخلد لدى السلطة والناس[٤].

ومن الذي دفع بقي بن مخلد للاهتمام بدراسة علوم الحديث النبوي الشريف ، رغبته بمواكبة الجهود العلمية المعاصرة ، ففي القرن (الثالث للهجرة / التاسع للميلاد) حصلت نهضة في علم الحديث في المشرق ووجدت صدى لها في الاندلس بالراحلين الى المشرق من طلاب العلم[٥]. اما محمد بن عبد السلام الخشني فقد رحل الى المشرق قبل سنة (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وبعد عودته اهتم برواية الحديث واللغة ولم يكن له اهتمام واسع بالفقه[٦].

وقد ادخل الى الاندلس عددا من كتب ابي عبيد القاسم بن سلام[٧] ، في علمي اللغة والحديث النبوي الشريف ، وشُهر عند عودته الى الاندلس بروايته لعلم اللغة فقط[٨]. ويبدو ان ذلك بتأثير فقهاء قرطبة عندما وجدوا ان الخشني في خندق واحد مع بقي بن مخلد. وقد بدأت الخصومة مع بقي بن مخلد عندما لمسوا تميزه عنهم ، ومحاولته العمل بما جاء به من علوم جديدة. وكانت على مراحل متتابعة وقبل ذكر تفاصيلها نتطرق الى التعريف بالاطراف التي كان لها دور فيها سلبياً اكن ام ايجابياً وسيتضح دورها عند تناول حيثيات القضية.

---

[١] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٠٨/١ ؛ مؤنس ، المرجع السابق ، ص٤٥.

[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٣٢.

[٣] مؤنس ، المرجع السابق ، ص٤١ ؛ محمد حسن شرحبيلي ، يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ (اغادير: منشورات كلية الشريعة ، ١٩٩٥) ، ص٢٩ - ٣٠.

[٤] مؤنس ، المرجع السابق ، ص٣٩ ؛ Watt, Op. Cit., P.67.

[٥] مؤنس ، المرجع السابق ، ص٤٢-٤٣.

[٦] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٦/٢-١٧ ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٥٨.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٣٢.

[٨] المصدر نفسه ، ص١٣٣.

أ. الاطراف المشاركة في القضية:

شارك في قضية بقي بن مخلد ثلاثة اطراف ، الطرف الاول وقف ضده وحاربه وفي مقدمته عبد الله بن محمد بن خالد (ت٢٥٦هـ /٨٦٩م) الذي كان على راس المناوئين لبقي بن مخلد[١]. وهو من ابرز فقهاء المالكية في الاندلس وعُرِف بصلابته وطبعه الشرس مما زاد في حدة خصومته لبقي بن مخلد[٢]. وقد وصفه القاضي عياض[٣] ابلغ وصف بقوله: ((كان راس المالكية بالاندلس والقائم بها والذّاب عنها وكان صلباً متديناً ورعاً مهيباً مكيناً من السلطان معظماً للعلم لا يرى التُقية ولا يبالي ما دار عليه وكان العامة والحكام على تعظيمه وتحقيقه جداً كأن الناس في مجلسه على رؤوسهم الطير اجلالاً)). وهناك ايضاً الفقيه ابو القاسم اصبغ بن خليل (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م) الذي تولى الافتاء والشورى في الاندلس لمدة خمسين سنة[٤]. وقد عرف بالفقه فقط ولم يكن له معرفة بعلم الحديث ولهذا كان معادياً للمُحدِّثين[٥]. ومحمد بن يوسف بن مطروح ايضاً ، والذي كان من فقهاء المشاورة مع اصبغ بن خليل وقد تولى صلاة قرطبة لبعض الوقت[٦]. ومن فقهاء المشاورة الاخرين ممن وقف ضد بقي بن مخلد ، ابو زيد بن عبد الرحمن بن ابراهيم (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م)[٧]. كما وقف ضد بقي بن مخلد ايضاً صاحب المدينة[٨] وليد بن غانم والذي عادى بقي بن مخلد كثيراً[٩]. وبالاضافة الى اولئك هناك العديد من الفقهاء وممن اتبع رأي عبد الله بن محمد وايده في موقفه ضد بقي بن مخلد[١٠].

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٧ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٢٥١/١.

[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢١٤ .

[٣] ترتيب المدارك: ٢٤٠/٤.

[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٣.

[٥] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٩٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥١/٤-٢٥٢.

[٦] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١١٧ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١١/٢.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٠١/١.

[٨] من الخطط الادارية في الاندلس ، من مهام صاحبها ضبط الامن والضرب على ايدي المفسدين ، وفي اوقات الحرب يستنفر القادرين على حمل السلاح للمشاركة بها. نادرة محمد امين ، الدولة العامرية في الاندلس (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠) ، ص١٧٥ - ١٧٦.

[٩] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٩.

[١٠] المصدر نفسه ، ص٥٧.

اما الطرف الثاني فقد ناصر بقي بن مخلد ووقف الى جانبه ، وفي مقدمتهم هاشم بـــن عبد العزيز[١]. والذي كان وزيراً للامير محمد كما كان اثيراً لديه ومقرباً منه[٢]. وممن ناصر بقي بن مخلد ايضاً ، ابو وهب عبد الاعلى بن وهب الذي كان من فقهاء المشاورة ولم يكن له معرفة بعلم الحديث النبوي الشريف ، وقد رفض الشهادة ضد بقي بن مخلد[٣]. وهناك طـــرف ثالث وقف مع الجانبين في الظاهر ، جانب بقي بن مخلد وجانب اعدائه وفي النهاية انحاز الى جانب الاعداء منهم محمد بن حارث الخشني صاحب الـــصلاة والـــشرطة[٤]. ومحمـــد بـــن وضاح[٥] والذي عَدَّ محمد بن وضاح ايضاً من اوائل من ادخل علم الحديث النبوي الـــشريف الى الاندلس ، وبه وببقي بن مخلد اصبحت الاندلس دار حديث[٦].

ب- حيثيات القضية

عند عودة بقي بن مخلد من رحلته الى المشرق قام بنشر ما جـــاء بـــه ودخـــل فـــي مناقشات عدة مع فقهاء المالكية حوله ، وظهر لهم جدة ما جاء به بقي بن مخلد واختلافه عنهم ، منها احكام واراء فقهية تخالف ارائهم[٧]. بالرغم من انه كان يفتي حسب المـــذهب المـــالكي ولم يخرج عنه في الاحكام الفقهية ، لمعرفته ان الفتوى في الاندلس بموجب المذهب المـــالكي فقط[٨]. بحيث تفوق عليهم حتى في الفقه المالكي[٩]. الا انه في قرارة نفسه كان لا يقلد فقيهـــاً اخر ، ويضع الحديث النبوي الشريف بالدرجة الاولى ويأخذ بما يظهر منه[١٠]. ومن ذلك قيام بقي بن مخلد برفع اليدين عند التكبير في الركوع مما لم يوجد في الفقه المالكي[١١]. وقد كـــان

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٤٣ ، ٥٧ ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٤٨ ، ٢٥٥ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق: ١١٠/٢.

[٢] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٥٩.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٢٥٨ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٢٣/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٥/٤-٢٤٦.

[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٧ ؛ صاحب الشرطة ، من الخطط الادارية في الاندلس ظهرت في عصر الامارة ، تولاها احياناً الفقهاء لعلاقتها التنفيذية بالقضاء. امين ، المرجع السابق ، ص١٧٤.

[٥] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٦١.

[٦] ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٧/١-١٨.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٧.

[٨] المصدر نفسه ، ص٥٥.

[٩] المصدر نفسه ص٥٨.

[١٠] المصدر نفسه ص٥٥.

[١١] المصدر نفسه ص٣٧.

بقي بن مخلد طموحاً ازاء العلم الجديد ، فهو لم يكتف بالدعوة لدراسته وانما بيَّن اهمية الرجوع الى الحديث النبوي الشريف ، وشرع بقراءة ما جاء به على الناس وتوضيحه لهم فاقبل الطلاب الطامحون الى الاخذ عنه ، بعد ادراكهم انهم امام مستوى جديد من العلم ، وهذا شكل تهديداً لمصالح فقهاء المالكية مما يمكن ان يزعزع مراكزهم لدى السلطة[١].

فبدأت المرحلة الاولى لحرب بقي بن مخلد مع فقهاء المالكية بمحاولة التقليل من اهمية ما جاء به امام العامة وتحريضهم عليه[٢]. وهنا برز اسم اصبغ بن خليل الذي عارض بشدة رواية بقي بن مخلد **لمسند ابن ابي شيبة** في الاندلس وقال عنه: ((لأن يكون في تابوتي راس خنزير احب الي من ان يكون فيه **مسند ابن ابي شيبة**))[٣]. مع ان **مسند ابن ابي شيبة** لا يوجد فيه ما يستوجب كل هذا النفور منه ، فهو عبارة عن مجموع احاديث مرتبة على اصحاب السند ، ولكن عبر ذلك عن تعصب اصبغ بن خليل لعدم معرفته بعلم الحديث النبوي الشريف[٤]. حتى انه كان يخطئ بقراءة اسماء بعض الصحابة[٥]. وكل ذلك لصرف العامة عن سماعه ، بل ان الفقهاء حاولوا منع بقي بن مخلد من رواية **مسند ابن ابي شيبة**[٦].

بل ان شدة تعصب اصبغ بن خليل تجاه ما جاء به بقي بن مخلد ، دفعته الى ان يتجرأ ويضع حديثين عن الرسول ﷺ تتعلق برفع اليدين في الصلاة ، تعارض ما عمل به بقي بن مخلد من رفعه لليدين عند التكبير في الركوع ، ولكن مع ذنبه في وضع الحديثين فانه لم يُحكم وضع سنديهما المفتعلان لقلة معرفته بعلم رجال الحديث النبوي الشريف ، فكان من الواضح افتعال الحديثين[٧]. ويبدو ان محمد بن عبد السلام الخشني حورب في هذا الوقت بتحريض العامة بعدم الاخذ عنه لا سيما علوم الحديث النبوي الشريف ، فقد عُرِف اولاً في الاندلس بروايته لعلوم اللغة والادب ، فاحزنه ذلك كثيراً ودفعه الى التوقف عن روايتهما وحاول الاقتصار على رواية الحديث النبوي الشريف[٨].

---

(١) مؤنس ، المرجع السابق ، ص٤٧.

(٢) الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥١ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق: ١٠٩/٢ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٩.

(٣) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٥٢/٤.

(٤) مؤنس ، المرجع السابق ، ص٤٨.

(٥) ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٩٤/١.

(٦) الضبي ، المصدر السابق ، ص١٥ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٩.

(٧) الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٣٧ ؛ ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٩٣/٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢١٥/٤.

(٨) الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٣٣.

ويظهر ان فقهاء قرطبة ادركوا ان تحريض العامة ومنع بقي بن مخلد والخشني من الرواية لم يُجدِ في تحجيمهما ، فتصاعدت الخصومة باتهام بقي بن مخلد والخشني بالبدعة والزندقة وطلبوا قتلهما لذلك[١]. وعُرِضت القضية على الجهات المختصة وكُلِّف محمد بن حارث صاحب الشرطة بالتحقيق معهما ، ومنع بقي بن مخلد من الاجتماع بطلبته وعقد مجالس الرواية ، وكان عبد الله بن خالد يشدد على محمد بن حارث بمتابعة ذلك ، وكلما علم باجتماع بقي بن مخلد بطلابه واصحابه ابلغ محمد بن حارث بذلك ليمنعه ، في حين كان محمد بن حارث متعاطفاً مع بقي بن مخلد فكلما أُبلِغ باجتماع بقي بن مخلد ، يطلب في مجلسه من اعوانه التجهيز للذهاب الى فض ذلك الاجتماع علناً ، بحيث يسمع ذلك الحاضرون في المجلس ويتماهل باصدار امر الخروج مدة من الوقت تكون كافية لكي يصل الخبر الى بقي ابن مخلد فيفض مجلسه ، وعندما يصل اعوان محمد بن حارث الى مكان اجتماع بقي بن مخلد لا يجدون احداً[٢].

وفي هذا الوقت كان فقهاء قرطبة يجمعون الشهادات التي تؤيد اتهام بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني بالزندقة[٣]. وممن شهد على بقي بن مخلد بالزندقة محمد بن وضاح ، الذي كان اذا التقى ببقي بن مخلد يشجعه ويحثه على التمسك بفقهه ولكن عندما طُلِبت شهادته باتهام بقي بن مخلد قدمها مؤيداً[٤]. حيث هدده فقهاء قرطبة باتهامه مع بقي بن مخلد بتأييده له اذا لم يقدم شهادته ضده[٥]. اما عبد الاعلى بن وهب فأبى من الشهادة على بقي بن مخلد ، حيث ارسل إليه القائمون على جمع تلك الشهادات ، فذهب إليهم وحاججهم ببطلان ما يرمون به بقي بن مخلد ورفض تقديم شهادته[٦]. ويبدو انهم لاحقوا ايضاً من وقف الى جانب بقي بن مخلد من الفقهاء لتأييدهم له[٧].

واصدر اثناء ذلك محمد بن حارث امراً بالقاء القبض على بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني ، للتحقيق معهما تمهيداً لعرضهما امام القضاء ، فاستخفى بقي بن مخلد اما الخشني فرفض ذلك وابى ان يستخفي ، فالقى محمد بن حارث القبض عليه وحقق معه ثم

---

[١] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق: ١١٠/٢.

[٢] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٧.

[٣] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٥١.

[٤] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١٦١.

[٥] المصدر نفسه ، ص٥٧.

[٦] المصدر نفسه ، ص٢٦١.

[٧] المصدر نفسه ، ص٢١٥.

حبسه[١]. اما بقي بن مخلد فقد قرر الخروج من الاندلس فراراً مما يُعَدَّ له الى ان تمكن من الاختباء لدى الوزير هاشم بن عبد العزيز[٢]. وقد بقي عنده بحدود العشرين يوم[٣]. في حين انتهى التحقيق في التهمة الموجهة الى بقي بن مخلد والخشني ، ورُفِعَتْ القضية امام القضاء لاتخاذ الحكم النهائي ، وكان القاضي عمرو بن عبد الله (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) الذي اخذ بالشهادات التي عرضت عليه وصدق الحجج التي قدمها الفقهاء خصوم بقي بن مخلد ، فطلب بقي بن مخلد للمثول امام القضاء لمحاكمته فلم يحضر[٤].

فقام بقي بن مخلد بكتابة رسالة الى الامير محمد بن عبد الرحمن[٥] عرض فيها قضيته ، وطلب منه التأكد من التهمة الموجهة اليه ، وليثبت موقفه عرض للامير رغبته بان يجتمع بخصومه ويناظرهم بالمآخذ التي اخذوها عليه ، وتولى هاشم بن عبد العزيز ايصال الرسالة الى الامير محمد وشرح له من جهته الظلم الذي وقع على بقي بن مخلد ، فامر الامير محمد باحضار بقي بن مخلد وخصومه لديه ، فحظروا وناظرهم بقي وتغلب عليهم في تلك المناظرة بحيث استبان للامير محمد بطلان اتهام بقي بن مخلد وان التهمة ملفقة له حسداً من الفقهاء لتفوقه عليهم[٦]. وقد قام هاشم بن عبد العزيز باحضار **مسند ابن ابي شيبة** وقدمه للامير محمد وقال له: ((على ما في هذا الكتاب يريد القوم قتل بقي بن مخلد))[٧] ، فتصفحه الامير ولم يجد فيه شيئاً يدعو الى اتهام بقي بن مخلد بما أُتّهِم به ، بل انه اشاد بالكتاب وطلب ان تنسخ منه نسخة وتوضع في خزانة كتبه ، ثم طلب من بقي بن مخلد ان ينشر علمه ويروي ما لديه من حديث نبوي شريف ونهى الفقهاء ان يتعرضوا له[٨].

اما بخصوص ما عُرِض على القضاء ضد بقي بن مخلد ، فليس بامكان الامير منع القاضي من الاستمرار من التحقيق في القضية والحكم فيها ، وذلك اذا اصر الفقهاء الذين

---

[١] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٨ ؛ ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩.

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٤٩ ؛ ابن عذارى ، المصدر السابق: ١١٠/٢.

[٣] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٦٠.

[٤] المصدر نفسه ، ص٥٨.

[٥] تولى امارة الاندلس سنة (٢٣٨هـ / ٨٥٢م) بعد وفاة ابيه وبقي فيه الى ان مات سنة (٢٧٣هـ / ٨٨٦م) وازدهرت العلوم في عهده بالاندلس لاهتمامه بالعلم. عبد الوحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٩.

[٦] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٤٩ - ٢٥٠.

[٧] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٨.

[٨] الضبي ، المصدر السابق ، ص١٥ ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص٤٩ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ٥٢/١.

عرضوا القضية على القضاء على موقفهم وتقديم شهاداتهم ضد بقي بن مخلد كما لا يمكن للامير ايضاً ان يرُد تلك الشهادات ، فاحتار الامير من ذلك خصوصاً انه ايقن ببراءة بقي بن مخلد وببطلان ما اتُّهِم به واراد ان يحقق العدل ، فاشار عليه هاشم بن عبد العزيز بعزل عبد الله بن عمرو عن القضاء وبهذا تقفل القضية لعزل القاضي ولا تفتح الا اذا اعاد الفقهاء المشتكين طلب ذلك من القاضي الجديد ، وسوف لا يجرؤ الفقهاء على ذلك تقديراً للامير بعد تصريحه بتاييده لبقي بن مخلد وعزله القاضي ، وبهذا اقفلت قضية بقي بن مخلد[١].

اما محمد بن عبد السلام الخشني فقد تولى هاشم بن عبد العزيز امره ايضاً واخبر الامير محمد بما تعرض له وبحبسه ، ولا بد ان ذلك كان في نفس الوقت الذي عرض فيه على الامير قضية بقي بن مخلد ، فامر الامير محمد باطلاق سراح الخشني والاعتذار اليه[٢]. وطلب منه ايضاً ان ينشر علمه ويروي ما لديه فكان الخشني كلما جلس لاسماع الحديث النبوي الشريف بدأ مجلسه بالدعاء للامير محمد وختمه به[٣]. وقد اقبل أهل الاندلس بعد ذلك بكثرة لاخذ الحديث النبوي الشريف عنه[٤] ، بينما حظي بقي بن مخلد بمكانة جيدة لدى الامير محمد وحصل على النفوذ الذي خاصمه فقهاء قرطبة لمنعه من الحصول عليه[٥]. واقبل أهل الاندلس على الاخذ من علمه. ويبدو ان علاقته بعد ذلك بالفقهاء الذين خاصموه كانت بأضيق الحدود ، ولكنه كان شديد التاثر بموقف محمد بن وضاح منه ، وقد ساله احد اصحابه هل يحضر جنازة محمد بن وضاح اذا مات؟ فاجاب: ((لا والله كيف احضر جنازة رجل بات معي طوال الليل يشجعني ويقول: ارتفد في هذا الامر فبك ارجو ظهوره ، ثم يصبح غدوة فيشهد علي)) وكان لا يرى بان يأخذ طلابه عن محمد بن وضاح[٦].

وقد انتقل صدى قضية بقي بن مخلد الى المشرق حيث اراد محمد بن قاسم بن محمد الاخذ عن احد الشيوخ في رحلته الى المشرق لطلب العلم ، فزجره الشيخ وقال له: ((انت من أهل بلد راموا قتل رواة احاديث رسول الله ﷺ قال: قلت: اني احد المقوّم عليهم والمطلوبين فيهم انا ابن قاسم بن محمد))[٧].

---

[١] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٧٣.

[٢] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص٢٥٥.

[٣] المصدر نفسه ، ص٢٥٢.

[٤] المصدر نفسه ، ص٢٥٥.

[٥] الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص٥٦.

[٦] المصدر نفسه ، ص٦٠.

[٧] المصدر نفسه ، ص٢١٥.

ثالثاً: الطعن في صحة الرواية والسماع.

كان التشكيك بموثوقية السماع ودقة صاحبه وصدقه في الحصول عليه ، من اسباب نشوء الخصومة بين الفقهاء والاتهام بالكذب والتشكيك في الثقة ، من اكبر التهم التي تثير المتهم بها فذلك طعن في شخصيته العلمية وتجريح له.

من ذلك الخصومة التي كانت بين سحنون وعون بن يوسف الخزاعي (ت٢٣٩هـ / ٨٥٣م) حيث شُهِر عون بن يوسف بروايته **كتب ابن وهب** ، وقد التقى بابن وهب في مصر سنة (١٨٠هـ / ٧٩٦م) عند رحلته اليها لطلب العلم واخذ عنه كثيراً ولازمه وتفقه عنده[١]. وعند عودته الى القيروان قام باسماع **كتب ابن وهب** باعتباره اخذها قراءة عنه[٢] ، فكذبه سحنون في ذلك وشكك بصحة سماعه وقال انه اخذ **كتب ابن وهب** اجازة ، ولم يسمع منه مباشرة ولهذا كان يعيب الاخذ عنه[٣]. وممن اخذ عن عون بن يوسف **كتب ابن وهب** ، بكر بن حماد (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) الذي كان محدثاً مشهوراً وعرف باتقانه علم الرجال[٤]. وقد سأل عون بن يوسف عن ما يقال عنه بخصوص **كتب ابن وهب** وذلك بعد انتهى من قراءتها عليه ، فأثار ذلك غضب عون بن يوسف ودعى بالسوء على من يتهمه في صحة سماعه واكد انه اخذ **كتب ابن وهب** قراءة على ابن وهب ، وانه كان بامكانه اخذها اجازة عنه من دون ان يقرأها عليه لكنه لم يفضل ذلك[٥]. وقد حاول احد ولاة القيروان استغلال هذه الخصومة بين عون بن يوسف وسحنون لصالحه ، فقد كان يحاول الدس على سحنون ويكرهه ، فطلب من عون بن يوسف ان يشهد بالسوء على سحنون فرفض ذلك وقال: ((سبحان الله مثلي يكشف - او يسأل - عن سحنون؟ والله ان سحنون لافضل واخير من يسال مثلي عنه))[٦].

وقد بَلّغَ سحنون ايضاً ان محمد بن رزين (ت٢٥٥هـ / ٨٦٨م) يروي حديثاً عن عبد الله بن نافع ، فاستغرب سحنون ذلك وارسل في طلب محمد بن رزين ليستفسر منه عن حقيقة الموضوع وسأله مباشرة: ((انت سمعت من ابن نافع)) ، وذلك لان سحنون ومن اخذ ذلك الحديث عن محمد بن رزين ظن ان ابن نافع المقصود هو عبد الله بن نافع الصائغ

---

(١) ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٨٩ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٠/٤.

(٢) القراءة ، نوع من انواع الرواية وذلك بقراءة الطالب المادة على شيخه فيحق له رواية ما قرأه. القاضي عياض ، الالماع ، ص٧٠.

(٣) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٩٠/٤.

(٤) ابن الدباغ ، المصدر السابق: ١٨٢/٢.

(٥) ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٨٩ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٨٩/٤.

(٦) المصدر نفسه: ٩٠/٤.

(ت١٨٦هــ / ٨٠٢م)[١]. والصائغ هو من اصحاب الامام مالك ويعتبر في مقدمـــة اصـــحاب الامام مالك في رواية الحديث عنه ، وقد سمع سحنون منه[٢] ، وفي الحقيقـــة ان محمـــد بـــن رزين لم يدرك ابن الصائغ ولم يأخذ عنه[٣] ، وانما اخذ عن عبـــد الله بـــن نـــافع الزبيـــري (ت٢١٦هــ / ٨٣١م) وهذا ما اجاب به سحنون عندما ساله[٤]. وعبد الله بن نـــافع الزبيـــري يعتبر من متأخري اصحاب الامام مالك وكثيراً ما اختلط عند الفقهاء روايتهما عـــن الزبيـــري والصائغ بل ان اكثرهم لم يعلم انهما شخصين[٥]. ويبدو ان محمد بن رزين تعمد ان لا يوضح ان ابن نافع الذي اخذ عنه الزبيري وليس الصائغ ليُقبِل الطلاب على الاخذ عنه ، وهـــذا مـــا فطن اليه سحنون ولم يرض عنه ولهذا وبخ محمد بن رزين واتهمه بالتدليس[٦] ، وعلق علـــى ذلك بقوله: ((ماذا يخرج بعدي من العقارب))[٧].

اما ابو خارجة عنبسة بن خارجة فقد كان يروي عن سفيان الثوري[٨] ، واتهمه ذبـــيح الذي رافقه في رحلته في طلب العلم بانه لم يسمع من سفيان الثوري لانه مات عندما وصـــلوا اليه ، وادى اتهامه هذا الى ان يُشكك بصحة سماعه ، وقد سأله احدهم انه كـــان ســـمع مـــن سفيان الثوري فغضب ابو خارجة من ذلك السؤال واجاب بحنق: ((نعم انا سمعت من ســـفيان انا سمعت من سفيان))[٩]. وقد كان ذبيح ثقة من اصحاب البهلول بن راشد[١٠] ، وقد سوغ ابـــو العرب حجته على ابي خارجة بانهما توجها معاً الى سفيان الثوري فوجداه قد مات ، بان ابـــا خارجة سمع من سفيان الثوري في مرة سابقة قبل تلك التي ذهب فيها مع ذبيح ، لا سيما وان ابا خارجة شخص ثقة ومن الصعب التشكيك في صحة سماعه[١١]. ولم يقدم ابو العـــرب مـــا

---

[١] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٦/١ ، ١٩١/٤.

[٢] المصدر نفسه: ١٢٨/٣-١٢٩.

[٣] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص٢٠٥.

[٤] المصدر والمكان نفساهما ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٦/١ ، ١٩١/٤.

[٥] المصدر نفسه: ١٧/١.

[٦] المدلسون هم الذين لا يميز من كتب عنهم بين ما سمعوه وما لم يسمعوه لتعمدهم اخفاء ذلك. النيسابوري ، المصدر السابق ، ص١٠٣.

[٧] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٧/١ ، ١٩١/٤.

[٨] سفيان الثوري (ت ١٦١هــ /٧٧٧م) ابرز علماء الحديث لهذا سمي امير مؤمني الحديث ولد ونـــشأ فـــي الكوفة ثم سكن مكة والمدينة وتوفي في البصرة. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد: ١٠١/٩ ؛ ابن حجـــر ، التهذيب: ١١١/٤.

[٩] ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٥١.

[١٠] المصدر نفسه ، ص١٧٠.

[١١] المصدر نفسه ، ص١٥١

يسند رأيه ذلك غير تخمينه. وقد اخذ عن ابي خارجة روايته عن سفيان الثوري العديد من فقهاء القيروان منهم البهلول بن راشد الذي اخذ عنه **جامع سفيان**[١].

وقد أُتهِم يحيى بن عمر ايضاً بمثل ما اتهِم به ابو خارجة وذلك في سماعه **الموطأ** من ابن بكير ، وابن بكير (ت٢٣١هـ / ٨٤٥م) هو احد اصحاب الامام مالك وقد روى عنه **الموطأ**[٢]. وفرات بن محمد هو من اتهم يحيى بن عمر ، حيث حلف على انه كان ملازماً لابن بكير حتى وفاته وانه التقى بيحيى بن عمر عند انصرافه من جنازة ابن بكير ، وقد سأله يحيى بن عمر عن ابن بكير فاخبره بوفاته فتأسف يحيى بن عمر عليه وقال: ((فاتني الشيخ))[٣]. وقد فند لقمان بن يوسف اتهام فرات بن محمد ، حيث التقى بمصر بروح بن الفرج وسأله عن سماع يحيى بن عمر من ابن بكير فأكده له ، بأنهما سمعا سوية من ابي بكير **الموطأ**[٤]. وقد علل لقمان بن يوسف اتهام فرات بن محمد ، انّ يحيى بن عمر رحل الى مصر مرتين ويبدو انه سمع من ابي بكير في رحلته الاولى ، والتي لازم فيها فرات بن محمد ابن بكير كان اثناء رحلة يحيى بن عمر الثانية[٥]. كما كان فرات بن محمد متهماً بالكذب[٦]. وليس فرات بن محمد فقط من اتهم يحيى بن عمر في سماعه ، فان اصحاب سحنون ايضاً نفوا اخذ يحيى بن عمر عن سحنون ، وذلك لانهم لم يروه عند سحنون ابداً فرد يحيى بن عمر على ذلك بانه سمع من سحنون عندما كان بالبادية ولم يسمع منه في القيروان[٧].

وفي الاندلس اتهم يحيى بن مزين الفقيه محمد بن يوسف مطروح بروايته عن ابن عبد الرحمن المقرئ ، حيث رحل ابن مزين ويوسف بن مطروح سوياً الى مكة وسألوا عن ابي عبد الرحمن المقرئ للاخذ عنه فوجدوه قد مات ، ومع هذا فان يوسف مطروح عند عودته الى الاندلس ادعى السماع عن ابي عبد الرحمن المقرئ وحدث الناس عنه[٨].

---

(١) ابو العرب ، المصدر السابق ، ص١٢٧ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤١/١ ، ٨٧/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٩/٣.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦٢/٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦٢/٤ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٣٣/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٢٣٤/٢.

(٦) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٤١٠/٤.

(٧) المصدر نفسه: ٣٦٣/٤ ؛ ابن الدباغ ، المصدر السابق: ٢٣٤/٢.

(٨) الخشني ، اخبار الفقهاء ، ص١١٨ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٤٩/٤.

رابعاً: المنافسة العلمية:

ولد احياناً ظهور اكثر من فقيه لهم نفس المكانة العلمية في وقت واحد تنافساً بينهم لاثبات تفوّقهم واحتفاظهم بمكانتهم العلمية. من ذلك خصومة ابو بكر احمد بن عبد الرحمن في القيروان لابي عمران الفاسي ، وكان الاثنان في وقتهما في مقدمة فقهاء القيروان[١]. وبسبب ذلك كان النفور والتباعد واضحاً بينهما[٢]. وبدأت تلك الخصومة منذ ورود ابو عمران الفاسي الى القيروان وذاع صيته العلمي بها ، بحيث قرر كبار اصحاب ابو بكر بن عبد الرحمن التوجه اليه مع معرفتهم ان ذلك سوف لا يعجب ابو بكر ويثير غضبه عليهم ، وفعلاً بعد ذهابهم الى ابي عمران هجرهم شيخهم ابو بكر بن عبد الرحمن ودعا عليهم[٣]. وقد حاول احد ولاة افريقية استغلال تلك الخصومة لتحقيق غاية في نفسه ، لكن لم يسمح الاثنين للمغرضين من استغلال خلافهم واعطائه ابعاداً اخرى[٤].

وفي قرطبة كان ابو عمر احمد بن القطان (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) وابو عبد الله بن عتاب في مقدمة فقهائها ومفتيها ، مما مهد لنشوء الخصومة والفرقة بينهما ، فقد خالف ابن القطان ابن عتاب دائماً ، اذ تقدم عليه ابن عتاب لسنه فهو اكبر من ابن عتاب مع قوة في الحفظ ، اما ابن عتاب فقد فاق ابن القطان بسعة معرفته[٥]. وفي قرطبة ايضاً نشأت منافسة بين عبد الله بن ابراهيم الاصيلي والقاضي محمد بن يبقى بن زرب مما ولد خصومة بين الاثنين[٦]. وذلك بعد تولي الحاجب المنصور السلطة حيث علا شأن الاصيلي لديه بعد دخوله الاندلس[٧]. ومن ذلك الوقت بان تفوقه العلمي وبدات المنافسة بينه وبين محمد بن يبقى واصحابه ، وقد اراد الحاجب المنصور التقليل من حدة المنافسة والخصومة بينهما بتفريقهم ، فعين الاصيلي قاضياً على سرقسطة ، لكنه لم يبق فيها طويلاً حيث استعفى وعاد الى قرطبة ، وبعد وفاة محمد بن يبقى سنة (٣٨١هـ / ٩٩١م) تفرد الاصيلي بتفوقه ولم يجد من ينافسه[٨]. وقد نافس محمد بن يبقى فقيه اخر برز في قرطبة هو محمد بن احمد بن العطار.

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ٢٣٩/٧.

[٢] المصدر نفسه: ٢٤٠/٧.

[٣] المصدر نفسه: ٢٤٨/٧.

[٤] المصدر نفسه: ٢٤٠/٧.

[٥] المصدر نفسه: ١٣٥/٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٤٠.

[٦] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٢/٧.

[٧] المصدر نفسه: ١٣٥/٧.

[٨] المصدر نفسه: ١٤٢/٧.

والذي دخل في خصومة اقوى مع محمد بن يبقى وغيره من فقهاء قرطبة وفيما يلي تفاصيل قضيته.

قضية ابن العطار (انموذجاً):

دخل ابن العطار في خصومة مع فقهاء قرطبة وسببها المنافسة العلمية بينهم ، لا سيما من كان معه من فقهاء المشاورة ، وذلك لتفوق ابن العطار عليهم في علمي اللغة والنحو ، وكان متباهياً بذلك[١]. وانتقص غيره من فقهاء قرطبة ممن كانت معرفته قليلة بعلمي اللغة والنحو ، وكلما سنحت له الفرصة بيّن تفوقه عليهم فيهما ، من ذلك ما حدث في المجلس الذي عقده الحاجب المنصور ابن ابي عامر للمناظرة في **الموطأ** حيث ركز فيه ابن العطار على تدقيق معاني **الموطأ** وتبيان غريب اللغة فيه ، وعجز بقية الفقهاء عن مجاراته في ذلك وبان بذلك قلة علمهم باللغة والنحو[٢].

وبالاضافة الى ذلك كان ابن العطار شكساً في طبعه ، ففي مجلس من مجالس المشاورة ضم اليه موسى بن احمد الوتد (ت٣٩٧هـ / ١٠٠٦م) عبد الله بن ابراهيم الاصيلي واحمد بن عبد الملك ، وابن المكوي ، اختلف مع الوتد في المسألة المطروحة واصر الاثنان على رايهما الى ان خرجا الى المهاترة ، ولذلك ترك المجلس احتجاجا الاصيلي وابن المكوي، وزادت حدة الكلام بين الوتد وابن العطار فلم يتمالك ابن العطار نفسه فضرب الوتد بدواة كانت موجودة ، فلم يرض الفقهاء عن فعلته تلك وقرروا ان لا يحضروا أي مجلس شورى ابن العطار فيه ، فكان القضاة بعد ذلك اذا احتاجوا الى مشورة ارسلوا اليه وحده بعيداً عن بقية فقهاء المشاورة[٣].

ومع هذا تمادى ابن العطار في سوء علاقته مع الفقهاء فكان يتتبع اخطائهم اللغوية والنحوية ، ويكشفها للناس ، وبلغ به الامر الى ان اعترض القاضي محمد بن يبقى بن زرب في احدى خطب الجمعة ، وابان له خطأين امام الناس مما اثار استياء وغضب القاضي محمد بن يبقى[٤]. وبهذا خسر ابن العطار نصيره الاول ، فقد كان محمد بن يبقى مقدماً له وهو من رشحه للمشاورة[٥]. وبهذا اشتدت خصومة الفقهاء له واعتراضهم عليه ، وقد اراد ان يتدارك نفسه وسعى الى تحسين علاقته بمحمد بن يبقى ، لكنه لم يتجاوب معه بذلك ومع هذا لم

---

[١] القاض عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٨/٧ ؛ ابن فرحون ، الديباج ، ص٢٦٩.

[٢] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٤٩/٧.

[٣] المصدر نفسه: ١٤٩/٧.

[٤] المصدر نفسه: ١٥٠/٧.

[٥] المصدر نفسه: ١٤٨/٧.

يستطع الفقهاء النيل منه لحظوته لدى الحاجب المنصور واعجابه به[١]. الى ان وصل به الامر الى حد ان ابان للحاجب المنصور خطأً لغوياً وقع به في احد المجالس ، ومع ان ابن العطار حاول توضيح الخطأ بصورة لبقة وغير مباشرة الا ان الحاجب المنصور فطن الى مراده ولم يقبل ذلك منه ، وامر باحضار عالم لغوي للتاكد من صحة راي ابن العطار ، فدخل صاعد بن الحسن[٢] والذي رجح طبعاً راي الحاجب المنصور ، وبهذا فقد ابن العطار نصيره القوي حيث لم يغفر الحاجب المنصور له ذلك ، وفسح المجال لخصومه للنيل منه[٣].

ولم يفوت الفقهاء خصوم ابن العطار الفرصة ، ويقول ابن بشكوال[٤] عن ذلك: ((وجرت له مع بعض فقهاء قرطبة وقاضيها خطوب طويلة واخبار مشهورة)). حيث عمل الفقهاء وفي مقدمتهم القاضي محمد بن زرب على تجريحه والطعن في شخصيته ، وقاموا بجمع الشهادات التي تؤيد ذلك لعرضها على الحاجب المنصور وبناءاً عليه اصدر القاضي فيه سجلاً بسخطته ، بموجبه مُنع من الفتوى فاخرج من الشورى ولم تقبل شهادته اذا حصل واداها امام القضاء[٥]. كما امره الحاجب المنصور بالتزام داره وعدم الالتقاء بطلابه[٦]. ومع هذا فقد وجد ابن العطار من يقف الى جانبه من الفقهاء نصرة للحق ، ومنهم ابن المكوي الذي رفض منذ البداية هو وصاعد ان يشهدا عليه بالسوء عندما طلب الفقهاء شهادتهما[٧]. وقد قال ابن المكوي لمن طالبه بالشهادة: ((ما اعلم فيه جرحه اشهد بها مع انه كان يؤذيني في مجالس الشورى بلسانه))[٨]. وسعى ابن المكوي الى نصرة ابن العطار وتبيان الظلم الذي لحقه ، فكان دائماً يستشنع ما شُهد به عليه وقد ساءت علاقته بمحمد بن زرب من جراء ذلك[٩].

وقد حاول ابن العطار بدوره استعطاف الحاجب المنصور وبعث له بقصيدة شعرية تضمنت ذلك واشار الى ان موقف الفقهاء منه اساسه حسداً له ومنها الابيات الاتية:

---

(١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٠/٥.

(٢) من علماء اللغة العربية البغداديين دخل الاندلس سنة (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) وروى فيها العديد من مؤلفات علوم اللغة العربية وادابها ، وقد نال حظوة عند الحاجب المنصور. ابن بشكوال ، المصدر السابق: ٢٣٧/١.

(٣) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥١/٧.

(٤) المصدر السابق: ٤٨٥/٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٥١/٥.

(٦) المصدر نفسه: ١٥٢/٧.

(٧) المصدر نفسه: ١٥١/٧.

(٨) المصدر نفسه: ١٥٢/٧.

(٩) المصدر والمكان نفساهما.

بالله والحاجب المنصور اعتصم	من حاسد وبنصر الله انتقم
الظلم فيما رويناه ونعلمه	يوم الحساب على اربابه ظلم
والافك والبغي معدولان عن رجل	له حشاشة دين او له كرم
هل من رأى عجباً مثلي ومثلهم	بان تحاوره الغربان والرخم
ومالنا عندهم ذنب سوى حسد	نيرانه داخل الاحشاء تضطرم

ولكن تدخل الفقيه الوتد ودس فيها بيتاً شعرياً في ذم القاضي محمد بن يبقى ، مما اثار حفيظته وقال: ((لو كنت شاعراً لاجبته)) فتولى الوتد ذلك وكتب قصيدة ناقض بها قصيدة ابن العطار وبنفس الوزن والقافية[١].

اما المنصور بن ابي عامر فقد مال بعد ذلك الى جانب ابن العطار لكثرة الظلم الذي لحقه ، ولكنه لم يتخذ أي خطوة ايجابية تجاهه لاستحيائه من قاضيه محمد بن يبقى[٢]. الى ان توفي القاضي محمد بن يبقى وذلك في سنة (٣٨١هـ / ٩٩١م) وقد تأثر ابن العطار بالمحنة التي مر بها فتغيرت اخلاقه ولانت طباعه ، ففكر الحاجب المنصور بقضيته ورغب باعادة ابن العطار الى سابق ما كان عليه والسماح للناس بالاستفادة من علمه ، ولكن سجل السخطة الذي سُجِّلَ عليه لا يمكن ان يُحَل ، فاخبره احد جلسائه انه يمكن معارضة ذلك السجل بتقديم شهادات تدل على صلاح حال ابن العطار وتغير احواله نحو الاحسن بعد اصدار السجل عنه وانه الان أهل للفتوى ، فكلف الحاجب المنصور صاحب الشرطة بمتابعة ذلك فجمع شهادات الفقهاء وشهد غالبيتهم لصالح ابن العطار ، ورفعت تلك الشهادات الى الحاجب المنصور والذي جمع فقهاء المشاورة وعرضها عليهم فقرروا اسقاط السخطة عنه[٣].

وبعد ذلك استقام حال ابن العطار وكانت علاقته جيدة بالقاضي انذاك زكرياء بن يحيى بن برطال (ت٣٥٩هـ / ٩٦٩م) الا انه كان يعود احياناً الى طبعه القديم في اذية الفقهاء ، ومنهم احمد بن عبد الله بن ذكوان والذي ساءت علاقته اكثر بابن العطار بعد تولية القضاء ، وصرح بانه لم يكن يحبذ رفع السخطة عن ابن العطار ، فاستعرت على اثر ذلك الخصومة بينهما ، ومع علو شأن ابن ذكوان ايام عبد الملك المظفر[٤] ازداد كره ابن العطار له وتحين الفرص للايقاع بابن ذكوان وواتته الفرصة في ايام المهدي ، ولكن المنيّة سبقته فتوفي ولم

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٢/٧.

[٢] المصدر نفسه: ١٥٣/٧.

[٣] المصدر نفسه: ١٥٤/٧.

[٤] من ابناء الاسرة العامرية التي حكمت الاندلس في النصف الثاني من القرن (الرابع للهجرة / العاشر للميلاد) ، تولى الحكم سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠١م) بعد وفاة ابيه محمد بن المنصور وبقي فيه الى وفاته سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م). ابن بسام ، المصدر السابق: ٥٥/١/٤.

ينفذ ما اضمره لابن ذكوان[١]. ومع ذلك فقد امّ ابن ذكوان الصلاة على جنازته وجزع طـــلاب العلم لوفاته جزعاً شديداً[٢].

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٥/٥.

[٢] المصدر نفسه: ١٥٨/٥.

خامساً: المحاسبة بعد العزل عن القضاء

نشأت الخصومة احياناً بين القضاة وذلك عند تسليم القاضي السابق عهدته الى القاضي الذي ولِّيَ مكانه ، فيقوم الاخير بالاستقصاء على القاضي السابق ومحاسبته اذا وجد تقصيراً في عمله. من ذلك ما حصل بين القاضي عمرو بن عبد الله وسليمان بن اسود بعد عزل سليمان بن اسود عن القضاء سنة (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) وتولية عمرو بن عبد الله للقضاء للمرة الثانية ، حيث تعقب عمرو بن عبد الله سليمان بن اسود في بعض الاقضية التي حكم بها ، بحيث ضاق به سليمان بن اسود ، حتى ان احد اصحاب عمرو بن عبد الله نصحه بأن لا يتمادى في استقصائه على سليمان بن اسود لكنه اصر على موقفه ، ومع هذا استطاع سليمان ابن اسود التخلص من مضايقة عمرو بن عبد الله له[١].

ولم ينس سليمان بن اسود ذلك الموقف من عمرو بن عبد الله ، فبعد عزله عن القضاء في المرة الثانية سنة (٢٦٣هـ / ٨٧٦م) وتولية سليمان بن اسود محله ، مشى سليمان على خطى عمرو بن عبد الله تجاهه ، فتعقب اقضيته واستقصى عليه[٢]. ونشأ بينهما من جراء ذلك ما وصفه الخشني[٣] بـ ((احوال شنيعة)). ويبدو ان سليمان بن اسود تضامن في ذلك مع خصوم عمرو بن عبد الله السابقين وفي مقدمتهم الوزير هاشم بن عبد العزيز ، الذي سعى في عزله فهو لم ينس له موقفه من قضية بقي بن مخلد[٤]. والذي اخذ على عمرو بن عبد الله نقص في بعض الودائع المالية التي كانت بامانته وسوء التصرف ببعضها الاخر مما كان له الصلاحية بالتصرف به ، واكتشف سليمان بن اسود ذلك بعد مراجعته لديوان القضاء فوجد غالبية ذلك المال مسجلاً به ، لكنه غير موجود[٥].

من ذلك مال ليتيم اودعه القاضي عند شخص ، وعندما سُئل عنه اجاب انه نسي عند من اودعه ، ويبدو ان سليمان بن اسود عرض هذا على الوزير هاشم بن عبد العزيز الذي ارسل في طلب فقهاء المشاورة وعرضه عليهم فافتوا بان يحلف عمرو بن عبد الله في ذلك ، ولم يرسل هاشم بن عبد العزيز في طلب بقي بن مخلد وظن انه لا يخالف ما سيفتي به الفقهاء بخصوص عمرو بن عبد الله ، لا سيما اذا كان ذلك ضد مصلحة عمرو بن عبد الله لموقفه السابق منه ، وسمع بقي بامر اجتماع الفقهاء فاستطاع ان يحضر الاجتماع في نهايته ، لكنه قدم رأياً مغايراً حيث رفض تحليف عمرو بن عبد الله بل انه رفض اساساً ان يوضع عمرو

---

(١) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٨٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص٨٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص٨٤.
(٤) المصدر نفسه ، ص٨٢ ، ٨٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص٨٣.

ابن عبد الله في موضع الاتهام ، وذلك بحكم موقعه كقاضٍ ، فمجرد اختياره للقضاء من قبل الامير محمد هذا تزكية له ، وعندما رُفِع الموضوع على الامير محمد امر ان يؤخذ برأي بقي بن مخلد ، وهذا لم يعجب هاشم بن عبد العزيز الذي عاتب بقي بن مخلد على موقفه ، فاجاب بانه افتى بالحق ولا يمكنه ان يُفتي بغيره لمجرد ان المخصوص بالموضوع عدوه[١].

بالاضافة الى ذلك يظهر ان هناك سبب اخر ضمني لم يصرح به بقي بن مخلد وهو محاولته تعزيز ثقة الامير محمد به ، فهو افتى بما رآه حقاً وبنفس الوقت لم يُجرِّح في سلامة اختيار الامير محمد لمن ولاه قاضياً. لا سيما وان قضية عمرو بن عبد الله اتضحت اسبابها بتوالي التحقيق بها ، للفقهاء والناس ، فالمال الذي نقص من عهدة القاضي السبب الرئيسي في نقصانه ابنه ابو عمرو عبد الله ، الذي اختلس ذلك المال من دون علم ابيه على ما يبدو.

وثبت ذلك عند التحقيق في موضوع احدى الودائع المفقودة فقد اودع القضاء مبلغاً كبيراً من المال ، ثم اودعه القاضي عند احد الاشخاص العدول ، وحصل ان مات ذلك الشخص ، فاتفق ابو عمرو مع ابناء المتوفي على الاستيلاء على ذلك المال بشرط ان تكون حصة ابو عمرو اكبر لانه سيقوم باقتلاع ذكر ذلك المال من ديوان القضاء ، حيث كان ديوان القضاء مجرد دفتر ولم يكن يوجد شهود على ما مُثبت به ، لهذا من السهل على عمرو اقتلاع الورقة التي تخص المال المختلس مع عدم وجود شهود على ايداع ذلك المال للقضاء ، الا ان ابا عمرو اغفل ذلك ولم ينفذ ما عزم عليه ، وعندما عزل ابيه عن القضاء وجد سليمان بن اسود ذلك المال مثبتاً في الديوان غير انه غير موجود فعلياً ، فطالب به عمرو بن عبد الله ، فانكر عمرو بن عبد الله التهمة وحجته انه لو اختلس المال فعلاً لما ابقى ذكره في الديوان ، فرد عليه سليمان بن اسود ((بخذلان الله تركته))[٢].

كما اكتشف سليمان بن اسود وديعة اخرى غير موجودة وهي وديعة ابن القصيبي ، فقد كان ابن القصيبي تاجراً اوصى بثلث تركته بان يودع لدى القضاء ، ثم يفرق بعد ذلك بمعرفة القاضي ، وكان مقداره عشرة الاف دينار ، وقد اودع عمرو بن عبد الله بدوره ذلك المال عند احد الاشخاص العدول ، فارسل سليمان بن اسود في طلب ذلك الشخص وطالبه بالمال ، فاخبره ان المال كان في يده لوقت طويل ثم اخذه منه القاضي عمرو بن عبد الله ، وكتب له به براءة ذمة كانت موجودة لديه وعرضها على سليمان بن اسود فيها ستة عشر شاهداً على ذلك وبعد ان واجه سليمان بن اسود ، عمرو بن عبد الله بما حدث انكره كله وقال انه لم يقبض المال وان الشهود كاذبين وزعم أنها حيلة دبرت له واستقر راي سليمان على

---

(١) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٨٥-٨٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٤-٨٥.

الحكم على عمرو بتغريمه المال ، فعرض عمرو بن عبد الله قضيته على الامير محمد وانكـر كل ما اتهم به[١].

وامام هذه الاثباتات ضد عمرو بن عبد الله ، وُضِع الامير محمد في موقـف محـرج فهو لا يمكنه التغاضي عما حصل ، كما انه يخشى ان تُهَز هيبة القضاء اذا أُقِرَّت فعلياً الـتهم على عمرو بن عبد الله ، فشاور الفقهاء في ذلك فافتوه بان يؤدي عمرو بن عبـد الله اليمـين ببراءته من تلك التهم ، فاعترض بقي بن مخلد على ذلك واحتج بانه اذا علم العباسـيون فـي المشرق ان القضاة يُحلَّفون في الاندلس تحت حكم الامويين فإن تلك مثلبة سـتؤخذ علـيهم ، ويكون ذلك من اعظم ما يعاب به الامويين عندهم ، فاستحسن الامير رأيه وقـرر ان يُحلّـف عمرو بن عبد الله سراً ، فبعث الامير محمد فتىً من مراسليه الى عمرو بن عبـد الله وحلَّفـه على المصحف ، فحلف عمرو ببراءته من المال المختلس فابرأه الامير محمد[٢].

وقد لام هاشم بن عبد العزيز بقي بن مخلد كثيراً على مشورته التي كانت في صـالح عمرو بن عبد الله ودار بينهما حواراً بان فيه ان لهاشم بن عبد العزيز يداً في كل ما اتهم بـه عمرو بن عبد الله وانه كان يفضل اثبات التهم عليه ومحاسبته حيث قال لبقي بن مخلد: ((مـه والله ما كانت بيني وبين عمرو بن عبد الله حالة موجبة لعداوة ، ولا سعيت في عزله ، عنـد الامير ، الا من سببك ولما اراد ان يفعل بك ، فعلت ذلك لله ﷻ فاتيت انت اليوم فافتيـت فـي امره بفتيا ، هدمت علينا ما كنا بنينا في امره ، وخالفت جميع اصحابك من الفقهاء))[٣].

وقد كان راي غالبية أهل العلم والمعرفة في ذلك الوقت ، ان عمرو بن عبد الله بريء مما اتهم به وانه شخصاً نزيهاً ، واما هو فقد اثر عليه ذلك كثيراً بحيث اصـحابه فيمـا بعـد لطول غمه وحزنه ذهول اخرجه عن حده[٤]. بينما بقي سليمان بن اسود مخاصماً لعمرو بـن عبد الله ، وخلال مدة قضائه بعد عزل عمرو رُفِعت شكوى الى الامير محمد ضده ، لا يعرف مرسلها الذي طالب بعزل سليمان بن اسود لكبر سنه وضعف بدنه ، فادعى سليمان ان عمرو ابن عبد الله مرسلها فاحضر الامير الاثنين لديه فكان عمرو بن عبد الله وقوراً هادئاً بينما كان سليمان بن اسود على عكسه ، فقُرئت الشكوى على عمرو بن عبد الله وسأله الامير ان كـان هو مرسلها فانكر ذلك وقال: ((اعوذ بالله لا والله ما كتبتها فقال له سليمان ان كنت لم تكتبها ابا عبد الله فقد امليتها فقال: لا والله ولا امليتها ، ولا علمت بها ، فقال له سليمان: ان كنت صادقاً

---

[١] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٨٣-٨٤.

[٢] المصدر نفسه ص ٨٤.

[٣] المصدر نفسه ، ص٨٥.

[٤] المصدر نفسه ، ص٨٥.

في نفسك فصاحب البطاقة ولدك ابو عمرو واستطال عليه سليمان في اللفظ فاطرق عمرو بن عبد الله ، واستعمل الحلم ، والاخذ بالفضل ، فقال له سليمان: وتتغافل ايضاً وتتحلم كأننا لا نعرفك؟ فقال عمرو حسبنا الله حسبنا الله ......)).[1]

---

[1] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص٨٦.

سادساً المنافسة بين متولي الوظائف الادارية:

قامت احياناً بين بعض الفقهاء الذين تولوا وظائف ادارية كالقضاء والمشاورة خصومة بتأثير الوظيفة التي تولوها. حيث نشأ عنها تنافس بين القضاة والفقهاء المشاورين ، للعلاقة الوظيفية المباشرة بينهما حيث حاول كل طرف اثبات موقعه لدى السلطة والناس وتبيان تفوقه على الطرف الاخر في القدرة على استنباط الاحكام. وفي كثير من الاحيان ساءت علاقة القضاة بفقهاء المشاورة. من ذلك علاقة يحيى بن يحيى الليثي رئيس فقهاء المشاورة في وقته بالعديد من القضاة الذين تزامن توليهم القضاة مع وجوده على رأس المشاورين[1]. وسنقدم نموذجاً على الخصومة بين القضاة وفقهاء المشاورة تلك التي نشأت بين القاضي احمد بن محمد بن زياد والفقيهين المشاورين محمد بن عمر بن لبابة وايوب بن سليمان.

خصومة القاضي احمد بن زياد مع فقهاء المشاورة (انموذجاً):

تولى احمد بن محمد بن زياد قضاء قرطبة مرتين الاولى سنة (٢٩١هـ / ٩٠٣م) والثانية سنة (٣٠٩هـ /٩٢١م)[2]. وحصلت في مدة قضائه الاولى خصومة بينه وبين عدد من فقهاء المشاورة وهم محمد بن عمر بن لبابة وايوب بن سليمان. فقد كانا في هذا الوقت في مقدمة فقهاء الاندلس ، وربطت بينهما صداقة انعكست على وحدة مواقفهما العلمية واتفاقهما في الرأي[3]. وقد قدم الخشني[4] وصفاً لمكانتهما في قرطبة ، عبر عنها بدقة جاء فيه ((وكانا في وقتهما شيخي البلد وعظيميه علماً وفقهاً مع السن والجلالة من صنعة العلم ومعاني الفقه مع كثرة الدربة وطول المراسة وقديم المعاناة والرسوخ الكامل في مذهب الرأي وطرق الفتيا)).

ومع ان المصادر لم تحدد بدقة متى بدأت الخصومة بين الطرفين ، ولكن على الاكثر أنها كانت منذ بداية تولي احمد بن محمد القضاء ، فهو استهل قضاءه باصداره قراراً يخص فقهاء المشاورة الزمهم فيه تسجيل مشورتهم بخط يدهم وتسليمها للقضاء ، ولا يقبل أي مشورة شفاهية وخارج ذلك السياق ، وهذه سابقة منه لم يقم بها أي قاضٍ قبله[5]. ويعد هذا الاجراء خطوة مهمة فهو نظم الصلة بين القضاء وفقهاء المشاورة ، بحيث تعتبر المشورة التي يقدموها

---

[1] ابن حيان ، المصدر السابق ، تحقيق محمود مكي ، ص ٦١،٦٢،٦٦،٦٧ ؛ ابن الابار ، التكملة: ١٣٠/١-١٣١ ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق: ١٤٨/١ ، ١٤٩ ؛ المراكشي ، المصدر السابق: ٢١٤/٦-٢١٥.

[2] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٩ ، ١٠٢.

[3] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٣/٥.

[4] اخبار الفقهاء ، ص١٠٢.

[5] المصدر والمكان نفساهما ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩١/٥.

وثيقة رسمية من وثائق القضاء ، هذا مع الاخذ بالاعتبار ان من حق القاضي الاخذ بتلك المشورة او رفضها. ويبدو ان ذلك كان من ضمن اجراءات عدة اتخذها احمد بن محمد حيث وصف بأنه ((شدّ القضاء وحصنه))[١].

ولم يرق ذلك لمحمد بن عمر مع اهميته التنظيمية ، وكان احمد بن محمد مدركاً ان ذلك سيغضب محمد بن عمر[٢]. لا سيما وان كلمته كانت مسموعة من القضاة السابقين. فقد كانت علاقة القاضي محمد بن سلمة السابق لاحمد بن زياد ، طيبة جداً بمحمد بن عمر وربطتهما علاقة صداقة ، وغالباً ما اثنى محمد بن عمر على محمد بن سلمة[٣]. واستعان محمد بن سلمة دائماً بمشورته[٤]. وبالمقابل فان احمد بن محمد كانت صلته بالسلطة في ذلك الوقت جيدة وكلمته مسموعة لديهم[٥]. بالاضافة الى محبة الناس له وتيمنهم به[٦].

ومن دلائل توتر العلاقة بين محمد بن احمد ومحمد بن عمر وايوب بن سليمان ، موقف محمد بن احمد من قضية لمحمد بن ابراهيم بن الحباب ، فقد اشتكى محمد بن ابراهيم للقاضي على فتى حدثاً من جيرانه بأنه كان يؤذيه ، وبناءاً على شكوته تلك امر القاضي بحبس الفتى من دون التأكد من صحة الشكوى والتحقيق فيها ، وهذا لم يقبله محمد بن عمر وايوب بن سليمان فلاما القاضي على ذلك وتشفعا في الفتى ليخرجه من السجن ، ولكن لم يقبل القاضي شفعتهما ورفض رأيهما واخبرهما ان اباه وعمه من قبل في قضائهما كانا اذا اشتكى احد من العلماء على أي شخص اخذ بكلامه من دون تحقيق او بينة[٧]. هذا وان محمد ابن احمد عُرف عنه اعتماده في قضائه على مشورة الفقهاء وحرصه على نزاهة القضاء وتطبيق حدوده[٨]. ودلت قضية محمد بن ابراهيم على انه لم يكن يأخذ بمشورة محمد بن عمر وايوب بن سليمان.

---

[١] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩١/٥.

[٢] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٢.

[٣] المصدر نفسه ، ص٩٥.

[٤] المصدر نفسه ، ص٩٧.

[٥] المصدر نفسه ، ص١٠١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٨٩/٥.

[٦] المصدر نفسه: ١٨٩/٥.

[٧] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٥. وقد انتقد الخشني هذا التصرف من احمد بن محمد ورفضه كلياً لعدم شرعيته ، ولم يصدق ان اباه وعمه كانا يقومان بذلك ايضاً.

[٨] القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٢/٥.

هناك عبارة ذكرها القاضي عياض[١] عن محمد بن احمد وهي انه كان ((متبعاً للسنة)). وهذا مؤشر مهم على تركيزه على علم الحديث النبوي الشريف. ومن هنا على ما يبدو نشأ الخلاف الجوهري بينه وبين محمد بن عمر وايوب بن صالح. فهما برعا وشُهرا بعلم الفقه ولم يكن لهما اهتمام بالحديث النبوي الشريف ، بل ان محمد بن عمر لم يكن ضابطاً لرواية الحديث النبوي الشريف ، حتى انه حدث بمعنى الحديث وليس بلفظه وكلماته[٢]. وايوب بن سليمان عُرف ايضاً ببراعته بعلم الفقه بصورة رئيسية[٣].

وبعد ان لمس محمد بن عمر وايوب بن سليمان موقف محمد بن احمد منهما تثاقلا عن المجيء اليه[٤]. وبالنتيجة استغنى محمد بن زياد عن مشاورتهما[٥]. وقام بمشاورة غيرهم من الفقهاء ، وهم محمد بن عبد الملك بن ايمن ومحمد بن وليد (ت ٣٠٩هـ / ٩٢١م) وسعد ابن معاذ (ت ٣٠٨هـ / ٩٢٠م) ومحمد بن بكر (ت ٣٠٨ هـ / ٩٣٠م)[٦]. وكان محمد بن عبد الملك المقدم عليهم ، وقد تميز ببراعته بعلمي الفقه والحديث وله في الحديث مصنف مهم[٧].

واتخذت هذه الخصومة منعطفاً اخر عندما حصل خلاف بين محمد بن عمر وايوب ابن سليمان فهذا فسح المجال لازدياد نفوذ محمد بن عبد الملك ، الى ان عمل عمر بن يحيى ابن لبابة ، ابن اخي محمد بن عمر على عقد مصالحة بين محمد بن عمر وايوب بن سليمان ، فاجتمعوا عند اسلم بن عبد العزيز[٨] ، وقرروا فيه ان يتم الصلح بينهما بشرط ان يعملا معاً على ازالة محمد بن عبد الملك عن مكانته عند القاضي محمد بن احمد[٩]. وعلى اثر ذلك قامت خصومة شديدة بين محمد بن عمر وايوب بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ويقول الخشني[١٠] عنها: ((فدارت في ذلك بينهم احوال طويلة الوصف على ما يكون بين الضدين ،

---

(١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٢/٥.

(٢) ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٣٦/٢ ؛ من الجائز للمبتدئ فقط ان يروي بحسب اللفظ. القاضي عياض ، الالماع ، ص١٧٣.

(٣) ابن الفرضي ، المصدر السابق: ١٢٠/١ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٥٣/٥.

(٤) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٢.

(٥) المصدر والمكان نفساهما ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩١/٥.

(٦) المصدر نفسه: ١٩١/٥.

(٧) ابن الفرضي ، المصدر السابق: ٥٢/٢.

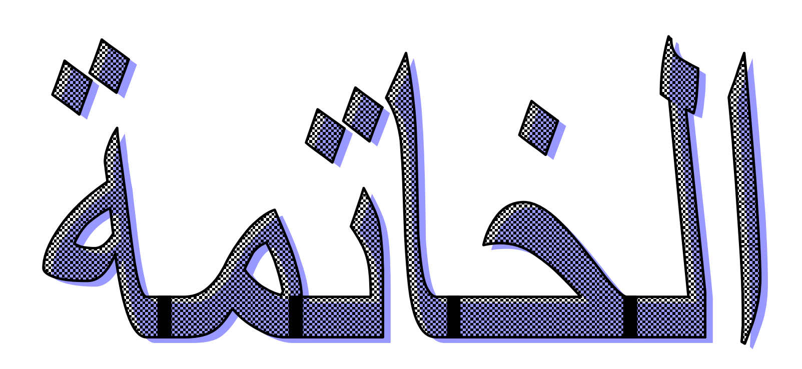
(٨) لم تحدد المصادر دوره في القضية.

(٩) الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٧/٥.

(١٠) قضاة قرطبة ، ص١٠٣.

ولا ضد اكبر من المزاحمة والمنافسة في الدرجة ولا سيما ان جريا الى غاية واحدة باهواء مختلفة واختلفت حظوظهما في القسم فكان احدهما يتطاول بحظه من الحرمة والوجاهة وصاحبه يتطاول بالعلم والنباهة ، وجحد كل منهما حق صاحبه ولم يقر بما ينتحل ودافعه فيما يقول)). وتحسنت علاقة محمد بن عمر بمحمد بن زياد بأثر ذلك على ما يبدو فقد اشارت المصادر ان استغناء محمد بن احمد عن مشاورة محمد بن عمر كان لمدة معينة من الزمن[١].

[١] الخشني ، قضاة قرطبة ، ص١٠٢ ؛ القاضي عياض ، ترتيب المدارك: ١٩٧/٥.


الخاتمة

تبين من خلال دراستنا ان فقهاء المالكية في الاندلس والمغرب ربطت بيـــنهم بعلاقـــة وثيقة عمادها التواصل العلمي. وتمخض عن تلك العلاقة نشاطاً ملحوظاً في الحياة العلمية في الاندلس والمغرب.

وكانت المراسلة وسيلة مهمة من وسائل الاتصال بين الفقهاء ، وقد اعتمدها كل مـــن فقهاء الاندلس والمغرب . كما تباينت الاهداف المرجو تحقيقها من خلالها بين فقهاء الانـــدلس والمغرب . ففيما يتعلق برسائل التوصية ، راسل فقهاء المغرب الامـــام مالـــك فـــي المدينـــة المنورة ، وذلك في المرحلة المبكرة ، من مراحل انتشار المالكية في المغرب . ويظهـــر انـــه من خلالها تحقق تثبيت للمذهب المالكي في المغرب ، وقد وجد الامام مالك المراسلة وســـيلة فعالة تساعد على توطيد علاقته مع فقهاء المغرب .

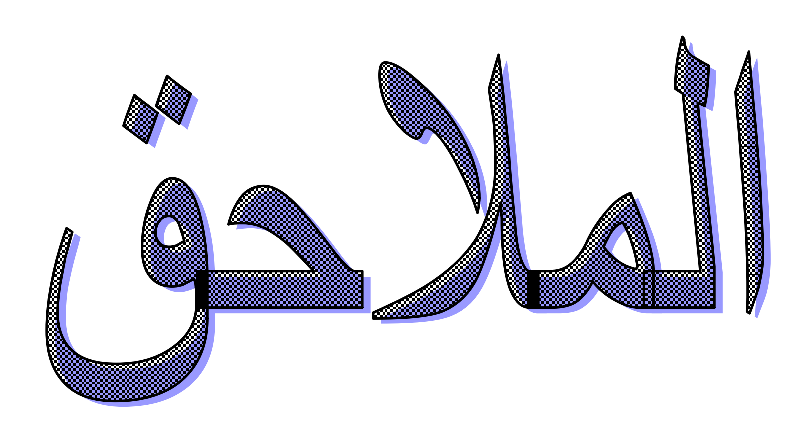
والى جانب رسائل التوصية فقد افادت المراسلة نشاط التاليف في الاندلس والمغرب ، حيث راسل فقهاء الاندلس فقهاء المغرب لاخذ منهم مادة تغذي مؤلفاتهم . والاهم من ذلك تـــم متابعة اخر التطورات التي تعلقت بالمذهب وذلك بمتابعة مراحل كتابـــة **المدونـــة** ، وبـــرزت اهمية المراسلة بصورة اوضح بين فقهاء المالكية في الاندلس والمغرب عند طلـــب المـــشورة الفقهية وتبليغ الاحكام القضائية من خلالها. فبخصوص ذلك كانت مراسلة كـــل مـــن فقهـــاء الاندلس والمغرب مع المنابع الرئيسية للمالكية في المدينة المنورة ومصر ، فالفقهاء المغاربـــة راسلوا الامام مالك في المدينة اما الفقهاء الاندلسيون فقد راسلوا اصحابه في مصر وذلك بعـــد وفاته الا انه بتوالي الزمن ورسوح المالكية في الاندلس والمغرب كانت مراسلتهم بخـــصوص ذلك الموضوع فيما بين فقهاء الاندلس زالمغرب وبرزت الوحدة المذهبية والمرجعية العلميـــة فيما يخص تبليغ الاحكام القضائية .

وبموجب ذلك التواصل بين الفقهاء نشات بينهم علاقة تعاون وعلاقة خصومة . فيمـــا يتعلق بعلاقة التعاون نرى ان فقهاء الاندلس والمغرب عملوا علـــى توطيـــد تلـــك العلاقـــة ، وبرزت لها عدة مظاهر تباينت بين الاندلس والمغرب. واثمرت عن تلك العديد مـــن الكتـــب المهمة . كما عقد فقهاء المالكية بينهم العديد من المجالس العلمية في المغرب والاندلس . الـــى جانب التعاون بينهم في المجالين الاجتماعي والاداري . حيث آزرَ الفقهاء بعضهم بعضا فـــي اوقات الازمات وخلال بعض المناسبات الاجتماعية فضلا عن توفير فرص لتـــولي وظـــائف لدى الدولة للبعض منهم .

ولكن تخلل علاقة التعاون تلك بعض التوتر ، نشات عنه احيانا علاقة خصومة بـــين الفقهاء . وان كان سببها الرئيسي التنافس العلمي بين الفقهاء الا ان تلـــك الخـــصومة اتخـــذت

احيانا اشكالا عدائية لا سيما في الاندلس كما في قضية بقي بن مخلد . في حين نـــرى ان مـــا تولد عن الخصومة في المغرب كان اقل حدة عنه في الاندلس.

وبمقابل تلك الصورة كان الحوار الفكري بين الفقهاء في الانـــدلس والمغـــرب فعـــالا واستخدم الفقهاء ادواته المختلفة ومن ابرزها المناظرة ، وقد كثرت فـــي الانـــدلس المنـــاظرة للتدريب على الفقه حيث كَثُرت الفرص لفقهاء الاندلس بتولي وظائف لدى الدولة تحتاج الـــى خبرة فقهية . في حين كثرت مناظرة فقهاء المغرب مـــع فقهـــاء المـــذاهب الاخـــرى وذلـــك لاحتكاكهم بها. فعمل فقهاء المالكية على الحد من انتشارهم وبالتالي تحجيمهم .


الملاحق

الملحق الاول

- **انموذج لمراسلة بين قاضي اشبيلية والفقهاء المشاورين بقرطبة**

وكتب ابن منظور قاضي مدينة اشبيلية الى الفقهاء المشاورين بقرطبة رضي الله عنهم يسألهم عن مسألة بن زهر التي نزلت به ، في قيام ابن زهر على ابن خالص : فاجاب فيها الفقيه الاجل الامام الحافظ ابو الوليد محمد بن رشد رضي الله عنه بهذا الجواب المبرم والايراد المحكم: وقد تقدم هذا الجواب في الجزء الاول وفي لفظه خلاف اللفظ الاول غير ان المعنى فيهما واحد .

تصفحت خطابك وما ادرجت طيّه ووقفت على مضمن ذلك كله وقول محمد بن يحيى بن محمد بن خالص المقوم عليه في الاملاك التي بيده بقرية فلانة ابتاعها من انجرّت اليه بالوراثة عنه من محمد بن مروان بن زهر ، اقرار منه له بالملك ، الا ان القائم عليه فيها بالتحبيس لم يأت من الحيازة بما له فيه منفعة ، اذ لم يعرف الحائزون ان الاملاك التي حازوها هي المحبسة المذكورة في كتاب التحبيس الثابت عندك ولا شهدوا بذلك وانما شهدوا بملك ما حازوا لمحمد بن زهر خاصة ، والملك قد اقر له به المقوم عليه ابن خالص ، فلم تفدنا معنى الحيازة يوجب حكما ، ولا تحقق بها تحبيس هذه الاملاك المقوم فيها على ابن خالص ، واذ لم يبق من شهود عقد التحبيس من يعيّن ان هذه الاملاك التي بيد ابن خالص هي التي اشهده المحبس على تحبيسها ، ولا تضمن عقد التحبيس من وصف الاملاك وتحديدها ما يعلم به انها هي بموافقة الحدود لها ، فلا يعتبر بوقت وقوع البيع الذي اثبته عندك القائم على ابن خالص بالسماع ، ان كان قبل تاريخ التحبيس او بعده ، ولا يحتاج ان خشي يسأل الشهود عن ذلك وشهادتهم على نص ما تضمنه العقد من انهم لم يزالوا يسمعون على الاطلاق من غير تقييد محمولة على انهم لم يزالوا يسمعون ذلك على مرّ الايام وسالف الاعوام منذ نشأوا وعقلوا على ما يقتضيه الاطلاق .

وذلك اكثر من المدة التي حدّها اهل العلم في اجازة شهادة السماع . بخلاف ما لو عري العقد من لفظة ((لم يزالوا)) وقيدت فيه لمدة غير محصورة ولا محدودة ، واذ قد ثبت عندك وفقك الله الاسترعاء بالسماع المذكور على نصه واستبعدت حجج المتخاصمين عندك فلم يكن لواحد منهما من الحجة غير ما اظهره اليك واثبته عندك . فالقضاء ببقاء الاملاك بيد ابن خالص واجب ، والحكم يمنع القائم بالتحبيس من الاعتراض له والتكرر عليه لازب الا ان يأتي بغير ما اتى به اولا فينظر فيه اذ لا تعجيز في الاحباس . ولا يلزم ابن خالص اذا قضيت ببقاء الاملاك بيده وحكمت بقطع الاعتراض عنه شيء من ثمنها ، اذ قد مضى من طول المدة ما يصدق فيه المبتاع على اداء ثمن ما ابتاعه في قول مالك ، رحمه الله . واصحابه كلهم ، ولو وجب ان يحكم على ابن خالص بالثمن لما صحّ ان يمكن ابن زهر من

قبضه وتموله الا ان يرجع عما ادعاه من التحبيس الى تصديق ابن خالص فيما ادعاه من البيع على اختلاف اصحابنا المتقدمين رحمة الله عليهم في ذلك . وسائر ما تضمنه عقد التحبيس الثابت عندك لا يجب ان يسأل من بيده شيء من ذلك من اين صار اليه ولا يعتقل عليه ولا يكلف اثباتا ولا عملا الا من بعد ان يثبت القائم بالتحبيس ملك المحبس لما حبسه ويجوز ما اثبت تحبيسه حيازة صحيحة على الوجه الذي ذكرناه . وهذا الاصل لا اختلاف فيه ، اعني ان من بيده ملك يدعيه لنفسه لا يكلف اثبات من اين صار اليه حتى يثبت المدعي ما ادعاه ويحوزه . والله ولي التوفيق بعونه .

وافتى الفقيهان ابنا محمد بن عتاب : ان يسأل الشهود الذين شهدوا على البيع بالسماع عن تاريخ وقت البيع فان كان ذلك قبل تاريخ كتاب التحبيس قضي ببقاء الاملاك بيد ابن خالص وبطل قيام ابن زهر بالتحبيس وان كان ذلك بعد تاريخ كتاب التحبيس ، او لم يؤرخوا شيئا ، نفذ التحبيس وقضي به وابطل البيع ، واحتجا في اعمال المؤرخ على غير المؤرخ بما حكاه ابن حبيب في **الواضحة**.

وتابعهما على جوابهما واعمال الحيازة وترك اعتراضهما واعمال الحبس واكماله باقرار ابن خالص بالملك اذ اقر بالبيع : الفقيه ابو محمد عبد الصمد وابن حمدين ، وقال الفقيه الاجل ابو القاسم اصبغ بن محمد : لا يصح التحبيس الا بعد اثبات ملك المحبس لما حبسه وقت التحبيس وليس في اقرار ابن خالص بالشراء من المحبس الا الاقرار بالملك يوم البيع وذلك ما لا منفعة فيه ، فان ارخ شهود السماع مدة تجوز فيها شهادة السماع مثل الثلاثين سنة الى نحو ذلك ، قضي لابن خالص بما بيده من الاملاك وابطل الحبس وسجل بذلك ، وان لم يحددا الا مدة قريبة نحو العشرة الاعوام الى الخمسة عشر عاما قضي لابن زهر ببقاء الاملاك بيده ، وكانت بيده على ما يقر به من التحبيس ، والله ولي التوفيق[1].

---

[1] احسان عباس ، "نوازل ابن رشد" ، مجلة الابحاث ، العدد ٣-٤ ، (١٩٦٩) ، ص٢٦-٢٧

الملحق الثاني

- انموذج لمراسلة شخصية بين رباح بن يزيد والبهلول بن راشد

ورايت له ، رباح بن يزيد رحمه الله تعالى ، رسالة كتب بها الى البهلول بن راشد : السلام عليك ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو . اما بعد ، فاني اوصيك ونفسي بتقوى الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . فالزم على نفسك كثرة ذكره ، واستعن بالله ﷻ على اداء فرائضه ، واستغفره لما هو اعلم به ، فانه عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾،[١] ثم احدث احتراسا من الجليس ، الا من كان همه يعلو فرحه ، وفكره ينفع جليسه ، يستعمله الفه ، فمن لم يكن منهم كذلك ، فاظهر له حسن الخلق ، وتسلك من اخائه في رفق ، واستعن بكتاب الله ﷻ وكثرة ذكره وتلاوته ، فانه الشفاء والرحمة للمؤمنين ، وقد نزل بنا ما ترى من سفك الدماء وذهاب الاموال ، وقد علمت ما عانيت من كثرة العبر بتسليط الهك ﷻ يوم سطا حاتم الاعور ، وانما كان ذلك نقمة بالذنوب ، فبلغ من الفساد ما الله اعلم به واحصى له ، من حصار وضيق وظهور اسعار وظهور المنكر . وقد قال الهنا المتعال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.[٢] فهل من رجوع ظاهر او باطن ؟ فما ينتظر من كان في مثل ما نحن فيه الا نزول النقم ، الا ان يعفو ربنا الحليم . ولقد علمت ما حلّ بمغمداس وغيرها ، فانا لله وانا اليه راجعون ، ثم انا لله وانا اليه راجعون . وقد قال الهنا الكبير ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾.[٣] واني ارى لك ان تحدث حذرا واحتراسا واستكانة وخضوعا وتذللا وخشوعا ، ترجو بذلك رضى الهك والنجاة من نزول عقابه ، وما ظهر من الفساد خوفا من سخط الجبار ، ولا تكن من الغافلين ، ولكن اكثر من مجالستك من اهمه امر نفسه وصلاح دينه ، فان لم تجد اولائك فعليك بالخلوات واستعن بالله ﷻ ، ولا تزال تذكرنا ، فاني قد نشبت في موضع لا يخلص منه الا الله ﷻ. والوحدة لا تضر من خاف الله تعالى بالغيب . والانس لا ينفع من كان من دينه في شك وريب . قال الله ﷻ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾.[٤] فمن رجوت من اهل زمانك ان يكون بقاؤه رحمة لاهل مكانه فاسرع اليه وانتفع بلقائه ، فانه قد ادرك امرا عظيما . فعليك يا اخي بكثرة الحزن

---

[١] سورة النساء / الاية ١١٠.

[٢] سورة الانعام / الاية ٤٢.

[٣] سورة الاسراء / الاية ١٦.

[٤] سورة الكهف / الاية ٦٥.

والتفكير والاعتبار بالذكر وملازمة الدار ، ولا يعجبك كثرة الحديث ، فانه ليس نافع الامــور الا حديثا حرك القلوب لما فيه نجاتها وعمارتها بما يرضي ربنا ﷻ. وقد جاء في الحــديث ان رسول اللهﷺ قال : ((من اصبح اكبر همه غير الله عز وجل ، فليس من الله في شيء ومن لم يهمه امر المسلمين فليس منهم)) . وقد اصبح الناس يسفك بعضهم دماء بعض ويأخذ بعــضهم مال بعض ؛ فانا لله وانا اليه راجعــون . وقــال الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.[1] فكيف تطيب نفس مؤمن او ترى سرورا ، وهو يرى سخط ربــه ظــاهرا ؟ مــا سكنت القلوب الى الفساد الا لما خالط الابدان من العيوب . يا اخي ، لا يغرنك رضى النــاس عنك فانهم لا يعلمون ما يعلم الله ، فاستغث بالله ايام رجائك ، وليعلم منك الشفقة منــه والثقــة به، ولا تزال تكتب الينا وتذكرنا بنفسك ، فانه لن يخطر على بالنا احد لمن اقوانــا الا وذلــك خير له ولنا . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[2].

---

[1] سورة النساء / الاية ٢٩-٣٠.

[2] المالكي ، المصدر السابق: ٣٠٦/١ – ٣٠٨.

الملحق الثالث

- انموذج لمجلس مشاورة

وقال ابن سهل : واخبرني ابو مروان عبيد الله بن مالك ان صـــاحب المواريـــث ابـــا محمد بن فطيس شاورهم فيمن اقر لرجلين انهما اخواه او ابنا عمـــه الوارثـــان لـــه ، فمـــات احدهما في حياة المقرّ ثم مات المقرّ هل للمقر له الباقي جميع الميـــراث ام نـــصفه ؟ قـــال : فافتيت انا وابن فرج وابو المطرف ان جميع ميراثه للباقي ، ووافقنا ابن العطـــار فـــي ذلـــك ودليله في **نوازل اصبغ** ، قال لي : وافتى ابن عتاب وابو عبد الله محمد بن سعيد بن زعبل انه ليس له الا نصف ما تخلفه المقر ، قال ابن زعبل كما لو اقر لهما بوديعة عنده ليس لكل واحد منهما الا نصفها ، وبه اخذ ابن فطيس ، وذكرت ذلك لابن عتاب فقال لي : كذلك كان ، وهي مسألة المقريطي ، وجوابي هذا جواب الشيوخ قبلي ، لأنه إقرار بمال على احـــد قـــولي ابـــن القاسم[١].

---

[١] الونشريسي ، المصدر السابق: ٣٨١/٦ – ٣٨٢.

المصادر والمراجع

اولا : الرسائل الجامعية:

أمين ، نادرة محمد.

- **الدولة العامرية بالاندلس**. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الموصل. كلية الاداب (١٩٩٠).

حسين ، حازم غانم .

- **دور العلماء السياسي والاجتماعي في الاندلس في عهدي الطوائف والمرابطين** . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة الموصل . كلية الاداب (١٩٩٥) .

الدباغ ، عبد الوهاب خليل.

- **التاريخ السياسي والحضاري لسرقسطة في عهد بني هود (٤٣٠ - ٥٠٣هـ)** . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الموصل . كلية الاداب (١٩٩٠) .

صادق ، جعفر حسن .

- **الرحلات العلمية من الاندلس الى المشرق (عصر الامارة ١٣٨-٣١٦هـ/٧٧٥-٩٢٨م)** . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الموصل . كلية الاداب (١٩٨٩) .

صالح ، خولة عيسى محمد .

- **نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الاسلامية حتى عام ٣٣٤هـ** . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة بغداد . كلية الاداب (١٩٨٥) .

الصباغ ، لمياء عز الدين مصطفى .

- **الرحلات العلمية بين المغرب العربي والمشرق حتى القرن السابع الهجري** . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة الموصل . كلية الاداب (١٩٩٦) .

الطائي ، فوزي امين .

- **الخدمات الوقفية في العراق وبلاد الشام في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد** . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة الموصل . كلية الاداب (١٩٩٧) .

فليح ، رعد حسن .

- **الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في القرن الخامس الهجري** . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة بغداد . كلية الاداب (١٩٨٤).

قاسم ، محب محمود.

- **الحياة الفكرية في عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ)** . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الموصل . كلية الاداب (١٩٨٩) .

الكبيسي ، خليل ابراهيم .

- **دور الفقهاء السياسي والاجتماعي بالاندلس في عصري الامارة والخلافة** . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة بغداد . كلية الاداب (١٩٨٠).

مطلوب ، ناطق صالح .

- **فهارس شيوخ العلماء في المغرب والاندلس حتى القرن العاشر الهجري** . رسالة دكتوراه غير منشورة . جامعة عين شمس . كلية الاداب (١٩٧٨) .

ثانيا : المصادر:

ابن الابار ، محمد بن عبد الله (ت٦٥٩هـ/١٢٦٠ م) .

- **التكملة لكتاب الصلة** . عني بنشره وصححه عزت العطار الحسيني . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥ .
- جزر نشره قدارة زيدين . مدريد : مطبعة روخس ، ١٨٨٦-١٨٨٩ .
- جزء نشره فنزالس بالنسية. مدريد : ١٩١٥ .
- **كتاب الحلة السيراء** . تحقيق حسين مؤنس . القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .

- **المعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصدفي** . القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .

ابن الاحمر وعائلته.

- **بيوتات فاس الكبرا** . الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢ .

الاندلسي ، يحيى بن عمر (ت٢٨٩ / ٩٠١م).

- **كتاب احكام السوق** . تحقيق محمود علي مكي . مدريد : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ،ج٤ ، ١٩٥٦ .

الباجي ، سليمان بن خلف (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م).

- **فصول الاحكام** . تحقيق محمد ابو الاجفان . تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥ .

الباقلاني ، محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م).

- **كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات**. عني بتصحيحه ونشره الاب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي . بيروت : المكتبة الشرقية ، ١٩٥٨ .

ابن عبد البر ، عمر بن يوسف (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

- **الاستذكار لمذاهب فقهاء الامصار وعلماء الاقطار فيما تضمنه المؤطأ من معاني الرأي والاثار** . تحقيق علي النجدي ناصف . القاهرة : المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ١٩٧٠ .
- **الانتقاء في فضائل الائمة الثلاثة الفقهاء** . القاهرة : مكتبة القدسي ، ١٩٣١ .
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد** . تحقيق مصطفى احمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري .ط٢ . الرباط : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٢ .
- **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله** . تصحيح ومراجعة عبد الرحمن محمد عثمان . ط٢ . المدينة المنورة : المكتب السلفية ، ١٩٦٨ .

ابن بسام ، ابو الحسن علي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) .

× **الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة.** تحقيق احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٨.

ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م) .

× **كتاب الصلة** . القاهرة : الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ .

البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

× **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** . تحقيق دي سلان . الجزائر : ١٨٥٧ .

البلفقي ، محمد بن محمد (ت٧٧١هـ / ١٣٧٠م)

× **المقتضب من كتاب تحفة القادم** . تحقيق ابراهيم الابياري . القاهرة : المطبعة الاميرية ، ١٩٥٧ .

البيذق ، ابو بكر بن علي (عاش في اواخر القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد).

× **اخبار المهدي بن تومرت** . تحقيق عبد الوهاب المنصور . الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧١ .

الجرجاني ، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م).

× **التعريفات** . تونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١م.

الجرسيفي ، عمر بن عثمان (عاش في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد).

× **رسالة الجرسيقي في الحسبة** . تحقيق ليفي بروفنسال . منشورة ضمن كتاب ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب . القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ، ١٩٥٥ .

ابن جزي ، محمد بن احمد (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) .

× **القوانين الفقهية** . بيروت : دار القلم ، (بلا . ت) .

الجواليقي ، موهوب بن احمد (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م) .

× **المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم** . تحقيق احمد شاكر . طهران : مطبعة الاوفسيت ، ١٩٦٦ .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) .

× **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**. استنبول : (بلا . ت) .

ابن حجر ، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

× **تهذيب التهذيب** . حيدر اباد الدكن : مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٩٠٨ .

× **لسان الميزان** . حيدر اباد الدكن : مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٠هـ .

ابن حزم ، علي بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) .

× **الاحكام في اصول الاحكام** . اشراف احمد شاكر . القاهرة : مطبعة العاصمة ، (بلا.ت)

× **التقريب لحد المنطق والمدخل اليه** . تحقيق احسان عباس . بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ .

× **الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل اخرى** . تحقيق احسان عباس . القاهرة : مكتبة دار العروبة ، ١٩٦٠ .

× **فضائل الاندلس واهلها** . نشرها وقدم لها صلاح الدين المنجد . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨ .

× **ملخص ابطال القياس والراي والاستحسان والتقليد والتعليل** . تحقيق سعيد الافغاني . بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٩ .

الحميدي ، محمد بن ابي نصر (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) .

× **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس** . القاهرة : الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ .

ابن حيان ، حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م).

× **المقتبس في اخبار بلد الاندلس** . الجزء الثالث . اعتنى بنشره الاب ملشورم. انطونيه. باريس :١٩٣٧.

- الجزء الخامس . نشره ب : شالميتا واخرون . مدريد : المعهد الاسباني العربي للثقافة ،١٩٧٩ .
- جزء حققه محمود علي مكي . بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ .

الخشني ، محمد بن حارث (ت٣٦١هـ/٩٧١م) .
- **اخبار الفقهاء والمحدثين** . تحقيق ماريا لويسا ابيلا ولويس مولينا . مدريد ، المجلس الاعلى للابحاث العلمية ، ١٩٩٢ .
- **طبقات علماء افريقية** . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، (بلا . ت) .
- **قضاة قرطبة** . القاهرة : الدار المصرية والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ .

ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .
- **الاحاطة في اخبار غرناطة**. تحقيق محمد عبد الله عنان . ط٢ . مصر : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣ .

الخطيب البغدادي ، احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
- **تاريخ بغداد** . بيروت : دار الكتاب العربي ، (بلا . ت) .
- **كتاب الفقيه والمتفقه** . القاهرة : دار احياء السنة النبوية ، ١٩٧٥ .
- **الكفاية في علم الرواية** . ط٢ . حيدر اباد الدكن : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٠.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .
- **المقدمة**. ط٣. بيروت : دار احياء التراث العربي . (بلا .ت) .

ابن خلكان ، احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
- **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان** . تحقيق احسان عباس . بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ .

الخوارزمي ، محمد بن احمد (ت٣٨٧هـ/٩٩٩م) .
- **مفاتيح العلوم** . القاهرة : دار الطباعة المنيرية ، ١٣٤٢هـ .

ابن خير ، ابو بكر محمد (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م) .

- **فهرسة ما رواه عن شيوخه** . نشر فرانشسكو وتلميذه خوليان ريبيرا .ط٢ . بيروت : دار الافاق الجديدة ، ١٩٧٩ .

الدباغ ، عبد الرحمن محمد (ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م) .

- **معالم الايمان في معرفة اهل القيروان** . الجزء الاول . تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح .ط٢. القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٦٨ .
- الجزء الثاني. تحقيق محمد الاحمدي أبو نور ومحمد ماضور. القاهرة – تونس: مكتبة الخانجي – المكتبة العتيقة ، (بلا . ت).

الدرجيني ، احمد بن سعيد (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).

- **طبقات المشائخ بالمغرب** . تحقيق ابراهيم طلاي . الجزائر : مطبعة البعث ،١٩٧٤.

ابن ابي دينار ، ابو عبد الله محمد (ت١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) .

- **المؤنس في اخبار افريقية وتونس** . تحقيق محمد شمام . تونس : المكتبة العتيقة ، ١٩٦٧.

الذهبي ، شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

- **تذكرة الحفاظ** . بيروت : دار احياء التراث العربي ، (بلا .ت) .

الرسعني ، عبد الرزاق بن رزق (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) .

- **مختصر كتاب الفرق بين الفرق** . تحرير فيليب حتي . مصر : مطبعة الهلال ،١٩٢٤.

ابن رشد الجد ، احمد بن محمد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) .

- **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة** . تحقيق محمد حجي . بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٤ .
- **المقدمات الممهدات** . تحقيق محمد حجي . بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٨ .

ابن رشد الحفيد ، محمد بن احمد (ت٥٩٥هــ/١١٩٨م) .

× **فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال** . تحقيق محمد عبد الواحد العسري .ط٢ . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ .

الرعيني ، علي بن محمد (ت٦٦٦هــ/١٢٦٧م) .

× **برنامج شيوخ الرعيني** . تحقيق ابراهيم شبوح . دمشق : مديرية احياء التراث القديم ، ١٩٦٢ .

الرقيق القيرواني ، ابراهيم بن القاسم (ت بعد ٤١٧هــ/١٠٢٦م) .

× **تاريخ افريقية والمغرب** . تحقيق وتقديم المنجي الكعبي . تونس : نشر رفيق السقطي ، ١٩٧٦ .

الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت٣٧٩هــ/٩٨٩م) .

× **طبقات النحويين واللغويين** . تحقيق ابو الفضل ابراهيم . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٣ .

الزبيدي ، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هــ/١٥٩٦م) .

× **تاج العروس** . بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ١٩٦٦ .

ابن الزبير ، ابو جعفر احمد (ت٧٠٨هــ/١٣٠٨م) .

× **صلة الصلة** . تحقيق ليفي بروفنسال . بيروت : مكتبة خياط ، ١٩٣٧ .

ابن الزيات ، يوسف بن يحيى (ت٦١٧هــ/١٢٢٠م) .

× **التشوف الى رجال التصوف**. تحقيق احمد التوفيق . الرباط : كلية الاداب والعلوم الانسانية ، ١٩٨٤ .

السبتي ، محمد بن القاسم (ت بعد ٨٢٥هــ / ١٤٢١م).

× **اختصار الاخبار كما كان ثبغر سبته من سني الاثار** . تحقيق عبد الوهاب بن منصور. ط٢ . الرباط : ١٩٨٣ .

ابن سحنون ، محمد (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) .

- **رسالة اداب المعلمين** . تحقيق عبد الامير شمس الدين . منشورة ضمن كتـــاب الفكـــر التربوي عند ابن سحنون والقابسي . بيروت : دار اقرأ ، ١٩٨٥ .

ابن سعيد ، علي بن موسى واسرته (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

- **المغرب في حُلى المغرب** . تحقيق شوقي ضيف . ط٢ . القـــاهرة : دار المعـــارف ، ١٩٥٥.

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) .

- **ادب الاملاء والاستملاء** . تحقيق شفيق محمد زيعـــور .ط٢. بيـــروت : دار اقـــرأ ، ١٩٨٦ .

ابن سهل ، ابو الاصبغ عيسى (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) .

- **تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد بالاندلس** . تحقيق محمد عبد الوهـــاب خلاف . الكويت : حوليات كلية الاداب ، الحولية الخامسة ،١٩٨٤ .
- **وثائق في احكام قضاء اهل الذمة في الاندلس** . تحقيق محمد عبد الوهـــاب خـــلاف . القاهرة : المركز العربي الدولي للاعلام ، ١٩٨٠ .
- **وثائق في احكام القضاء الجنائي في الاندلس** . تحقيق محمد عبد الوهـــاب خـــلاف . القاهرة : المركز العربي الدولي للاعلام ، ١٩٧٩ .
- **وثائق في الطب الاسلامي ووظيفته في معاونة القضاء في الاندلس** . تحقيـــق محمـــد عبد الوهاب خلاف . القاهرة : المركز العربي الدولي للاعلام ، ١٩٨١ .

الشعراني ، ابو عبد الوهاب بن احمد (٩٧٣هـ/١٥٦٥م) .

- **الطبقات الكبرى** . مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٥٤ .

الشهر ستاني ، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م).

- **الملل والنحل** . تحقيق محمد سيد كيلاني .ط٢.بيروت :دار المعرفة ، ١٩٧٥ .

الشيرازي ، ابراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م).

- **طبقات الفقهاء** . تحقيق احسان عباس .ط٢.بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٨١ .

ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك (٧٨٠هـ/١٣٧٨).

- **المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين** . تحقيق عبد الهادي التازي . بيروت : دار الاندلس ، ١٩٦٤ .

ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) .

- **علوم الحديث** . تحقيق نور الدين عتر . المدينة المنورة : المكتبة العلمية ،١٩٦٦ .

الضبي ، احمد بن يحيى (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م) .

- **بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس** . القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧.

ابن عبدون ، محمد بن احمد (عاش في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد).

- **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة** . تحقيق ليفي وفنسال . منشورة ضمن كتاب ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب . القاهرة : المعهد الفرنسي للاثار الشرقية ، ١٩٥٥ .

ابن عذارى ، احمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م) .

- **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** . تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنسال . ط٢.بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٠ .
- قسم نشر في مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية. فاس: العدد ٤-٥ ، ١٩٨٠-١٩٨١.

ابن العطار ، محمد بن احمد (ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م) .

- **كتاب الوثائق والسجلات** . تحقيق ب شالمتيا و ف.كورنيطي . مدريد : المعهد الاسباني العربي للثقافة ، ١٩٨٣ .

ابن عياض ، محمد (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م) .

- **التعريف بالقاضي عياض** . تحقيق محمد بن شريفة .ط٢.الرباط : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٢ .

ابو العرب ، محمد بن احمد (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) .

- **طبقات علماء افريقية وتونس** . تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي . تونس : الدار التونسية ، ١٩٦٨ .

ابن العربي ، محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) .

- **العواصم من القواصم** . تحقيق عمار الطالبي . الدوحة : دار الثقافة ، ١٩٩٢ .

ابن عطية ، ابو محمد عبد الحق (ت حوالي ٥٤١هـ/١١٤٦م) .

- **فهرس ابن عطية** . تحقيق محمد ابو الاجفان ومحمد الزاهي . بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٠ .

الغزالي ، محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) .

- **احياء علوم الدين** . دمشق : مكتبة عبد الوكيل الدوربي ، (بلا .ت) .

ابن فرحون ، ابراهيم بن علي (ت٧٨٨هـ/١٣٨٦م) .

- **تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام** . القاهرة : مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٩٥٨ .
- **الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب**. مراجعة عباس بن عبد السلام شقرون. مصر: ١٣٥١هـ.

ابن الفرضي ، عبد الله بن محمد (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م) .

- **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس** . شرح وتصحيح عزت العطار الحسيني .ط٢.القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨ .

ابن القاضي ، احمد بن محمد (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م) .

- **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس** . الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٣ .

القاضي النعمان ، أبو حنيفة بن محمد (عاش في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد).

- **كتاب افتتاح الدعوة** . تحقيق فرحات الدشراوي . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٥.

القاضي عياض ، عياض بن موسى (ت٥٥٤هـ/١١٥٩م) .

- **الالماع لمعرفة اصول الرواية وتقييد السماع** . تحقيق السيد احمد صقر . القاهرة . تونس : دار التراث – المكتبة العتيقة ، ١٩٧٠ .
- **ترتيب المدراك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب الامام مالك** . الجزء الاول . تقديم محمد بن تاويت الطنجي . الرباط : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٦٥ .
- الجزء الثالث والرابع . تحقيق عبد القادر الصحرواي . ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ .
- الجزء الخامس . تحقيق محمد بن شريفة .
- الجزء السادس ، والسابع والثامن. تحقيق سعيد احمد اعراب . ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٣.
- **الغنية ، فهرس شيوخ القاضي عياض** . تحقيق ماهر زهير جرار . بيروت : ١٩٨٢.

القرافي ، احمد بن ادريس (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) .

- **الاحكام في تمييز الفتاوى عن الاحكام وتصرفات القاضي والامام** . تحقيق عبد الفتاح ابو غدة . حلب : مكتب المطبوعات الاسلامية ، ١٩٦٧ .

ابن القطان ، علي بن محمد (ت٦٢٨هـ/٨٤٢م) .

- **نظم الجمان** . تحقيق محمود علي مكي . تطوان : جامعة محمد الخامس ، (بلا.ت).

القفطي ، علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

- **انباه الرواة على انباه النحاة** . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥ .

ابن قنفذ ، ابو العباس احمد (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) .

- **انس الفقير وعز الحقير** . اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وادولف فور . الرباط : منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، ١٩٦٥ .

ابن القوطية ، محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) .
- **تاريخ افتتاح الاندلس** . تحقيق عبد الله انيس الطباع . بيروت : دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٨ .

القيسي ، هيثم بن سليمان (ت بعد ٢٧٥هـ / ٨٨٨م).
- **ادب القاضي والقضاء**. تحقيق فرحات الدشراوي. تونس: الدار التونسية للتوزيع ، (بلا.ت).

ابن ماجة ، محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) .
- **سنن ابن ماجة** . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة : دار الحديث ، ١٩٥٤ .

المالكي ، عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٥٣هـ/١٠٦١م) .
- **كتاب رياض النفوس** . تحقيق بشير البكوش . دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٣ .

المجليدي ، احمد بن سعيد (ت١٠٩٤هـ/١٦٨٣م).
- **كتاب التيسير في احكام التسعير** . تحقيق موسى لقبال . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٠ .

المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) .
- **المعجب في تلخيص اخبار المغرب** . تحقيق محمد سعيد العريان . القاهرة : ١٩٦٣ .

المراكشي ، محمد بن محمد (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) .
- **كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** . السفر الاول . تحقيق محمد بن شريفة. بيروت : دار الثقافة ، (بلا .ت) .
- السفر الخامس .تحقيق احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٥ .
- السفر السادس . تحقيق احسان عباس . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٣ .
- السفر الثامن . تحقيق محمد بن شريفة. الرباط :اكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٤.

المقري ، احمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) .
- **ازهار الرياض في اخبار عياض** . تحقيق مصطفى السقا واخرون . الرباط : المعهد الخليفي للابحاث المغربية ، ١٩٧٨ .

- **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الكتاب العربي ، (بلا .ت) .

ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م) .

- **لسان العرب المحيط** . اعداد وتصنيف يوسف خياط . بيروت : دار لسان العرب ، (بلا.ت).

مؤلف مجهول

- **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية** . تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة . الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة ، ١٩٧٩ .

النباهي ، عبد الله بن الحسن (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) .

- **تاريخ قضاة الاندلس** . بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بلا.ت).

النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .

- **نهاية الارب في فنون الادب**. تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد. الدار البيضاء: دار النشر المغربية ، ١٩٨٤.

النيسا بوري ، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) .

- **معرفة علوم الحديث** . تصحيح وتعليق معظم حسين .ط٢.بيروت: المكتب التجاري للبطاعة والتوزيع والنشر ، ١٩٧٧ .

الونشريسي ، احمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) .

- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب .** اشراف محمد حجي . بيروت : دار الاسلامي ، ١٩٨١ .

ياقوت الحموي ، ابو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) .

- **معجم الادباء** .ط٢ . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٠ .

ابن يونس ، عبد الرحمن (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م).
× **تاريخ ابن يونس المصري**. جمع وتحقيق عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح. بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠.

ثالثا : المراجع الحديثة:

ابراهيم ، زكريا .
ü **ابن حزم الاندلسي** . القاهرة : الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ .

ادريس ، الهادي روجيه .
ü **الدولة الصنهاجية** . ترجمة هادي الساحلي . بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٠.

اقلانية ، المكي .
ü **النظم التعليمية عند المحدثين** . قطر : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٩٢ .

بالنثيا ، انخل جنثالث .
ü **تاريخ الفكر الاندلسي** . ترجمة حسين مؤنس . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥.

البيانوني ، محمد ابو الفتح .
ü **دراسات في الاختلافات الفقهية** . حلب الهدى ، ١٩٧٥ .

التازي ، عبد الهادي .
ü **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور الى اليوم** . الرباط : مطبعة فضالة ، ١٩٨٧ .

التجكاني ، محمد الحبيب .
ü **النظرية العامة للقضاء والاثبات في الشريعة الاسلامية** . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة .(بلا .ت) .

الجابري ، محمد عابد .

ü **التراث والحداثة** . ط٢ . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩.

جلول ، ناجي .

ü **الرباطات البحرية بافريقية في العصر الوسيط** . تونس : مركز الدراســات والبحــوث الاقتصادية والاجتماعية ،١٩٩٩ .

جواتياني ، س.د .

ü **دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية** . تعريب وتحقيق عطيــة القوصــي . الكويت : وكالة المطبوعات ،١٩٨٠ .

جوليان ، شارل اندريه .

ü **تاريخ افريقيا الشمالية** . ترجمة محمد فرالي والبشير بن سلامة .ط٣ . تونس : الدار التونسية للنشر ،١٩٨٥ .

الحجوي ، محمد بن الحسن .

ü **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي** . تونس : مطبعة النهضة . (بلا .ت) .

الحسيسن ، عبد الهادي احمد .

ü **مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي** . المغرب – الامارات : اللجنة المشتركة لاحياء التراث الاسلامي ،١٩٨٢ .

حمادة ، محمد ماهر .

ü **المكتبات في الاسلام.** ط٣ . بيروت : مؤسسة الرسالة ،١٩٨١.

عبد الحميد ، سعد زغلول .

ü **تاريخ المغرب العربي** . الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٩ .

الخولي ، امين .

ü **مالك بن انس** . مصر : دار الكتب الحديثة ،١٩٥١ .

دوزي ، رينهارت .

ü **تكملة المعاجم العربية** . ترجمة محمد سليم النعيمي . بغـداد : دار الرشـيد للنـشر ، ١٩٨٢ .

رزوق ، محمد .

ü **الاندلسيون وهجراتهم الى المغرب** . الدار البيضاء : افريقيا الشرق ، ١٩٩١ .

ابو زهرة ، محمد احمد .

ü **ابن حزم** . القاهرة : مطبعة مخيمر ، ١٩٥٤ .

ü **مالك** : **حياته وعصره واروائه** . القاهرة : دار الفكر العربي . (بلا .ت) .

ü **محاضرات في الوقف** . مصر : معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٩ .

روزنثال ، فرانز .

ü **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي** . ترجمة انـيس فريحـة . بيـروت : دار الثقافة ، ١٩٦١ .

زيدان ، عبد الكريم .

ü **نظام القضاء في الشريعة الاسلامية** . بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٤ .

سالم ، السيد عبد العزيز .

ü **تاريخ مدينة المرية الاسلامية** . ط٢ . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ .

شرجيلي ، محمد بن الحسن .

ü **يحيى بن يحيى وروايته للموطأ** . اغادير : منشورات كلية الشريعة ، ١٩٩٥ .

شلبي ، احمد .

ü **تاريخ التشريع الاسلامي** . ط٢ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨١ .

الصالح ، مرمول محمد .

- **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب** . الجزائر: ديــوان المطبوعــات الجامعية ، ١٩٨٧ .

عابدين ، عبد المجيد عابدين .

- **التوثيق تاريخه وادواته** . بغداد : دار الحرية ،١٩٨٢ .

ابن عبود ، امحمد .

- **التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائــف** . تطــوان : المعهــد الجامعي للبحث ، ١٩٨٣ .

علام ، عبد الله علي.

- **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علــي**. مــصر: دار المعــارف ، ١٩٦٨.

عنان ، محمد عبد الله .

- **دولة الاسلام في الاندلس** . القاهرة . لجنة التاليف ، ١٩٦٠ .

القاسمي ، ظافر.

- **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي (السلطة القــضائية)** . بيــروت : دار النفائس ، ١٩٧٨ .

الكبيسي ، محمد عبد الله .

- **احكام الوقف في الشريعة الاسلامية** . بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٧٧ .

الكتاني ، يوسف .

- **مدرسة الامام البخاري في المغرب** . بيروت : دار لسان العرب ، (بلا.ت) .

كنون ، عبد الله.

- **النبوغ المغربي في الادب العربي.** ط٢. بيـروت: مكتبـة المـدرس ودار الكتـاب ، ١٩٦١م.

لقبال ، موسى.

- **المغرب الاسلامي.** ط٢. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١.

متز ، ادم .

- **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** . ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريـدة . ط٤. بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .

مجموعة المؤلفين .

- **الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس** . تحرير سلمى الخضراء الجيوسي . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ .

مجموعة المؤلفين .

- **دائرة المعارف الاسلامية** . ترجمة محمد ثابت فندي واخرون. طهران: ١٩٣٣م.

مجموعة مؤلفين .

- **ندوة الامام مالك** . الرباط : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ١٩٨٠.

مجموعة مؤلفين.

- **ندوة المغرب في الدراسات الاستشراقية.** الرباط: اكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٩٣.

المظفر ، محمد رضا.

- **الفقه.** النجف : دار النعمان ، ١٩٦٦ .

منير الدين ، احمد .

- **تاريخ التعليم عند المسلمين** . ترجمة وتلخيص سـامي الـصقار . الريـاض : دار المريخ ، ١٩٨١ .

مؤنس ، حسين .

ü **شيوخ العصر في الاندلس** . القاهرة : الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٥ .

النبهاني ، يوسف بن اسماعيل .

ü **جامع كرامات الاولياء** . مراجعة ابراهيم عطوة عوض . مصر البابي الحلبـــي واولاده ، ١٩٦٢ .

الهرفي ، سلامة محمد .

ü **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين** . بيروت: دار الندوة الجديـــدة ، ١٩٨٥.

هوبكنز ، ج.ف.ب .

ü **النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى** . ترجمة امـــين توفيـــق الطيبـــي . تونس: الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٠ .

عبد الوهاب ، حسن حسين .

ü **كتاب العمر** . مراجعة واكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش . تونس : بيت الحكمة ، ١٩٩٠ .

رابعا : البحوث:

الاهواني ، عبد العزيز.

v " كتب برامج العلماء في الاندلس " ، **مجلة معهد المخطوطات** ، المجلـد١ ،الجـزء١، (١٩٥٥).

ابن حمادي ، عمر .

v "كرامات الاولياء : النقاش الحاد الذي اثارته بالقيروان وقرطبة او اخر القرن ٤هـــ / ١٠م" ، **مجلة دراسات اندلسية** ، العدد٤ ، (١٩٩٠).

حياني ، محمد .

- "مجلس المذاكرة عند المحدثين" ، **مجلة ابحــاث اليرمــوك (العلــوم الانــسانية)** ، المجلد١٠ ، العدد٢ ، (١٩٩٤).

خليفة ، شعبان عبد العزيز ،

- "فهارس الشيوخ" ، **مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية** ، العدد ٤ ، (١٩٩٢).

الدباغ ، عبد الوهاب خليل .

- "اثر الفتنة في الحركة العلمية بقرطبة (٣٩٩- ٤٢٢هــ)" ، **مجلة افاق الثقافة والتراث** ، العدد٢٥-٢٦ ، (٢٠٠٠).

صلاحين ، عبد المجيد .

- "المدرسة العراقية في المذهب المالكي: خصائصها واثارهــا فــي المــذهب" ، **مجلــة دراسات (علوم الشريعة والقانون)** ، المجلد٢٥ ، العدد١ ، (١٩٩٨).

عباس ، احسان.

- "نوازل ابن رشد" ، **مجلة الابحاث** ، العدد٣-٤ ، (١٩٦٩).

الفحام ، شاكر .

- "كتاب الدلائل في غريب الحديث" ، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** ، المجلــد٥١ ، العدد٢ ، (١٩٧٥).

مطلوب ، نامق صالح .

- "كتاب الصلة" ، **مجلة المؤرخ العربي** ، العدد٣٩ ، السنة١٥ ، (١٩٨٩).

المعموري ، الطاهر بن محمد .

- "موقف المارزي من قضايا عصره". **مجلــة افــاق الثقافــة والتــراث** ، العــدد٣١ ، (٢٠٠٠).

مؤنس ، حسين .

v "نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين" ، **صـــحيفة المعهــد المصري بمدريد** ، (١٩٥٥).

هلال ، جودة عبد الرحمن .

v "وصية الشيخ ابي الوليد الباجي لولديه" ، **صحيفة المعهد المصري بمدريد** ، (١٩٥٥).

اليسوعي ، بولس نويا.

v "رسائل ابن العريف الى اصحاب ثورة المريدين فـــي الانـــدلس" ، **مجلـــة الابحـــاث** ، (١٩٧٨ - ١٩٧٩).

خامسا : المراجع الاجنبية

Barns , Robert Ignatius .

× **Islam Under The Crusaders** . u.s.a , 1973 .

Goitein , S , D .

× “ Fuyudg “ , **The Encyclopedia of Islam** , 1965 .

Gutas , Dimitri .

× “The Social contexts of The Sciences in the Medieval Islamic World “ , **Islam and Science** , Amman : Royal Institute for Inter Foith Studies , 2001 .

Marin , Manuela .

× “ SURA ET AL – SURA : Dans Al – Andelus “ , **Stvdia Islanica** , Paris , 1985 .

Watt , Motogomery .

× **Ahistory of Islamic Spain.** Great British, 1965.

Abstract

From its appearance, “Malik rite” spread in Al-Andalus and Morocco. After their meeting with the Iman Malik bin Anas (179AH, 695H.D) a number of jurists adopted this rite and traveled to Madina. Later, this rite became more prominent than others. Jurists of this rite had their great influential role on the scientific, social and political work of life in these countries: Al-Andalus and Morocco. This great influence can be seen in the faet that the jurists had occupied highly important status in Al-Andalus.

The aim of this study is to shed light on the nature of the scientific relation that axisted among the jurists and to discuss both the positive and negative aspects of these relations.

Because of the limitations in time and space, only the above two countries been included in this study. The period of this study extends from appearance of Malik rite to the “Muwahidin” Age, which witnessed the emergence of many attempts to subsitute Malik rite with another one. This study is divided into five chapters.

Chapter one deals with the question of correspondence among the jurists, whether personal or official, because it is regarded as one of the main means of communication.

Chapter tow discusses the transmission of the jurists between these cities for political, scientific, official and military reasons. It also tackles the most outstanding outcomes of this transmission.

Chapter three is devoted to the cooperation between jurists embodied in compiling, reviewing, correcting and comparing books. In addition it tackles lending, endowing books in educational, social and administrative fields.

Chapter four is concerned with the scientific dialogue jurists who deal with deliberations, debates and composing books.

Chapter five which is entitled “The disputes” among jurists, include their opinions towards the new science, transfiguration in narrating and hearing scientific competition and the deposition from jurist office and competitions among heads of administrative posts.

The last chapter comes up with important results that jurists in Al-Andalus and Morocco have deep relation based on the scientific communication embodied in the active scientific life, although such warm relation had witnessed some tension from time to time which led to conflicts among them.

AL- Malikye Jurists:
A study in Their Scientific Relationships in Morocco and Al-Andalus till the Middle of 6th Century A.H / 12th Century A.D

A Dissertation Submitted

By

Alyaa Hashim Dhanoon Mohamod Al- Meshadaani

To

The Council of College of Education

University of Mosul

In

Partial – Full Fillment of The Requirements for The bh.D- degree

philosophy in Islamic History

Supervised by

Asst prof

Muzahim Alawi Al- Shahiri

2003A.D 1424A.H